الأدب الإسلامي

٤٦

العدد (٤٦) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

جمالية المكان في أدب الرحلات الأردي إلى جزيرة العرب

الأدب الإسلامي بين العام والخاص

العولمة والأدب.. إشكاليات وآفاق

يحيى المعلمي وجهوده في الكتابة الأدبية والنقدية

مجلة الرابطة

فصلية علمية ثقافية تصدر عن
رابطة العالم الاسلامي

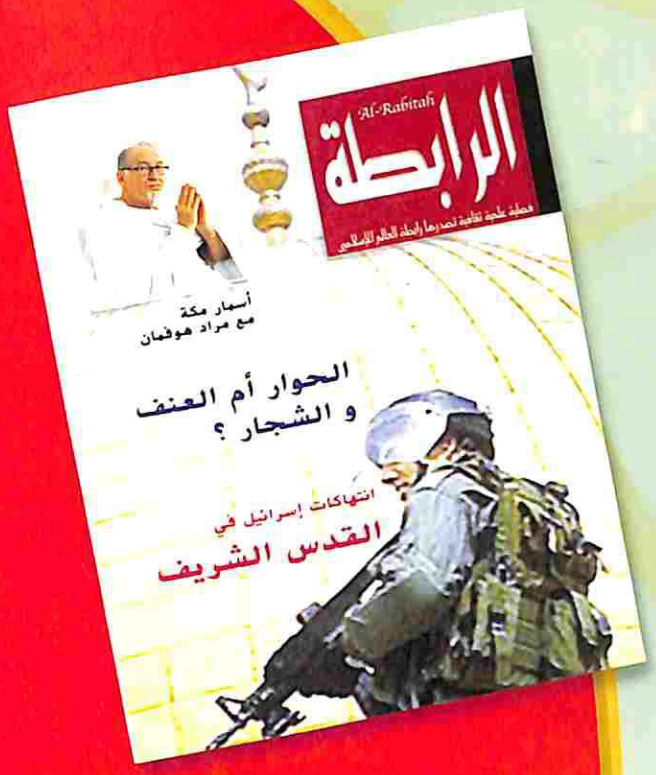

- تقارير عن القضايا الجادة في العالم الإسلامي.
- بحوث منتقاة من المؤتمرات والندوات ودورات المجمع الفقهي.
- مقالات ودراسات لكبار الكتاب والعلماء والباحثين.
- عرض الكتب الجديدة.

Al-Rabitah
الرابطة

تصدر كل ثلاثة أشهر : المحرم - ربيع الثاني - رجب - شوال
ص . ب ٥٣٧ مكة المكرمة - هاتف وفاكس : ٥٦٠١٠٧٧
العنوان الالكتروني :aalamislami@yahoo.com

الموقع على شبكة الانترنت:

www.muslimworldleague.org

بُحَّت الأصوات وجفَّت الأقلام

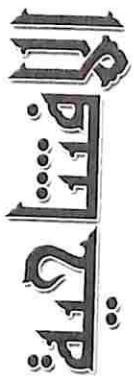

عجيب أمر أولئك المعترضين على الأدب الإسلامي ورابطته العالمية، وأعجب ما فيه أنهم يدبجون المقالات ويثيرون الشبهات دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الاطلاع على كتيب النظام الأساسي للرابطة، أو نشرة التعريف بها، أو قراءة أي كتاب عن الأدب الإسلامي، مع وجود مكتبة تضم أكثر من مئة كتاب عنه ، ومع صدور كتاب دليل «مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث» الذي يضم نحواً من ألفي عنوان ما بين كتب وبحوث ومقالات في النقد والإبداع .

وقد بُحت الأصوات وجفت الأقلام من كثرة ما كتب نقاد الأدب الإسلامي من مناقشات وردود على شبهات المعترضين ، ومع ذلك فإن هذه الشبهات ما تزال تعاد وتعاد على ألسنة المعارضين مع الإقرار بأن من كان ينشد الحقيقة تراجع عن موقفه ، بل لقد أصبح بعض المعترضين من أعضاء الرابطة.

والمعترضون على الأدب الإسلامي أو رابطته يمكن حصرهم في فئات ثلاث :

أولهم نفر من ناشئة الأدباء رأوا أن خير وسيلة للظهور هي التهجم على الأدب الإسلامي، لعله يُردّ عليهم فيكون لهم شأن. ومثل هؤلاء يذكروننا بقول بشار بن برد :«هجوت جريرا فاستصغرني ولم يردّ عليّ، ولو هجاني لأصبحت من الفحول » .

وثانيهم عدد قليل من النقاد تدفعهم الغيرة على الأدب العربي والحماسة له ، ويظنون أن الأدب الإسلامي يناقض الأدب العربي. وهم ينسون أن الأدب العربي نسبة إلى اللغة ، كما يقال الأدب الإنكليزي، والأدب الفرنسي، والأدب الأوردي، ولكنّ كلاً من هذه الآداب يضم مذاهب أدبية مختلفة من واقعية بأنواعها أو وجودية بكل سلبياتها أو شكلانية مغرقة في تيهها ، تخالف التصور الإسلامي للأدب.

والأدب الإسلامي على اهتمامه بالشكل وتقديمه على المضمون في تعريف الرابطة فإنه شأن المذاهب العالمية - ينطلق من أرضية عقدية وهي التصورالإسلامي المستمد من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما الفئة الثالثة فإن المنطلق الأول عند فريق منهم هو منطلق بعض المسلمين الذين أصابهم الوهن وبعدوا عن الالتزام بالإسلام ، وهم ما يفتؤون يرددون عبارات بعينها فيقولون : لماذا تدخلون الإسلام في كل شيء؟!. وكأن هؤلاء يجهلون أو يتجالهون أن الإسلام كما أراده الله عز وجل يشمل كل شيء في حياة المسلم بدءاً من العقيدة إلى إماطة الأذى عن الطريق ، وهذا الإسلام لم يترك للمسلم أمرا لم يبينه .

والمنطلق الثاني عند فريق آخر هو منطلق الصراع العقدي (الإيديولوجي)، الذي يصدر عنه بعض من لا يؤمنون بالإسلام أصلا ، وإن كان بعضهم مسلما بالاسم والهوية . وهذه الفئة ترى في الدعوة إلى الأدب الإسلامي والاقتصاد الإسلامي والفكر الإسلامي بعامّة إعادة العرب إلى عهود التخلف، لأنهم يعدون الإسلام نفسه تخلفا وجمودا وتأخرا. وهم يرون في الأدب الإسلامي خطرا يتهدد ما يؤمنون به من مذاهب أدبية دخيلة، تجد لكل منها أتباعا متحمسين يريدون أن يلبسوا أمتهم ما لا يوافق ذائقتها وأصالتهاوتراثها الأدبي ، ودينها الذي ارتضاه الله لها وللبشرية جمعاء .

الأدب الإسلامي

بين العام والخاص

بقلم: د. وليد قصّاب

يتكون هذا المصطلح -كما هو ظاهر- من كلمتين توحيان بالعام والخاص، فهو«أدب» وهو «إسلامي».

إن وصف «الأدب» عام يشترك فيه ماكان إسلاميا وماكان غير ذلك، مثلما تشترك مصطلحات لا حصر لها كالفلسفة، والاقتصاد، والهندسة، والاجتماع، وغيرها في خصائص عامة، ثم يتميز كل منها بسمات معينة؛ فهناك الفلسفة المثالية، والفلسفة الوضعية، والفلسفة الواقعية، والفلسفة الإسلامية...إلخ

وينطبق على أي أدب ما ينطبق على غيره من المسميات من حيث التقاؤه مع آداب الأمم والشعوب كافة في خصائص عامة تجعله يحمل هذا الاسم، ثم يفترق عنها بسمات خاصة: دينية، أو إيديولوجية، أو فنية، أو زمانية، أومكانية، أو غيرها، فتجعله هذه السمات يحمل ملامحه المميزة، فيسمى بالأدب الإسلامي، أو اليهودي، أو الشيوعي، أو الوجودي، أو الرمزي، أو الواقعي، أو القديم، أو الحديث، أو المصري،أو الأندلسي، أو ماشاكل ذلك، بحسب الوجهة التي يُنْظَر منها إليه.

الأدب بمفهومه العام:

لسنا -بطبيعة الحال-في موطن تعريف الأدب أو بيان خصائصه التي تميزه من ضروب القول الأخرى؛ فهذا من أبجديات الدرس النقدي الذي لا يخفى على من شدا قدراً من العلم،وإن وصف نص ما من نصوص الكلام بأنه «أدب» يعني-ضمنا-أنه استوفى مجموعة من الخصائص الجمالية، والشروط الفنية، والقيم الأسلوبية التعبيرية التي لا يسمى الكلام أدبا إلا بها، وهي تميزه من القول العادي،أو الكلام العلمي، وتمنحه جواز مرور إلى مدينة «الأدب».

ويمكن بشيء من الاختصار والتبسيط في القول أن نجمل أبرز هذه الخصائص العامة التي تشترك فيها آداب الناس جميعا في ثلاث هي:

١- التجربة الشعورية،أو الانفعال العاطفي.

٢- تعبير جمالي متألق يقدم هذه التجربة ويعبر بها.

٣- قواعد وأصول فنية مرعية في كل جنس من أجناس الأدب التي يريد الكاتب أن ينشئ القول فيها..

قال سيد قطب في تعريف الأدب: «إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»[١].

وقال محمد مندور:«إن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية»[٢].

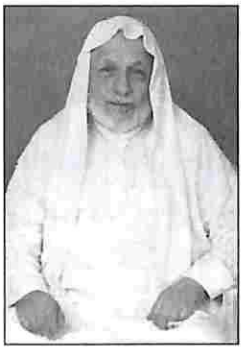

علي الطنطاوي

إن كل كلام استوفى هذه الخصائص الفنية الجمالية هو أدب مهما كان المضمون الذي يقوله، أو الفكر الذي يعبر عنه، أو التجربة التي يقدمها..

ويستوي-من ثم-في امتلاك ناصية هذه الموهبة مئات بل آلاف من الأدباء من ذوي المشارب والمنازع الفكرية والفنية، من عرب وعجم، وقدماء ومحدثين، ومسلمين ونصارى ويهود ومجوس.

إن اللغة، أو العقيدة، أو الجنس، أو الزمان، أو المكان،أو غير ذلك من الاختلافات الكثيرة لاتنفي عن منشئ ما صفة«الأدبية»مادام يتمتع بالموهبة الفنية التي تمثلها تلك الشروط الشكلية التي تحدثنا عنها.

إن كلا من امرئ القيس، وحسان ابن ثابت، وأبي العتاهية، وأبي نواس، والمتنبي، وابن سكّرة، وعمر بهاءالدين الأميري، ونزار قباني، ونجيب محفوظ، ونجيب الكيلاني، وشوقي، وإبراهيم ناجي، وعلي الطنطاوي، وإحسان عبد القدوس، ومحمد إقبال، ولوركا، وألبرتومورافيا، وجان بول سارتر، ومحمد عاكف، والآلاف غيرهم هم أدباء.

وبدهي أن «أدبية» هؤلاء، أو درجة «الفنية» عندهم ليست واحدة، ففيهم المجيد، وفيهم المتوسط، وفيهم الضعيف، إلا أن هؤلاء جميعا يمتلكون قدرا من موهبة القول، وجمالية الكلام، والعلم بأصول الأدب، أو طرائق إنشائه، تبيح منحهم صفة «الأدبية» مهما كانت درجتها،ومهما تفاوت حظها بينهم.

الأدب بمفهومه الخاص:

ذلك هو العام المشترك بين الآداب جميعها، وهو بدهي معروف، لاحظ لنا فيه إلا التذكير به.

وأما الخاص فهو بدهي معروف كذلك.إن وصف أي أدب بصفة ما هو تخصيص له،وقد يكون هذا الوصف -كما ذكرنا قبل قليل- فكريا، أو فنيا، أو لغويا، أو غير ذلك.

الأدب الإسلامي

بين العام والخاص

بقلم: د. وليد قصّاب

يتكون هذا المصطلح -كما هو ظاهر- من كلمتين توحيان بالعام والخاص، فهو«أدب» وهو «إسلامي».

إن وصف «الأدب» عام يشترك فيه ماكان إسلاميا وماكان غير ذلك، مثلما تشترك مصطلحات لا حصر لها كالفلسفة، والاقتصاد، والهندسة، والاجتماع، وغيرها في خصائص عامة، ثم يتميز كل منها بسمات معينة؛ فهناك الفلسفة المثالية، والفلسفة الوضعية، والفلسفة الواقعية، والفلسفة الإسلامية...إلخ

وينطبق على أي أدب ما ينطبق على غيره من المسميات من حيث التقاؤه مع آداب الأمم والشعوب كافة في خصائص عامة تجعله يحمل هذا الاسم، ثم يفترق عنها بسمات خاصة: دينية، أو إيديولوجية، أو فنية، أو زمانية، أومكانية، أو غيرها، فتجعله هذه السمات يحمل ملامحه المميزة، فيسمى بالأدب الإسلامي، أو اليهودي، أو الشيوعي، أو الوجودي، أو الرمزي، أو الواقعي، أو القديم، أو الحديث، أو المصري،أو الأندلسي، أو ماشاكل ذلك، بحسب الوجهة التي يُنْظَر منها إليه.

الأدب بمفهومه العام:

لسنا -بطبيعة الحال-في موطن تعريف الأدب أو بيان خصائصه التي تميزه من ضروب القول الأخرى؛ فهذا من أبجديات الدرس النقدي الذي لا يخفى على من شدا قدراً من العلم،وإن وصف نص ما من نصوص الكلام بأنه «أدب» يعني-ضمنا-أنه استوفى مجموعة من الخصائص الجمالية، والشروط الفنية، والقيم الأسلوبية التعبيرية التي لا يسمى الكلام أدبا إلا بها، وهي تميزه من القول العادي،أو الكلام العلمي، وتمنحه جواز مرور إلى مدينة «الأدب».

ويمكن بشيء من الاختصار والتبسيط في القول أن نجمل أبرز هذه الخصائص العامة التي تشترك فيها آداب الناس جميعا في ثلاث هي:

١- التجربة الشعورية،أو الانفعال العاطفي.

٢- تعبير جمالي متألق يقدم هذه التجربة ويعبر بها.

٣- قواعد وأصول فنية مرعية في كل جنس من أجناس الأدب التي يريد الكاتب أن ينشئ القول فيها..

قال سيد قطب في تعريف الأدب: «إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»[١].

وقال محمد مندور:«إن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية»[٢].

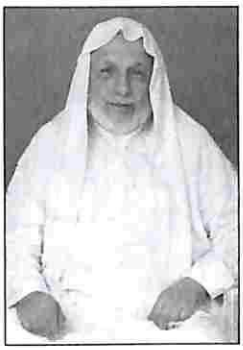

علي الطنطاوي

إن كل كلام استوفى هذه الخصائص الفنية الجمالية هو أدب مهما كان المضمون الذي يقوله، أو الفكر الذي يعبر عنه، أو التجربة التي يقدمها..

ويستوي-من ثم-في امتلاك ناصية هذه الموهبة مئات بل آلاف من الأدباء من ذوي المشارب والمنازع الفكرية والفنية، من عرب وعجم، وقدماء ومحدثين، ومسلمين ونصارى ويهود ومجوس.

إن اللغة، أو العقيدة، أو الجنس، أو الزمان، أو المكان،أو غير ذلك من الاختلافات الكثيرة لاتنفي عن منشئ ما صفة«الأدبية»مادام يتمتع بالموهبة الفنية التي تمثلها تلك الشروط الشكلية التي تحدثنا عنها.

إن كلا من امرئ القيس، وحسان ابن ثابت، وأبي العتاهية، وأبي نواس، والمتنبي، وابن سكّرة، وعمر بهاءالدين الأميري، ونزار قباني، ونجيب محفوظ، ونجيب الكيلاني، وشوقي، وإبراهيم ناجي، وعلي الطنطاوي، وإحسان عبد القدوس، ومحمد إقبال، ولوركا، وألبرتومورافيا، وجان بول سارتر، ومحمد عاكف، والآلاف غيرهم هم أدباء.

وبدهي أن «أدبية» هؤلاء، أو درجة «الفنية» عندهم ليست واحدة، ففيهم المجيد، وفيهم المتوسط، وفيهم الضعيف، إلا أن هؤلاء جميعا يمتلكون قدرا من موهبة القول، وجمالية الكلام، والعلم بأصول الأدب، أو طرائق إنشائه، تبيح منحهم صفة «الأدبية» مهما كانت درجتها،ومهما تفاوت حظها بينهم.

الأدب بمفهومه الخاص:

ذلك هو العام المشترك بين الآداب جميعها، وهو بدهي معروف، لاحظ لنا فيه إلا التذكير به.

وأما الخاص فهو بدهي معروف كذلك.إن وصف أي أدب بصفة ما هو تخصيص له،وقد يكون هذا الوصف -كما ذكرنا قبل قليل- فكريا، أو فنيا، أو لغويا، أو غير ذلك.

ومن الواضح أن وسم الأدب بأنه«إسلامي» هو وسم عقدي فكري، وهو كذلك من الشائع المعروف، ولا يكاد يتجرد منه أدب من آداب الأمم والشعوب كافة، في القديم والحديث.

إن العقائد والفلسفات الكبرى جميعها«أفرزت آدابا، وانطلقت من قيم معينة،فسميت آدابها بأسمائها. وتمتلئ ساحة الآداب المعاصرة اليوم بأسماء لها دلالاتها وعلاقاتها بتصورات فلسفية متباينة: الأدب الوجودي، الأدب الاشتراكي أو الماركسي أو الواقعي الاشتراكي، الأدب العبثي، أدب اللامعقول، الأدب التبشيري أو التنصيري أو المسيحي، الأدب الصهيوني، حتى الرومانسية، والكلاسيكية، والرمزية، والفرويدية، والطبيعية وغيرها، كلها نبتت في«أرض فلسفية» معينة، فلا نرى لونا من ألوان الأدب في أوروبا مثلا إلا وارتبط تنظيره بفيلسوف من الفلاسفة المحدثين أو القدامى..»[٣].

إن وصف الأدب بأنه «إسلامي» هو إذن حديث عن القيم الفكرية،حديث عن الرؤية التي يقدمها، والفلسفة التي يطرحها، إنه وصف لتصوره العقدي عن الكون والإنسان والحياة والوجود، إنه طرح خاص لمشكلات الإنسان وقضاياه الكبرى وعلاقاته المختلفة بهذا الكون الذي وجد فيه من وجهة نظر الإسلام.

وقد يلتقي في هذا الجانب المضموني-في القليل أو الكثير- مع تصورات ورؤى فكرية تطرحها الآداب الأخرى،ولكن صورته الكلية هي صورة التفرد والتميز، صورة الخصوصية الإسلامية،تماما مثلما هو حال كل دين أو عقيدة أو فلسفة.إن الخصوصية الثقافية الفكرية هي من علامات كل أدب.

❖ ❖ ❖

ثنائية الشكل والمضمون

إن الشكل الأدبي هو-على وجه الإجمال-من العام المشترك كما ذكرنا،وأما المضمون فهو من الخاص المميز للآداب

وإن تقسيم الأدب إلى شكل ومضمون هو-كما نعرف-من قبيل التبسيط والاستقصاء؛ إذ إن الذي لاشك فيه أن هذين العنصرين الأساسين في أي كلام مما لايمكن فصله؛ فالأدب الحقيقي«وحدة متماسكة من الفكر والفن»[٤]إنهما متداخلان - كما يقول ابن رشيق- تداخل الروح بالجسد، وكما عبّر عن ذلك فيما بعد فلوبير الفرنسي بقوله:«لا شكل بدون فكرة، ولا فكرة مجردة عن الشكل».

إن الشكل والمضمون، أو - كما يعبر عنهما أحيانا - الصورة والمحتوى، أو الصورة والفكرة، أو - كما في تراثنا النقدي - اللفظ والمعنى، هما من التداخل والتفاعل بحيث لا يتخيل أحدهما بمعزل عن الآخر، أو يظهر عنصر منهما إلا ملتبسا بالآخر.

والشكل - في أبسط صوره - هو الصياغة والألفاظ، هو كل ما يتعلق بالصيغ الفنية المختلفة، هو الأسلوب بمعناه العام، الذي يُبرز العمل الأدبي، ويخرجه إلى حيز الوجود، سواء أكان هذا العمل الأدبي شعرا، أم قصة، أم مسرحية، أم مقالة، أم غيرها، بحسب الصيغ الفنية المتعارف عليها في كل جنس.

وإذا قبلنا -بشكل مبدئي، ومن باب التبسيط واستقصاء المسائل- هذه القسمة الثنائية إلى شكل ومضمون، فإن القاسم المشترك بين أدب إسلامي وآداب أخرى ذات توجهات فكرية مختلفة هو عنصر الشكل، إلا في استثناءات يسيرة سنشير إلى بعضها في سياق هذا الكلام. إن كل أدب - مهما كان توجهه - هو فن جمالي شكلي متميز، يستعمل اللغة بطريقة خاصة. إنه فن الكلمة الأنيقة المجنحة، فن استعمال الألفاظ والعبارات استعمالا باهرا، إنه صياغة مادتها الألفاظ[٥].

إن الأدب - بتعبير الشكلانيين- هو استخدام للغة بطرائق غير مألوفة، هو من نوع الكتابة التي تمثل عنفا منظما بحق الكلام الاعتيادي[٦]، إذ هو بهذه التقانات الفنية التي يلجأ إليها - يستطيع الوصول إلى المتلقي والتأثير فيه.

وعندما قال الجاحظ عبارته الذائعة:«إنما الشعر صناعة،

وضرب من النسج، وجنس من التصوير..»[٧] كان يشير إلى هذا الجانب الشكلي العام الذي لا يسمى الكلام أدبا إلا به.

وعندما عقب حسان بن ثابت على عبارة ابنه عبد الرحمن: «لسعني طائر كأنه ملتف في بردتَي حِبرة» بقوله:«قلت والله الشعر..»[٨] لم يكن يعني - بطبيعة الحال - الشعر في معناه الاصطلاحي - ولكنه كان يشير إلى هذه الخصوصية في لغة الشعر.

وكذا عندما عقب عبدالملك بن مروان على قول الراعي النميري:

أخليفة الرحمن إنا معشر
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا
حق الزكاة منزّلا تنزيلا

بقوله:«ليس هذا شعرا، هذا شرح الإسلام، وقراءة آية...»[٩]، إنما كان يشير كذلك إلى هذه الخصوصية الشكلية التي تميز ما هو كلام شعري أو أدبي مما هو كلام عادي.

ولقد فطن تراثنا الأدبي والنقدي باستمرار، وبشكل متألق لافت للنظر، إلى هذه الخصائص الشكلية الجمالية التي هي من سمات«الأدبية» في الأدب، أو«الشعرية» في الشعر.. حتى إنه - في إطار الشعر نفسه - ميز بين مصطلحين هما: الشعر والنظم، فكان حد الشعر ليس الوزن والقافية وحدهما - على أهميتهما- بل لا بد أن ينضاف إليهما عناصر شكلية كثيرة.

قال - على سبيل المثال - يحيى ابن علي المنجم -:«ليس كل من عقد وزنا بقافية فقد قال شعرا، الشعر أبعد من ذلك مراما، وأعز انتظاما..»[١٠].

وقال ابن رشيق:«قال غير واحد من العلماء: الشعر ما استعمل على المثل السائر، والاستعارة الرائعة، والتشبيه الواقع. وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن...»[١١].

الجاحظ

ونقل ابن رشيق عن العلماء قولهم عن الشعر: إنه لا ينبغي أن يكون خاليا من هذه الحلى، يقصدون ضرب الصنعة، كالتمثيل، والتشبيه، والاستعارة، ووصفوا الشاعر الذي يخلو شعره من هذه الوجوه بأنه يخلي واعتبروا الإخلاء عيبا في الشعر...»[١٢].

❖ ❖ ❖

حيادية الشكل

ذلك - إذن - هو الجانب المشترك بين الآداب جميعها، مهما كان اتجاهها الفكري، وهو الشكل الفني. فالأشكال الفنية - بصورة عامة - هي من الأمور المحايدة، التي لا تحدد اتجاها عقديا أو إيديولوجيا لأدب ما، إلا في حالات يسيرة، ومن ثم، فهذه الأشكال الفنية هي من القاسم المشترك الأعظم في ألوان الأدب جميعا.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني- رحمه الله:«الإسلام لم يضع لنا أشكالا فنية معينة، ولم يربطنا ببناء فني خاص نسير على منواله، لأن القرآن ليس كتابا في علم (الاستطيقا) -الجمال- وإنما ارتباطنا بالإسلام هو ارتباط بالمثل والمبادئ التي أنزلها الله - سبحانه- وجعلها مصدرا نصدر عنه، ونتمثل معانيه، ثم نحاول - جادين- الحفاظ على الأشكال الفنية، والمساهمة في إنمائها واكتمالها وتطويرها مثل غيرنا من أدباء العالم..»[١٣].

ويقول محمد قطب:«الفن الإسلامي ليس مقيدا بطرائق تعبيرية معينة.. فله أن يختار من الموضوعات والطرائق ما يشاء، ولكنه مقيد بقيد واحد أن ينبثق من التصور الإسلامي للوجود الكبير، أو - على الأقل - ألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الكون والوجود..»[١٤].

ولكن هناك من يرى أن الأشكال الفنية لا يصح أن توسم بالحياد، بل هي كالمضامين ذات انتماءات فكرية معينة.

يقول محمد حسن بريغش -رحمه الله :«إن المفاهيم الجمالية والأطر الفنية، والصيغ التعبيرية، التي يراها بعضهم ملكة مشتركة حيادية، هي عند الآخرين صورة مرتبطة بالتصور الذي يتمثل بالمضمون أيضا، وإنه في الأدب خاصة، والفنون عامة - لا يوجد حياد في الشكل أو المضمون. فلو أخذنا المدارس الفنية الحديثة الغربية لرأينا أنها بدأت بالتخلي عن الموضوع - المضمون- بدءا من عدم الاكتراث به في المدرسة الانطباعية، وانتهاء بالاستغناء عنه تماما في المدرسة التجريدية..»[١٥].

وفي رأينا أن هذا اعتساف في الرأي، وحجر على واسع، وهذا هو القرآن الكريم نفسه - قمة البلاغة الفنية، والإعجاز البياني- إنما نزل بطرائق العرب، وأساليبهم في التعبير، صاغ معانيه العظيمة، وقيمه الرفيعة السامية، وتشريعاته وأحكامه جميعا على حسب ما عرفه القوم من الصيغ والطرائق والأساليب.

وهذا الدين الجديد يدعو إلى قيم جديدة، يأتي لينسف الجاهلية من جذورها، ويجتث ما كانت تؤمن به من أفكار ومعتقدات، وعندما تمثل الشعراء قيمه ومبادئه، وعكسوها في أشعارهم، لم يجدوا حرجا أن يستعملوا منهج القصيدة الجاهلية وطرائقها في التعبير والأداء، إذ آمنوا أن الأشكال الفنية هي أوعية يملؤها الأديب بالمادة التي يشاء.

❖ ❖ ❖

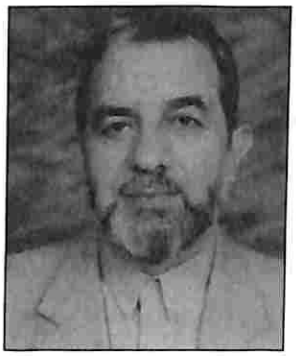

محمد حسن بريغش

استثناءات شكلية

وإنما قلنا: إن الأشكال الفنية هي محايدة بشكل عام، ولم نرسل القول في ذلك إرسالا مطلقا، إذ تبقى - في إطار هذا المشترك العام بين الآداب جميعها، وهو الشكل الفني - استثناءات يسيرة، يمكن أن تمثل بعض الخصوصيات الشكلية للأدب الإسلامي.

وليس المقام هاهنا مقام تفصيل في هذه الاستثناءات، ولذلك نشير في عجالة إلى أبرزها، من قبيل التمثيل للظاهرة:

١ - استعمال الفصحى:

إن اللغة الفصيحة هي لغة الأدب الإسلامي الذي يكتب بالعربية، لما لهذه اللغة - من الناحية الشرعية- من قداسة ومنزلة.

إن العربية - الفصيحة - هي وعاء الإسلام، وهي - في حد ذاتها- دين. يقول ابن تيمية:«وأيضا، فإن نفس العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب...»[١٦].

بل إن بعض الدارسين - من قبيل هذا الإحساس الحارّ بمنزلة العربية، وارتباطها الوثيق بالإسلام- لم يتصور أدبا إسلاميا مكتوبا بغير العربية، ورأى أن الأدب الصالح المكتوب بغير العربية لا يسمى أدبا إسلاميا إلا من حيث المضمون، لأن الأدب الإسلامي شكل ومضمون[١٧].

ولكن هذه الحماسة المحمودة للغة القرآن الكريم حملت - فيما نرى- إلى غلو في القول، ذلك أن مفهوم الشكل، الذي هو شرط في الأدب الإسلامي، وفي غيره من الآداب، لا ينصرف إلى نوعية الألفاظ، أو جنسيتها، أو هويتها الجغرافية أو العرقية، ولكنه ينصرف إلى طريقة تشكيلها - في أي لغة كانت - على نسق جمالي معين.

إن أي كلام مكتوب بأي لغة هو أدب ما دام مصوغا - كما ذكرنا - صياغة فنية باهرة، ثم يكون المضمون تحديدا لهوية هذا الأدب؛ فهو إسلامي، أو يهودي، أو نصراني، أو ماركسي، أو وجودي، بحسب مضمونه الفكري فحسب.

وهذا الأدب - في إطار التصور الإسلامي - قد يكتب بالعربية أو بغيرها من اللغات الأخرى.

إن اللغة العربية الفصيحة إذن هي لغة الأدب الإسلامي الذي يكتب بالعربية، وليست العاميات أو اللهجات المحلية مهما كان نوعها أو انتماؤها.

والأدب الإسلامي - على عدم إكراهه أحدا على الكتابة بالشكل الذي يريد - لا يعتد بتجارب الأدب المكتوبة بالعاميات، وهو يرى في العامية خطرا يهدد الفصحى، بل يعين على توهين عراها، ويضعف من سلطانها. وهو يرى فيها - من الناحية الفنية - عجزا أو عدم قدرة على الارتقاء إلى مستوى الفصحى، كما يرى فيها محلية لا تعين على ذيوع الأدب وانتشاره، كما يرى فيها وسيلة تشتيت لهذه الأمة، على حين أن العربية الفصيحة هي رباط جامع، ووثاق موحد.

٢ - وفي إطار الحرص على اللغة العربية الفصحى، وعدها من السمات الشكلية للأدب الإسلامي، النفرة من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية، والدعوة إلى احترام قواعد اللغة وضبطها، والمحافظة على سلامتها من الانتهاك والشذوذ والركاكة.

وإن هناك لفرقا كبيرا بين التجديد والابتداع في اللغة، وتفجيرها لاستخراج دلالات وصيغ وتعبيرات طريفة، وبين الدعوة إلى تدمير القواعد، والاستهانة بها، أو التساهل في شأنها.

إن الأدباء هم - باستمرار- أمراء اللغة، يجدّدون ويبدعون ويتفنون في التعامل معها، ولكنهم -في الوقت نفسه- حراسها وحماتها والذائدون عن حياضها.

يقول إليوت:«إن أقصى نجاح يمكن أن يبلغه الشاعر هو أن يوصل لغته للأجيال المقبلة وهي أكثر نضجا، وأكثر نصيبا من الجمال والدقة مما كانت عليه قبل أن يكتب بها...»[١٨].

الأدباء أمراء اللغة وحماتها، ولذلك فإن واجبهم أن يتقنوا قواعدها، ويعرفوا أصولها، ويتعمقوا في معرفة أسرارها ودقائقها، وأن يجتنبوا الخطأ واللحن فيها، وأن يروا في ذلك غضاضة، أي غضاضة!

إن الحداثة الهجينة البعيدة عن منهج الأدب الإسلامي تجرّئ أدباء اليوم على الخطأ في اللغة العربية، والاستهانة بقواعدها.

يقول أحد الحداثيين:«الخطوة الأولى للخروج من أزمة التعبير هي الخروج من حكم اللغويين...»[١٩].

ويقول في موضع آخر:«يتصاعد نفوذ اللغويين، وتبعا لذلك يشتد حصارهم لمنعها من الانطلاق في دروب التطور...»[٢٠].

وهذا الحداثي يدعو إلى تغيير قواعد اللغة العربية، ويقترح الكتابة بالنحو الساكن، ومعاملة المثنى وجمع المذكر السالم دائما بالياء، وهو يخرج هذه الدعوة إلى حيز التطبيق العملي، فيكتب أمثال هذه العبارات: «يستلزم ذهنٌ مستريحٌ قانعٌ بما لديه» و«اتخذوا لهم مذهبٌ كلاميٌ» و«أحدث تغييرٌ عميقٌ...».

ويكتب:«يوفرها له مندوبي الصحف» و«باثنا عشر مليون قتيل» و«الأمويين متهمين» و«كان الأمويين أنفسهم قد اتخذوا» و«أخذت الفرقتين السياسيتين بالخوض» و«لأن حقيهما منفصلين في العادة» و«أنكر الأزهريين» والكثير غيرها [٢١].

إن احترام قواعد اللغة العربية من الدين. روي أن كاتب أبي موسى كتب لسيدنا عمر رضي الله عنه: «من أبو موسى» فكتب إليه عمر: «إذا أتاك كتابي هذا فاجلده سوطا، واعزله عن عمله»[٢٢]. وكان عمر رضي الله عنه إذا سمع رجلا

يخطئ قبّح عليه،وإذا أصابه يلحن ضربه بالدرة..[٢٣].

وكان مسلمة بن عبد الملك يقول: «اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه..»[٢٤].

وكان عبد الملك يقول:«اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس..»[٢٥].

٣-إيثار الوضوح:

والأدب الإسلامي يؤثر -في رأينا،من حيث الشكل-الوضوح، الوضوح من غير سطحية، ولا ابتذال، من غير أن يتنافى ذلك مع استعمال أشكال التعبير التخييلية والمجازية المختلفة، والرموز الموحية، والتلميح المفيد، والأسطورة المعبرة[٢٦].

والوضوح المدعو إليه في الأدب الإسلامي لا يعني التعبير المباشر، والوعظ المصطنع والابتعاد عن العمق والغوص في أحشاء اللغة والأفكار، وابتكار الجديد الطريف منها، ولكن الوضوح معناه التواصل مع المتلقي، وعدم احتقاره أو إهماله، أو تجهيله، فهذا المتلقي ركن أساس في العملية الإبداعية، ولا تتحقق بدونه رسالة الأدب الإسلامي في التأثير والإقناع.

وفي إطار من هذا الحرص على الوضوح الفني الإيجابي الذي تحدَّثنا عنه نحسب - في رأينا - أن الأدب الإسلامي ينفر من الصور البعيدة، والتخييل المغرق، والإفراط والغلو ومجاوزة القصد في التعبير.

يقول المبرد:«الشعر ما قارب

فيه القائل إذا شبَّه. وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه بفطنته على ما يخفى على غيره، وساقه برصف قوي، واختصار قريب، وعدل فيه عن الإفراط..»[٢٧].

وقال المبرد في تهجين شعر المحدثين:«في المحدثين إسراف، وتجاوز، وغلو، وخروج على المقدار...»[٢٨].

ويقول الآمدي:«كلٌّ ما دنا من المعاني من الحقائق كان ألوط بالنفس، وأحلى في السمع، وأولى بالاستجادة...»[٢٩].

وفي إطار من هذا الحرص على وضوح الأدب، وقدرته على أداء رسالته، ينفر الأدب الإسلامي من الرموز المبهمة، والمعاني المستغلقة، والتهويمات الجامحة الجانحة، ومن التجارب العبثية وتجارب اللاوعي واللاشعور التي تعتمد الضبابية في التعبير، والطلسمة والغموض في الأداء، وتجنح إلى الوهم والتعمية، وتحتقر الواقع والشعور والحس والعقل.

فمن شَرَك الفكر الغربي، ومن مصيدة الحداثة الهجينة،

ومن ترهات مدارس غربية معينة: كالرمزية، والسريالية، والعبثية، وغيرها، سرت إلى أدبنا سموم الغموض، حتى غدت هذه اللوثة من سمات الأدب الحداثي، وعُد الوضوح من سمات الأدب الرجعي المتخلف.

إن الوضوح والبيان من سمات ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة، وهما من سمات الحاجة إلى تطوير المجتمع العربي وتنويره وتثويره، وعقلنة الجماهير العربية وتغييرها المنشود.

إن تحقيق مثل هذه المتطلبات لا يتم عن طريق الطلسمة والتغميض، والأفكار المهوّشة الغائمة التي لا تحمل مدلولات واضحة محددة، كما هو حاصل في كثير من نماذج الأدب الحديث.

٤ - **الإمتاع:**

من عناصر الشكل المهمة في الأدب الإسلامي - في رأينا - عنصر الإمتاع الذي أصبحت تفرّط فيه بعض الاتجاهات الأدبية الحديثة، عندما افتقد الأدب بساطته وعفويته وتلقائيته، وآثر الغموض والتعقيد، وسمح للنزعة العلمية أن تحكم قبضتها بقوة عليه، وتوجهه بحسب نظرياتها وأفكارها.

إن الأدب الإسلامي ممتع ومفيد في وقت واحد معا، وما يجده المتلقي من متعة في الأدب هو الذي يجذبه إليه، ويحبّبه به، بل إن هذه المتعة التي يهبها الأدب لمتلقيه هي التي تجعله عميق التأثير فيه، نفّاذا إلى طوايا نفسه وأعماق فؤاده، حتى يبدو كالسّحر الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «إن من البيان لسحرا»[٣٠].

والأدب ممتع ليس بسبب أهميته الإنسانية، أو بسبب صلته الوطيدة بالحياة فحسب[٣١]، إن هذا - من غير شك - سبب من أسباب ما نجده في الأدب من متعة وفائدة، فنحن «نحب أن نرى الحياة منقولة إلينا، نحب أن نجلس في مكاننا لنشاهد الحياة تمر بنا جزئياتها في سلسلة متصلة الحلقات..»[٣٢] ولكن الأدب - زيادة على المتعة والفائدة - فيما يقدمه لنا من التجارب الإنسانية، والخبرة البشرية - ممتع بأسلوبه في التعبير، ولغته الأنيقة الرشيقة التي يختارها.

إن لغة الأدب - كلما كانت قريبة من الناس، لصيقة بنفوسهم، سهلة بعيدة عن التكلف والحذلقة - كانت أكثر إمتاعا لهم.

ولقد أشار معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - مرة إلى الإمتاع في الشعر، روي أن معاوية لما حُمل إليه هدبة بن خشرم - وكان قتل زيادة ابن زيد - سأله عن ذلك، فقال له هدبة: أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا ؟ قال معاوية: بل شعرا، فإنه أمتع..» وفي رواية: «أنفع»[٣٣].

إن على الأديب الإسلامي أن يعنى بأسلوبه التعبيري، وأن يحسن انتقاء الألفاظ والعبارات التي تتسم بالجمال والخلابة والطرافة، والتي تتسم بالإدهاش، وأن يبتعد عن التعبير الجاف، والألفاظ الخشنة الوعرة، وأن يكون قريب المأتى، سهل المأخذ، يقول ما يسرع وصوله إلى القلب من غير غموض ولا تعمية.

وقد تحدث النقد العربي عن أدب سهل ممتنع، قريب عصي، تسمعه فتظن أنك تحسن مثله، فإذا ما حاولت وجدته أبعد من العيّوق، إنه الأدب الممتع الذي تفهمه العامة، وترضاه الخاصة، لأنه جمع بين البساطة والفنية.

خلاصة القول

نخلص مما تقدم من كلام على الشكل الفني إلى أن الأدب الإسلامي لا ينبغي أن يتعصب لفن أدبي معين، أو لشكل فني دون آخر، ذلك أن الأشكال الفنية هو أوعية للأفكار والمضامين وهي بالتالي:

١ - محايدة إلى حد كبير.

٢ - من الأمور المتطورة المتغيرة.

٣ - مرتبطة بالذوق العام والخاص.

٤ - مرتبطة بشخصية المبدع.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله -: «إن الشكل الفني ميراث وتراث، وإنه بطبيعته متغير، وإن مجال العمل فيه يلتصق بإبداع المبدعين، أكثر من التصاقه بآراء المؤرخين والنقاد، وهو قضية قبول بين المبدع والمتلقي بالدرجة الأولى.. ولا شك أن حرص الإسلاميين على المضمون الفكري واطمئنانهم له، سوف يجعلهم أكثر ثقة في ارتياد التجارب الإبداعية الجديدة في كل لون من ألوان الأدب

شعرا أو نثرا، وبذلك ينطلق الأديب الإسلامي في مجال الصور الفنية دون خوف أو عقد، ويدرك يقينا معنى الحرية الصحيحة في الإبداع تحت مظلة الفكر السليم...»[٣٤].

ولو عدنا إلى ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال ومواقف من الشعر والشعراء مثلا، لوجدناها تركز - في غالبيتها العظمى- على مضمون الكلام ومادته، وهي تتوقف طويلا عند ما فيه من القيم والأفكار، وما يطرحه من القضايا، ويروج له من التصورات، ونحسب أن وراء ذلك مجموعة من الدلالات توقفنا عندها بالتفصيل في كتابنا«النظرة النبوية في نقد الشعر»[٣٥]، ولكن يهمنا فيها في هذا المقام ما ذكرناه ثَمَّ من أن الأداة الفنية - عند الحديث عن نظرية إسلامية في الفن الأدبي لا تشكل عقبة ما، ولا تحدث إشكالية معينة، فالإسلام لا يلزم الأدباء بأسلوب فني محدد، ولا يقيدهم بطريقة خاصة من طرائق القول وأفانين التعبير، وإنما يترك ذلك للأدباء - في كل زمان ومكان - لإبراز مواهبهم وتفردهم وتمكنهم من نواصي الفن[٣٦].

إن الأداة الفنية قيمة متغيرة متجددة، والمجال فيها رحب للإبداع، وهي خاضعة - في تطورها ونمائها- لما يستجد من الفنون، وما تتفتق عنه القرائح من الطرائق والأساليب، بل قد تكون مرتبطة كذلك بالجنس الأدبي، وطبيعة الأفكار والمضامين التي يسوقها الأدباء، ومن ثم فهي أقرب إلى الديناميكية والتطور والحياد.

وهكذا ينهض الأدب الإسلامي على العام والخاص، أي على الشكل والمضمون معا، وهما جناحاه اللذان لا ينهض - كالطائر - إلا بهما، وإن أي انتقاص من أحدهما، أو إلغاء له على حساب الآخر، يشوه صورة الأدب، يجعله طائرا كسيحا لا يملك إلا جناحا واحدا، ولن يستطيع التحليق به أبدا.

إن الأدب الإسلامي يشبه سوارا جميل الصنعة، متقن الصورة، ولكن جماله جمال حقيقي، وحسنه ليس برقا خلبا، بل هو حسن حقيقي، وبهر صادق، لا زيف فيه ولا تزوير، لأنه سوار مصنوع من الذهب الإبريز، إنه ليس سوارا من حديد، أو نحاس، أو أية مادة رخيصة أخرى، يخلبك بشكله الزاهي، ومظهره الأنيق، فتخدع به، وتنشد إليه، ولكنه ما يلبث أن يبهت ويذهب بريقه.

إن كثيرا من الكلام تروعك فيه طنطنة الألفاظ، وخلابة العبارات، فإذا فتشته - كما يقول ابن قتيبة -: «لم تجد كبير طائل في المعنى». ■

الهوامش:

(١) النقد الأدبي، أصوله ومناهجه:ص٨ (دار الكتب العربية، بيروت).
(٢) الأدب ومذاهبه: ص٨ (دار نهضة مصر).
(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، ص٣٩، كتاب الأمة، قطر.
(٤) دراسات في النقد، لألن تيت:ص٩٢، ترجمة د. عبدالرحمن ياغي.
(٥) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه:ص٢٣.
(٦) انظر«نظرية الأدب» لتيري إيغلتون: ص١٣.
(٧) الحيوان: ١٣١/٣.
(٨) ألف باء، للبلوي:ص ٥٨، والحبرة: ثوب من قطن أو كتان مخطط.
(٩) الموشح:ص ٢٤٩.
(١٠) الموشح:ص ٥٤٧.
(١١) العمدة: ١٢٢/١.
(١٢) السابق: ٢٨٥/١.
(١٣) الإسلامية والمذاهب الأدبية: ص٣٨.
(١٤) منهج الفن الإسلامي:ص ٢١.
(١٥) الأدب الإسلامي: أصوله وسماته:ص ١٥.
(١٦) اقتضاء الصراط المستقيم: ص٤٢.
(١٧) انظر ما كتبه د. محمد بن سعد بن حسين، في مجلة الحرس الوطني السعودية عدد رجب - ديسمبر - ١٩٩٦ م، ص٦٦. ويقول د. سعد أبو الرضا:«سوف يظل الأدب الإسلامي إلى ما شاء الله عربي اللسان، رباني المضمون»، انظر كتابه«الأدب الإسلامي: قضية وبناء» ص١٠.
(١٨) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: ص٣٣٨.
(١٩) هادي علوي، كتاب«قضايا وشهادات»، العدد الثالث: حداثة: ٢، ص١١٠.
(٢٠) السابق: ص١٠٦.
(٢١) هادي علوي، قضايا وشهادات (العدد الأول)، ص٢١٧.. وكل صفحة وانظر ما كتبناه عن موقف الحداثة من اللغة العربية في كتابنا«الحداثة في الشعر العربي المعاصر:ص١٨٦-٢٢٠».
(٢٢)، (٢٣) مراتب النحويين: ص ٢٣.
(٢٤)،(٢٥) عيون الأخبار: ١٥٨/٢.
(٢٦) انظر ما كتبناه عن الوضوح والغموض في كتابنا«في الأدب الإسلامي»، ص ١٠٧-١١٥.
(٢٧) الموشح: ص٢٤٣.
(٢٨) الكامل:ص ٤٥٦.
(٢٩) الموازنة: ١٥٧/١.
(٣٠) عون الباري: ٩٦/٦.
(٣١) الأدب وفنونه للدكتور عزالدين إسماعيل: ص٢١.
(٣٢) السابق نفسه.
(٣٣) الكامل: ١٤٥٢، وشرح شواهد المغني: ٢٣٥/٥.
(٣٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي: ص٢١.
(٣٥) النظرة النبوية في نقد الشعر: ص٥٦-٥٩.
(٣٦) السابق: ص٥٧.

إلى أمي.. وكلِّ أم

شعر: أحمد عبد الحفيظ شحاتة
مصر

سبح الكون للإله وصلى ... انثنى أضلعا ، وذاب شفاها
فالحنايا التي تضم جنينا ... فيه نبض الحياة ما أحناها
لا تطيق السكون منه وترضى ... كلما هزها وزاد ضناها
فإذا جاءها المخاض وأنَّت ... ثم ألقت وليدها ورجاها
مسح الحب وجهها بابتسام ... عبقري وغردت مقلتاها!!

❖❖❖

خففي روعك الشفوق فروحي ... بيد الخالق العليم مداها
خففيه فما عليك إذا ما ... وخط الشيبُ لمتي وغزاها
كم بذلتِ العناء طوال ليال ... كنتِ فيها الندى ودفق ضياها
سهر الحب مؤنسا وتغنى ... فكسا الروح ظلها وشذاها

كنت يا أمُّ زهرة فارتشفنا ... من عيون السنا بهي حلاها
صرت يا أمُّ دوحة فنعمنا ... بعطور المنى وظل رضاها
أنت يا أمُّ دفقة من معان ... راسخات أدقها .. أدناها
حين كنتُ على غنائكِ أصحو ... أي نهر من السماء تناهى
أهوَ صوت من «عبقر» يتغنى ... أم هزار بروضه يتباهى؟!
كان وقع النداء منك نشيدي ... يا أناشيد مهجتي ومناها
أيُّ صدق لديك ، أيُّ عطاء ... يا ضفاف الهدى وبرد ثراها

❖❖❖

لستُ فيما نسيتهُ سوف أنسى ... نبت الصحو في دمي من دماها
هدهدتني زنابق النور منها ... وسقى برعمي اللفيف جناها
رحمة الله في الخلائق تمشي ... حيث كانت أمومة .. تغشاها!!

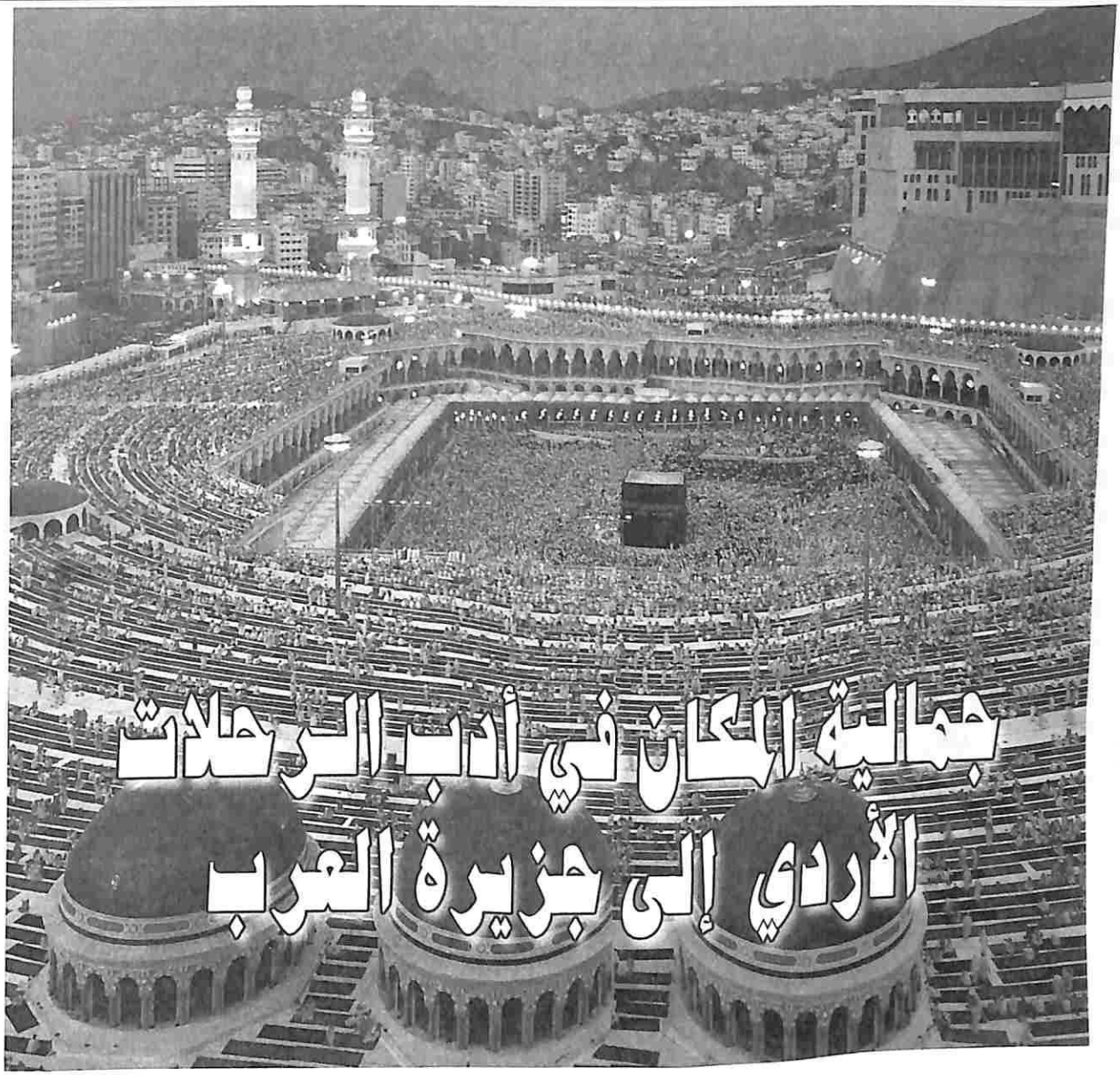

جمالية المكان في أدب الرحلات الأردي إلى جزيرة العرب

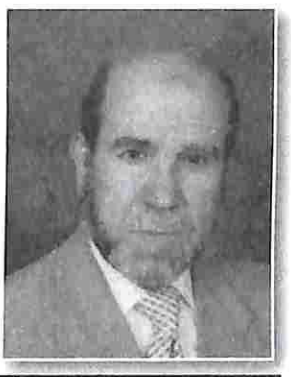

بقلم: د. مصطفى عليان*
الأردن

أولا: المقصدية

لا يخطئ المتلقي لكتاب «الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي» إصابة الجهد الذي بذله مؤلفه الدكتور سمير عبد الحميد في إعداده، إذ غطى فيه زمنا ليس قليلا امتداده، فإذا تجاوزنا الرحلة الأولى إلى جزيرة العرب التي كانت تارة رحلة مولوي علوي بعنوان سفير أوده عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م «وهي من النماذج الأولى للرحلات الأردية في مراحلها الأولى»[١]. وتارة ثانية رحلة الشيخ عبد الحق محدث دهلوي «جذب القلوب إلى ديار المحبوب «التي كتبت بالفارسية عام٩٧٧هـ/١٥٨٩م، وتارة ثالثة رحلة خواجة معصوم بعنوان» يواقيت الحرمين» التي كتبت بالعربية سنة١٠٦٧هـ/

* أستاذ النقد الأدبي، قسم اللغة العربية، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.

١٦٥٧م(٢)، وتارة رابعة رحلة مولانا جعفر تهانسيري تاريخ عجيب المسمى بسوانح أحمدي أول كتاب بالأردية عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م[٣].

إذا تجاوزنا هذا الخلط في تحديد بداية الرحلات الأوردية فإن رحلة نواب صديق حسن خان قنوجي بعنوان: رحلة الصديق إلى البيت العتيق سنة١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م «تعد في رأي بعض النقاد أول رحلة في الأدب الأردي،والمقصود هنا أول رحلة تصدر في كتاب منفصل بهذا الشكل الواضح»[٤]، هذا من جهة،ومن جهة أخرى فإن الامتداد الذي تكفل بتغطيته الدكتور سمير عبدالحميد يأتي على أكثر من قرن إذا علمنا أن آخر رحلة تناولها الكتاب بالتحليل هي رحلةالشيخ أحمد حامدي عام١٤١٣هـ/١٩٩٣م[٥].

د . سمير عبدالحميد

وهذا الامتداد الأفقي في التناول كان قصدا من مقاصد المؤلف في محاولة استيعاب الرحلات الأردية جميعا إلى جزيرة العرب، التي عبر عنها بقوله: « وتجدر الإشارة إلى أن البحث تناول تقريبا جميع الرحلات في الأدب الأردي ذات الصلة بالجزيرة العربية منذ نشأة اللغة الأردية وحتى السنوات الأخيرة الماضية[٦].

من هنا راح الباحث يلهث وراء التتبع الإحصائي للرحلات، والسرد الاستقصائي للمؤلفات، والتعريف بها مختصرة تارة في سياق مطالب تاريخية، ومفصلة تارة أخرى في إطار مطالب سياسية ومقاصد إعلامية، إذ إنها «وثيقة تؤرخ لمراحل تطور المنطقة بجوانبه المختلفة»[٧].

ثانيا: المنهج

وفي حمى ذلك جاء الكتاب في مدخل وعشرة فصول: كان المدخل في مفهوم الرحلة وأهميتها، والرحلات في التاريخ الإسلامي.

والفصل الأول: أدب الرحلة في شبه القارة الهندية.

الفصل الثاني: تطور وازدهار أدب الرحلة، وفيه تغطية تاريخية لمرحلتين:

الأولى: في بداية القرن العشرين الميلادي وحتى قبيل تقسيم شبه القارة الهندية.

الثانية: ازدهار أدب الرحلة في العصر الحديث بعد عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م حتى عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

الفصل الثالث: الرحلات الأردية إلى الجزيرة العربية، وفيه تناول للرحلات الأولى إلى الجزيرة العربية، الرحلة الحجازية والرحلة بعد تقسيم شبه القارة الهندية.

الفصل الرابع: اتجاهات الرحلة الأردية إلى جزيرة العرب قبل توحيد المملكة العربية السعودية.

الفصل الخامس: توحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز وصدى ذلك في الرحلة الأردية.

الفصل السادس: تأسيس المملكة العربية السعودية وأثره في اتجاهات الرحلة الأردية.

الفصل السابع: النهضة الحضارية في المملكة العربية السعودية وتأثيرها في الرحلة الأردية.

الفصل الثامن: الرحلات الشعرية والخيالية والرحلات المترجمة.

الفصل التاسع: دراسة تحليلية للرحلات الأردية في الجزيرة العربية.

الفصل العاشر: مختارات مترجمة عن الرحلات الأردية للجزيرة العربية.

ولو أنصف الباحث لتخلص من عدد من هذه الفصول، إما بالحذف وإما بالدمج، فالفصل الأول والثاني هما من باب التمهيد الطويل، بل من الحشو والفضول، فالفصل الأول يعرض النماذج الأولى لأدب

الرحلة في شبه القارة الهندية [٨]، وهي منبتة الصلة بعنوان الكتاب من ناحيتين، الأولى: اتجاه الرحلات إلى أفغانستان وإيران وبورما وجزر أنديمان وأوربا والأندلس وحول العالم. الثانية: أن معظم كتاب الرحلات المذكورين في هذا الفصل لم يكونوا أدباء، ولهذا تخرج رحلاتهم من خانة أدب الرحلة [٩]، والفصل الثاني بمبحثيه لاحق بالفصل الأول من حيث اتجاهات الرحلة الأردية المكانية، أفغانستان وإيران ولندن وباريس وألمانيا، وروسيا والصين واليابان، والأندلس وأفريقيا، ومصر والشام، وحظيت تركيا بالنصيب الظاهرة في هذا المجال،هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الرحلات الحجازية في هذا الفصل عارضة وهامشية، إذ ذكرت من خلال سفرنامه حجاز ويوميات مباركة[١٠]، زد على ذلك أن ازدهار الرحلة حده الباحث في عنوان المطلب الثاني للفصل بدءا بعام ١٩٤١وانتهاء بعام١٩٩٥م، غير أن الباحث أنهى الحديث عن الرحلات بعام ١٩٨٣م، بالإشارة إلى رحلة أسعد كيلاني إلى إيران[١١]، وإذا علمنا أن الباحث ترك أدب الرحلة من غير ضميمة مخصصة للنوع (الأردية) والاتجاه(جزيرة العرب)جاز لنا أن نقرر بثبات أن الفصل الثاني بمبحثيه هو من الحشو الذي لا طائل فيه.

وفي الفصل الثالث مبحثان،عرض الأول للرحلات الأردية الأولى إلى الجزيرة العربية، إلا أن ماجاء تحت العنوان غير مؤتلف به، إذن إن الرحلات المذكورة ليست أردية اللغة، بل فارسية أو عربية،فمن الرحلات الفارسية المذكورة رحلة ناصر خسرو سنة ١٠٤٥م، ورحلة جذب القلوب إلى ديار المحبوب للشيخ عبد الحق دهلوي سنة ١٥٨٩م وفيوض الحرمين لشاه ولي الله الدهلوي سنة ١٧٢٨م، ومن الرحلات الفارسية التي ترجمت إلى الأردية: مشاهدات حرمين شريفين. وجذب القلوب إلى ديار المحبوب أو ترغيب السالك إلى أحسن الممالك.

وفي المبحث الثاني تناول الباحث الرحلة إلى الجزيرة العربية قبل ١٩٠٢ وبعد١٩٠٢، وهذان التاريخان ليسا حديين أو مفصليين في تاريخ الرحلة الأردية إلى الجزيرة العربية، إذ إن عرض الرحلات الأردية في المبحث الأول استمر حتى١٨٧١م، ثم تابعه الباحث في المبحث الثاني حتى عام ١٨٩٢، فأي مباينة بين المبحثين، وأين المفارقة في مضمون التاريخين؟! ومثل ذلك يقال عن الرحلة الحجازية بعد ١٩٠٢[١٢] إذا كان تاريخ آخر رحلة هو ١٩٣٢.

وهذه الرحلات داخلة في تاريخ توحيد المملكة(الفصل الرابع)، وكذلك يقال عما ذكره الباحث تحت عنوان الرحلة بعد تقسيم شبه القارة الهندية ١٩٤٧م، فرحلة مسعود عالم الندوي وأبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي ونسيم حجازي التي عرض لها الباحث في إطار الزمن المطروح، تناولها بالتفصيل في الفصل السادس، على أنه لم ينتبه إلى تسيب عناوينه حين اصطحب عبارة دالة على التداخل والتأجيل، إذ ما فتئ الباحث يصطحب مرددا في تناوله للرحلات عبارة تأجيل الحديث عنها على النحو التالي:

- (ص ١٢٩ س١١) سوف يأتي الحديث عنه (سفرنامة شيخ الهند).
- (ص١٣٣ س٦) وسيرد ذكر نماذج الرحلة (رحلة العلامة غلام رسول).
- (ص١٤٣ س٦) وسيرد ذكر هذا في حينه.
- (ص١٣٦ س أخير) وسيأتي الحديث عن الرحلة بالتفصيل (رحلة أبي الأعلى المودوي).
- (ص١٣٧ س٣) لأسباب سيرد ذكرها.
- (ص١٣٧ س١٤) سيأتي ذكر رحلته فيما بعد(رحلة نسيم حجازي).
- (ص١٣٧ س أخير) على أن تشمل الفصول التالية البعض الآخر من هذه الرحلات.

على أن تاريخ الرحلات التي توقف الباحث عندها بالعرض والتفصيل كان ظاهر الدلالة على اندغام هذه الرحلات في الفصول اللاحقة:

- رحلة أرض مقدسة للسيدة كنيز محمد بيغم ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.
- رحلة ومضت القافلة - لألطاف حسين قريشي ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧ م.

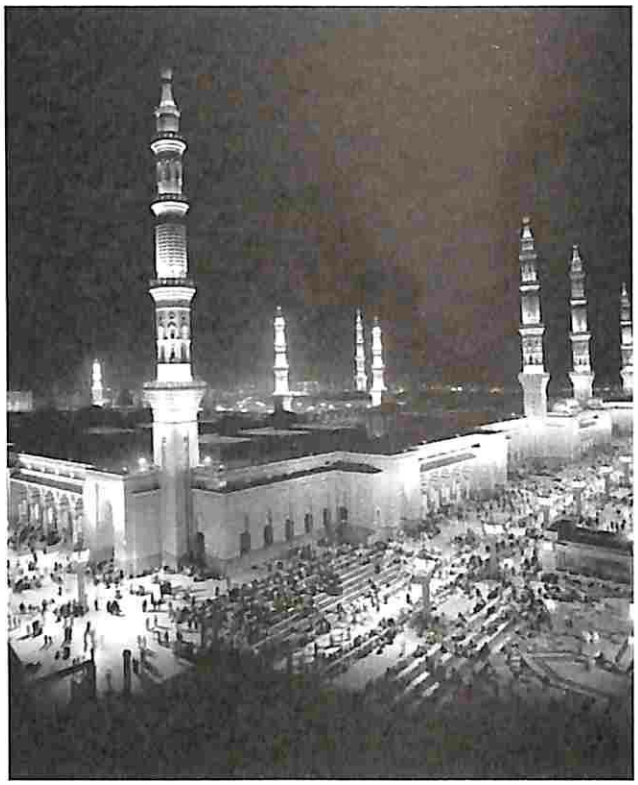

- رحلة مرآة الحجاز لراجة محمد شريف ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م.
- ... رحلة (مئتا يوم في الحرم) لمحمد أسلم ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

تجدر الإشار إلى أن ذكر «قبل» و «بعد» في عناوين المباحث المطروحة السابقة من الأدلة الواضحة على تهريب الباحث لبحثه من مراكز الانضباط العلمي والتدقيق المنهجي، إذ ليس في هذه القبلية والبعدية أي تغير أو تباين ظاهر، في الأنواع والمحتوى، بل إن طرح التاريخ نفسه لم يفسر الباحث دلالته ومرجعية الارتكاز فيه، فظل دون فاعلية في الحضور والتقسيم.

ومثل ذلك يقال عن الفصل الرابع (اتجاهات الرحلة الأردية.. قبل توحيد المملكة)، والخامس (توحيد الجزيرة على يد الملك عبدالعزيز وصدى ذلك في الرحلة الأردية) والسادس (تأسيس المملكة وأثره على اتجاهات الرحلة الأردية) فما الفوارق المحورية بين (توحيد) المملكة العربية السعودية و(تأسيسها) و قبل توحيد المملكة، وبعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز، وقبل عام ١٩٠٢، وبعد عام ١٩٠٢، إنها لافتات كبيرة رفعها الباحث شعارات لفصول بحثه من غير أن يكون لها آثار ظاهرة في التباين والبحث، خاصة إذا علمنا أن مرتكز هذه العناوين (اتجاهات الرحلة) حدد إقامته الباحث في منافذ دخول الرحلات الأردية إلى الجزيرة العربية، إذ كانت قبل توحيد المملكة تبدأ من جدة، أو عدن أو مصر، فصارت بعد توحيدها يبدأ السفر فيها من الدمام والظهران ومن العراق إلى المملكة، وهذا كشف عنه العنوان «وجهة جديدة للرحلة الأردية في الجزيرة العربية»[١٣]، «تنوع مسار الرحلة»[١٤]، الذي انضوى تحت عنوان الفصل السادس «تأسيس المملكة العربية السعودية وأثره على اتجاهات الرحلة الأردية »[١٥].

لقد كان الباحث مسكونا بهاجس تغير مسار الرحلات الأردية في الدخول إلى المملكة العربية السعودية، وجعل من هذه الظاهرة القشرية قيمة كبيرة من قيم توحيد المملكة، وأثرا من آثارها المهمة على الرغم من أن هذا التنوع في المسارات وإن كان دليلا على وحدة المنافذ والمعابر والسيطرة عليها، إلا أن الأمر في ذلك مرجعه إلى التطور في الاتصالات والمواصلات فضلا عن تعدد مراكز الحج في العالم الإسلامي.

وفي الفصل السابع «النهضة الحضارية في المملكة العربية السعودية وتأثيرها على الرحلة الأردية » كان التحول في هذا الفصل من المؤثر التاريخي والسياسي إلى المنتج الثقافي والمادي، وهو تحول إيجابي في هيكلية البحث، لولا أنه لم يخل من ملاحظ قللت من فاعلية التحول والعدول فيه عن النمط السياسي والتاريخي وهي كما يلي:

- إن عنوان هذا الفصل جاء في المبحث الثالث من الفصل السادس بعنوان «ازدهار الجوانب الحضارية والثقافية في الجزيرة العربية [١٦].
- إن الظواهر الحضارية (الثقافية والعلمية والعمرانية) التي بلورها البحث جاءت مبثوثة وبخطوط حادة في الفصول الإعلامية السابقة.
- تكرار تحليل رحلة «وتمضي القافلة»، ورحلة «لبيك»،

ورحلة «مشاهدات الحرمين» إذ جاء تحليل الرحلة الأولى ص١٤٠، والثانية ص١٤٣، والثالثة ص١٤٥.

وفي الفصل الثامن: ينكسر التراتب السردي التاريخي بالرحلات الشعرية والخيالية والمترجمة على الرغم من أن هذه الرحلات لا تمثل ظاهرة، إذ عرض الباحث لرحلتين مصوغتين شعرا متباينتين زمانا الأولى عام ١٩٤٨والثانية ١٩٨٣.

أما الفصل التاسع: دراسة تحليلية للرحلات الأردية في جزيرة العرب، فهو إعادة منتقاة لدراسة عشر رحلات على أسس متباينة فكريا (الرحلات العقدية)، وسياسيا (الرحلات الرسمية)، واجتماعيا وأسلوبيا (الرحلات الصحفية والأدبية).

وهذا الفصل كان يمكن أن يكون له شأن في ختام السرد التاريخي اللاهث في تتبع الرحلات وإحصائها، لو أن الباحث أقامه على أسس تحليلية عميقة للمضامين والأساليب، ليكشف عن ذاتية في الفهم والتعليل والتفسير والربط، لكن هذا الفصل لم يختلف عن الفصول السابقة في الإعلامية والدعائية، ويسجل على هذا الفصل الملاحظات التالية أيضا:

- الأول: براءة أكثر العناوين من المضامين المنضوية تحتها، ومثال ذلك على سبيل الاستدلال، رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري التي جاءت تحت عنوان: الرحلة ودرجة التزام الرحالة نحو عقيدته، حيث جاءت العناوين التالية مناط اهتمام الباحث في هذه الرحلة: محطة السكك الحديد، ومشاهدات في الطريق، السوق، وصف المدينة المنورة وسكانها، الحياة الاجتماعية، النهب والسلب [١٧]، والتساؤل هنا أين الالتزام نحو العقيدة؟! وكذلك يقال عن عنوان الكتابة الصحفية وما جاء تحته... إلخ.

- الثاني: إعادة تحليل الرحلات ذاتها التي جاءت في السرد التاريخي في الفصول السابقة، وهي كالتالي:

- رحلة سيد شهيد أحمد (ص٤٨٧ - ٤٩٢) سبق تناولها (ص١١٤ - ١١٨) من الفصل الثالث.
- رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري (ص٥١١ - ٥١٥) سبق تناولها (ص١٨٦ - ٢٠٣) من الفصل الرابع.
- رحلة الشيخ أبي الحسن الندوي (٥٣٣-٥٤٠) وقد سبق الحديث عنها موجزا (ص١٣٥-١٣٦) و (ص٢٦٦-٢٦٧).
- رحلة لبيك لممتاز مفتي (ص٥٤١-٥٤٢) وقد سبق تناولها (ص١٤٣-١٤٤) و (ص٤٠٩-٤١٥).
- رحلة سلطان داود (ص٥٤٣-٥٥١) سبق تناولها باختصار شديد (ص١٣٨).

الملك عبدالعزيز

أما الفصل العاشر «مختارات مترجمة عن الرحلات الأردية للجزيرة العربية » فيشتمل على عشرة نماذج، سبعة منها تكرر تحليلها في فصول البحث السابقة، وهي كما يلي:

- رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري (ص٥٥٩-٥٦٩) سبق عرضها (ص١٨٦-٢٠٣) و (ص٥١١-٥١٥).
- رحلة العلامة غلام رسول مهر (ص ٥٦٣-٥٦٩) سبقت الإشارة إليها (ص١٣٣) وسبق تحليلها بالتفصيل (ص٢٢١-٢٣٩).
- رحلة الشيخ أبي الحسن الندوي (ص٥٧٠-٥٧٣) سبقت الإشارة إليها (ص١٣٥-١٣٦) وسبق تحليلها (ص٥٣٤-٥٤١).
- رحلة الشيخ مسعود عالم الندوي (ص٥٧٤-٥٨٦) أشير إليها (ص١٣٤-١٣٥) وحللت بالتفصيل في الفصل السادس (ص٢٦٨ - ٣١٦).

- رحلة الأديب ماهر القادري (ص٥٨٧-٥٩٤) تكرار لما سبق تحليله في الفصل السادس (ص٣١٧-٣٣٥).
- رحلة أبي الأعلى المودودي (ص٥٩٥-٦٠٧) تكرار لما سبق تحليله في الفصل السادس (ص٣٤٤-٣٨٠).
- رحلة الأديب ممتاز مفتي (ص٦١٧-٦٢٢) تكرر تحليلها في أكثر من موضع (ص١٤٣-١٤٤) و(ص٤٠٩-٤١٥) و(ص٥٤١-٥٤٢).

ولا يشفع لهذا التكرار ما ذكره الباحث أنه راعى في اختيارها (الترتيب الزمني، وبساطة أسلوب الكاتب ورصانته، وقدرة الكاتب ومكانته ومنزلته بين أدباء الأردية.. والتنوع في الموضوع الذي يعالجه الأدباء في رحلاتهم)[١٨]. لأن هذه النماذج جاءت صماء، بلا تحليل في العرض والسرد غير أنها تحللت من العناوين الإعلامية التي حرص الباحث على إشهار غائيتها.

وهكذا خلا المنهج التاريخي الأفقي في العرض والسرد الذي اعتمده الباحث في أكثر فصول البحث من الفاعلية في بلورة التطور والتنامي في القضايا التي رصد الباحث بحثه للترويج لها والإبانة عنها، إذ حالت بعثرة القضايا التي حوتها الرحلات دون الوقوف عليها مجتمعة، وإدراك التطور الذي أصابها بيسر وسهولة، دون الغاية في الاستيعاب إذ جاءت أشتات غير مجتمعات، وقضايا متناثرات، فلو ضم الباحث النظير إلى نظيره والشبيه إلى شبيهه لكان ذلك أجدى وأنفع. ولكن هذا الأمر يحتاج إلى منهج غير الذي طرقه الباحث، وقد كان ذلك قريبا منه حين لمس بعض محاوره في الإشارة إلى سمت بعض الرحلات[١٩]، إذ كان منها الإرشادية، والرسمية، والعلمية والأثرية والاقتصادية، والشعرية والخيالية... ولو فعل ذلك لتخلص من هذا التكرار الذي أصاب البحث بالترهل، ولتوقف البحث عند عدد قليل من الفصول ذات الإيجابية في المراد، والفاعلية في المقصود، والتأثيرية في التلقي والتوصيل.

ثالثا: الظاهرة الأدبية (أدبية الرحلات)

وحين غاب المنهج القويم أو القريب من القوامة عن كتاب (الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي)، لأن صاحبه أراد أن يكون مخلصا للاستقصاء والإحصاء والتفصيل والتكرير الذي يؤكد القضايا العقدية والأمنية والعلمية والصحية والعمرانية والخدمية، كان طبعيا أن يكون الالتفات إلى الصبغة الأدبية هامشيا، إذ لم يقف الباحث عندها إلا وقوفا عارضا، وكان المنتظر منه وهو يتناول فنا أدبيا (فن الرحلات) أن يفرد فصلا يتبصر فيه الخصائص الجمالية في اللغة والتصوير والوصف والبناء والسرد، لكنه لم يفعل، وظن أن العناوين العارضة التي كان يعترض السرد التاريخي بها تسد الحاجة، وتدرك المطلوب، غير أن التباين بين العناوين والمحتوى في هذا المجال كان ظاهرة لافتة، فمن ذلك العنوان الذي طرحه الباحث: «السمات الأدبية للرحلة الحجازية بعد سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م» إذ جاء في تجسيده مايلي:« استمر تركيز الكتاب في هذه الفترة أيضا على بيان مناسك الحج والعمرة، ووصف الأماكن بطريقة تفيد المسافرين إلى الأراضي المقدسة، واستعان البعض برسم صور وخرائط الأماكن الهامة التي يمر بها الحجاج، كما استفادوا أيضا من المصادر الدينية كالدر المختار وفتح القدير وغيرها.

الشيخ أبو الحسن الندوي

وفي هذه الفترة اتسعت المساحة الجغرافية التي يتجول فيها الرحالة، واتسعت المساحة التي يعبر فيها أيضا عن مشاعره وأحاسيسه، مما يعطي الرحلة سمة أدبية واضحة إلى حد ما، بل زادت العواطف أحيانا،

وسيطرت على بعض الكتاب الأدباء، وبدأت الرحلات الأردية تتناول موضوعات متنوعة مثل مناقشة الأمور المؤثرة على المنطقة التي يزورها الكاتب، وإبداء وجهات نظر سياسية، ومناقشة موضوعات العلاقات بين الدول، هذا بالإضافة إلى ظهور الرحلة الرسمية، فقد قدم بعض الرحالة ضمن وفود رسمية إلى الجزيرة العربية وبخاصة بعد توحيدها» [٢٠].

وتحت عنوان «خصائص الرحلة الأردية في العصر الحاضر» قال الباحث: « ظهر عدد كبير من الرحلات انفردت كل واحدة منها بميزة خاصة تبعا لكاتبها، ويصعب بالطبع حصر هذه الرحلات، ولهذا سنعمل على انتقاء بعضها، ونشير باختصار على أن تشمل الفصول التالية البعض الآخر من هذه الرحلات» [٢١].

وتحت عنوان «الطابع العام للرحلات الأردية المعاصرة إلى الجزيرة العربية » جعل الباحث سرعة الحركة في السفر المعاصر تفقد الرحلة «عمق التفكير وإعمال التأمل.. والتدقيق والتمحيص والنقد السليم أحيانا، وتضمنت الرحلة تداخلا واضحا للعناصر الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وإن كان أسلوب الكتابة لدى المؤلفين قد ميزهم عن بعضهم البعض، وبقيت القيمة الأدبية للرحلة الأردية كما هي، وإن توقف الأمر على مكانة الأديب ومقدرته وبراعته في فنه، حين يعرض لانطباعاته، مما يجعل من رحلته فنية بمعنى الكلمة، وليست مجرد سرد لأحداث أو وصف لمشاهد» [٢٢].

إذا استثنى المتلقي النص الأول (السمات الأدبية) فإن النصين الآخرين فيهما عموم بعيد عن خصوصية الوصف بالأدبية «خصائص الرحلة» و «الطابع العام للرحلات» ولعل في ذلك ما يبرئ الباحث من تبعة الفنية والأدبية، غير أن المقاصد كانت معقودة على هاتين الظاهرتين من خلال إجرائية الكلام.

والملاحظ أن تحليل الباحث في هذه المحطات الثلاث كان فيه لواذ إلى التعميم والتنكير، هروبا من الخصوصية الأسلوبية، كقوله: « استمر تركيز الكتاب على بيان المناسك... ووصف الأماكن بطريقة تفيد المسافرين... كما استفادوا من المصادر الدينية كالدر المختار » وقوله: « واتسعت المساحة التي يعبر فيها أيضا عن مشاعره و أحاسيسه مما يعطي الرحلة سمة أدبية واضحة إلى حد ما، بل زادت العواطف أحيانا، وسيطرت على بعض الكتاب الأدباء.... »وقوله: « انفردت كل واحدة بميزة خاصة تبعا لكاتبها »، « أسلوب الكتابة ميزهم عن بعضهم البعض وبقيت القيمة الأدبية كما هي».

وبالصفة الأسلوبية العامة المطلقة دون تحديد أيضا، تناثرت بعض الأحكام العارضة خلال التعليق على بعض الرحلات، إلا أنها تصلح أن تقال في أكثر من نص، كقوله: «بيان المشاعر بأسلوب نثري رائع» [٢٣]، «مستوى أدبي رفيع» [٢٤]، ومثل ذلك ما جاء في أحكامه الأسلوبية على بعض الكتاب كقوله عن قيوم قريشي: « والكاتب صاحب قلم يمتاز بسهولة أسلوبه، وانتقاء ألفاظه، وسلاسة عباراته» [٢٥]، وكقوله عن حافظ لدهيانوي: « فكان لأسلوبه الجذاب أثر عظيم على قراءة الأدب الأردي، نظرا لما يتمتع به من قدرة فنية على التعبير الدقيق عن الأحاسيس الإيمانية» [٢٦]، وعن أسلوبه في وصف بعض الأماكن يقول: «كما ذكرنا يتميز الكاتب بتفرده في أسلوبه الوصفي وهو عادة يمزج عبق التاريخ بما يشاهده» [٢٧].

ولا يكاد يبرح الباحث (الدكتور سمير عبدالحميد) جانب الثناء على الرحلات وصفا وتعبيرا مجملا غير مفصل، إذ لا نجد موقفا في الكتاب ناقدا للبنية والتشكيل لأي من الرحلات، إلا ما كان من قبيل البادرة النادرة في مثل قوله عن رحلة شعرية بعنوان (كاروان حرم): « والحقيقة أن هذا الديوان ومحتواه الشعري لا يمثل الرحلة تمثيلا حقيقيا، لأن الشاعر لم يمض في رحلته كما مضى الأدباء الذين كتبوا رحلاتهم نثرا، ومن هنا افتقدت الرحلة إلى الترتيب الزمني من ناحية، والسرد القصصي من ناحية أخرى، بالإضافة إلى استطراداته العديدة فهو حين يكتب عن الطائف، لا يكتب عنها لأنه زارها، بل يكتب عن سفر رسول الله ﷺ إليها لتبليغ

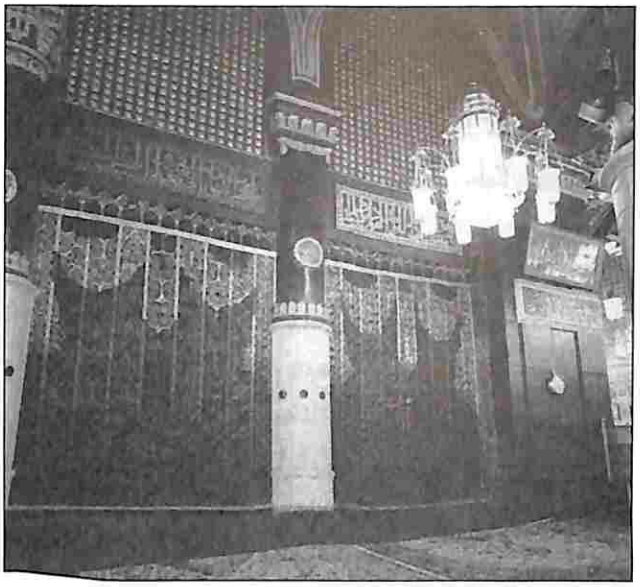

الدين الحنيف، إلا أن بعض عناصر الرحلة موجود لديه، فهو حين يصل مثلا إلى المدينة يصفها، ويتحدث عن المسجد النبوي، ثم يرحل عنها فيصف يوم الرحيل ومشاعره، ويصل إلى الهند، فتشده الذكريات من جديد إلى الأراضي المقدسة »[٢٨].

❖ ❖ ❖

وإذا تجاوزنا الملاحظ المنهجية السابقة فإن في الكتاب جهدا لا يخفى في الاستقصاء والإحصاء، إذ يعد مرجعا إحصائيا تحليليا للرحلات الأردية إلى جزيرة العرب، التي حملت قضايا ثمينة في السياسة والتاريخ، وأبانت عن أبعاد اقتصادية واجتماعية، فضلا عن طبائع نفسية.

وهذه القضايا والأبعاد ينتظم شمل ألوانها، ويجمع شتات أنواعها سواء منها الرسمية والذاتية، المكان بجماليته، إذ لم يعد حيزا ماديا، ومشهدا حسيا، أو لافتة إعلانية، بل أضحى في المفهوم الحديث شبكة من العلاقات الفكرية والثقافية والنفسية التي يحققها المكان بالتضافر مع عنصري أفقه: الزمان والشخصية، إذ لا يمكن تناول هذه الوحدات الثلاث (زمن، مكان، شخصية) باستقلالية دون أن تخترق هذه الوحدة من قبل الوحدتين الأخريين، لأن طبيعة هذه الوحدات تكاملية تضافرية [٢٩].

ولم تكن أشكال المكان قصرا على الشخصية والزمان، بل إن (الحج) كان الدافعية الأولى لتشكيل المكان، فضلا عن الذات وتداعياتها في المكان بالتذكر والحلم، إذ أظهرت هذه وذاك خصوصيات جمالية مميزة.

رابعا: أشكال المكان في الرحلات الأردية:

١ - المكان / الشخصية (الحجاز، الرياض ومدن الجزيرة العربية).

أبرزت الرحلات الأردية إلى الجزيرة العربية عددا من الشخصيات السياسية الرسمية والعلمية والاجتماعية التي كان لها مآثر متجلية في المكان، ذلك أن الإنسان إذا أغنى المكان بحضوره فيه، فإنه يمنحه جوانب من خصوصياته.

وكان للسلطان المعظم (سلطان تركيا) عبد الحميد مآثر سياسية، فهو يهتم بأمن الحجاج ورعاية شؤونهم، فهو « يعمل على نزع أسلحة البدو، مما جعل الطرق آمنة إلى حد ما، كما استقدم العديد من العساكر الأتراك بهدف القضاء على البدو المغيرين»[٣٠]، بل إن السلطان «قام بإجراءات أمنية مشددة فقلّت أو انعدمت مخاطر الطريق، وأخذت الأسلحة من البدو، وعين بعض المسؤولين لحراسة طرق القوافل »[٣١].

ويقف نواب حاجي أحمد حسين في رحلته سفرنامة وقفة طويلة عند الأحوال الأمنية في مكة، والممارسات السيئة من البدو حول مكة، والأتاوات التي كانت تجمع من الحجاج لحمايتهم بالتفاهم أحيانا وبالإيذاء أحيانا أخرى، وينقل تباين الرأي في موقف السلطان عبد الحميد خان من ذلك كله، لكنه يبرئ السلطان من ذلك ويعزز أمانته في رعاية شؤون الناس وعدالته فيهم إذ يقول: « ويتعجب الحجاج لماذا كل هذه الأمور السيئة في عهد حكومة السلطان الذكي عبد الحميد خان؟! ويعتقد البعض أن السلطان يعرف كل هذه المساوئ، ولكن الأمر غير ذلك، فلو علم لتصرف وقضى على هذا السوء بينما يعتقد البعض الآخر أن هذه الضرائب والأتاوات تذهب إلى السلطان، ولهذا فهو لا يحاول رفع هذا الظلم، ويعتقد الآخرون أن السلطان ساكت بسبب التجهيز والإعداد

لسكة حديد الحجاز، كان يفكر بطريقة تختلف عن الآخر... والله أعلم لماذا يسكت السلطان على هذا... إنها أمور سياسية، لأن طبيعة السلطان تأبى الظلم، وعرش الدولة العثمانية لم يعتله مثل هذا السلطان »[٣٢].

وللسلطان عبد الحميد مآثر أخرى دينية وعلمية وحضارية وصحية، فقد كان اهتمام السلطان بالحرم المكي والمسجد النبوي ظاهرا، إذ بلغ « عدد خدم الحرم المكي ستمئة وأربعين خادما من بينهم ثلثمئة موظف، وهم معينون من قبل السلطان »[٣٣]، وقد تمت إنارة الحرم بالكهرباء قبل سنة ونصف من عام ١٩٢١م»[٣٤].

وفي الناحية العلمية يذكر من مآثر السلطان عبد الحميد بناؤه المدرسة المحمودية التي تقع إلى جوار باب السلام وباب الرحمة من المسجد النبوي « وهي مدرسة عظيمة، بناها السلطان وفيها مكتبة تضم ستين ألف كتاب، ويكثر فيها الطلاب الذين يحصلون على منحة السلطان[٣٥] . وفي الحرم المكي كان هناك مكتبتان، الثانية منهما هي مكتبة السلطان عبد الحميد خان » وهي في الطابق العلوي... وحجراتها مفروشة بالسجاد، والضوء فيها متوفر، ويمكن للقارئ أن يجلس في راحة تامة ليطالع ويقرأ ما يريد، وهذه المكتبة على باب دريبة، ومتصلة بباب السلام »[٣٦].

ومن مآثر السلطان الاقتصادية ما كان من جهود الحكومة التركية لدعم الحالة الاقتصادية في الحجاز، منها « تقسيم الأموال على العلماء والشيوخ، بالإضافة إلى قيام جمال باشا بتوزيع الحبوب على أهل المدينة المنورة»[٣٧].

وفي المجال الاجتماعي والصحي يذكر من المآثر التركية في المدينة المنورة مكتب البريد والبرق خدمة للحجاج، والأربطة (مسافر خانة) التي «يصل عددها إلى أربعمئة رباط، ولكل بلد رباط خاص به،الرباط المصري، والرباط الشامي... ويسكن في هذه الأربطة أهل كل بلد دون دفع أجرة الإقامة، والمستشفى هنا كبير جدا، ومديره هو أمين أفندي يعمل معه جراحان...»[٣٨] زد على ذلك أن في ينبع «وجد منذ عهد الأتراك آلة لتنقية مياه البحر، وجعلها صالحة للشرب، والماء صاف ولذيذ »[٣٩].

فالسلطان عبد الحميد هو محور المكان في زمن الخلافة العثمانية، وإليه تنسب مآثره وجماليته، ولئن كانت مكة والمدينة في موقع الوقفة المتأنية من الرحلة الأردية فلأنها محط العبادة(الحج) ومرتكز غاية الرحلة، غير أنه قد ذكرت مآثر في مدن أخرى غير أنها كانت عارضة كالطائف، وينبع، والعقبة...

❖ ❖ ❖

ويأتي الملك عبد العزيز في المرحلة التالية لانتهاء الخلافة العثمانية، فكان علما في المكان، وتجاوزت مآثره (مكة والمدينة) إلى مدن كثيرة في الجزيرة، كالرياض وجدة والطائف وغيرها.

وتبدو معالم شخصية الملك عبد العزيز جمالية الأبعاد الظاهرية والباطنية في الرحلات الأردية، فهو بسيط اللباس، كما يقول غلام رسو ل مهر، إنه « كما هو دائما، في لباس بسيط وبنفس العباءة البسيطة وفي قدميه ذلك (الصندل) النجدي»[٤٠]، ويؤكد عبد الماجد الدريا آبادي: « كان لباس السلطان بسيطا، لا يختلف حقيقة عن لباس أي شخص آخر، وتميزت شخصيته ببساطة شديدة، ولو لم يخبرنا أحد بأن هذا هو السلطان لما عرفناه، ودعوت له الله أن تكون حياته وأخلاقه بكل جوانبها بسيطة بساطة لباسه هذا، وببساطة شخصيته هذه [٤١].

والملك عبد العزيز هو محور المكان في الرحلات الأردية التي تلت عهد الخلافة العثمانية،«لقد كان سوء الأمن والاضطراب الذي أعقب عهد الخلافة الراشدة سببا في زيادة المشقة، والحمد لله، فإن الأمن والأمان في عهد السلطان عبد العزيز يتحقق»[٤٢].

وإذا كانت هذه الإشارة المقارنة بين عهدين جاءت عارضة سريعة، في رحلة مولانا غلام رسول مهر(عام ١٩٣٠م)فإن التأكيد على ذلك جاء في الرحلات التالية بعد ذلك، معللا بأسباب من تطبيق الشريعة الإسلامية في حد السرقة خاصة، إذ يقول الأديب ماهر القادري في

رحلته عام ١٩٥٥م:«إن التسهيلات التي يتلقاها الحجاج في ظل الحكومة السعودية لم يجدوها أيام الحكم التركي، ولا يمكن مقارنتها بها، فقد كان أكبر ما يقلق الحجاج عدم وجود الأمن من ناحية، وخطورة الطرق من ناحية أخرى، فقد كان السفر يتم على ظهور الجمال، حيث يمضي الحجيج في قوافل، فيخرج عليهم البدو المسلحون من أحضان الجبال، يهددونهم ويسلبون أموالهم وأرواحهم،...ولكن بعد قدوم السلطان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود قام بالضرب على أيدي هؤلاء البدو، فصارت الطرق الآن في جزيرة العرب آمنة»[٤٣].

ومن جماليات المكان في هذا المجال بالمفهوم الإسلامي للجمال ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ مشاهدة دار القصاص التي أقامتها الحكومة لتطبيق الشريعة الإسلامية، إذ وضع على بوابتها «ألبوم» كبير فيه صور المتهمين الذين حوكموا، سواء بقطع اليد إن كانوا من السارقين، أو بالقتل إن كانوا ممن ارتكبوا جرائم قتل، كان المارون يتطلعون بعيون ملؤها العبرة...»[٤٤].

السلطان عبدالحميد

إن كثيرا من المآثر التي تتعلق بتحسين الأحوال المعيشية والأمنية والخدمية في جزيرة العرب / الحجاز، مما يعد في حسنات الملك عبد العزيز، التي أشادت بها الرحلات الأردية، غير أن هذه المآثر تنامت وتنوعت كما وكيفا في عهد أبنائه من بعده في مجال التعليم والمرافق الحيوية كالصحة، فضلا عن المشهد الحضاري المادي لبعض المدن كالرياض في الرحلات الرسمية، والطائف وجدة ومكة والمدينة المنورة في الرحلات الذاتية.

ومن المآثر التي تتصدر المشهد الحضاري والديني معا، توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي، فعن توسعة الحرم المكي يقول المودودي: « أثناء إقامتنا في مكة المكرمة، أتيحت فرصة مشاهدة توسعة الحرم المكي... ومشاهدة هذه التوسعة تجعل الإنسان يقدر لاستكمالها اثنتي عشرة سنة على الأقل... وتقدر تكلفة هذه التوسعة بمئتي مليون روبية، وجميع نفقات هذه التوسعة على حساب الملك سعود ومن ماله الخاص....»[٤٥].

وعن المسجد النبوي الشريف وتوسعته كتب حافظ لدهيانوي (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م): « إن هذا المسجد نموذج نادر لفن العمارة، وهو أحسن المباني في العصر الحاضر، لقد بنته الحكومة التركية ليس بالمال والذهب، ولكن بالإخلاص والحب والاحترام... وعلى مرّ العصور ستظل دقات قلب الأتراك تدق في عمارة المسجد النبوي».

ثم كان القسم الثاني من عمارة المسجد في عهد الملك سعود والملك فيصل، وهاهي المحبة وهاهو الإخلاص، كلاهما معا يشعان من مبنى المسجد النبوي، والفن السابق مع الفن اللاحق، كلاهما نموذجان رائعان مختلفان لفن العمارة، وملامح عمارة كل زمان تختلف عن أختها في روعتها وحسنها....»[٤٦].

وعن توسعة المسجد النبوي الشريف يقول الأديب ماهر القادري: « سمعت أن الحكومة السعودية أنفقت على توسعة المسجد النبوي حتى الآن (١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) حوالي ٤٠٠ مليون روبية، وتم الانتهاء من التوسعة ناحية باب الرحمة، والتوسعة بكل المقاييس ليست جميلة فقط، بل تستحق المشاهدة...»[٤٧].

٢ - المكان / التاريخ (مكة / المدينة / الطائف/ العلا)

كانت الحجاز بمدنها مكة والمدينة والطائف من الأمكنة التي تتخذ شخصية زمانية في الرحلات الأردية، إذ المكان يستحضر تاريخيا لارتباطه بعهد مضى، أو لكونه علامة في سياق حاضر [٤٨]، والرحلة الأردية حادت في أكثر ما ذكره الدكتور سمير عبدالحميد عن

رحلات عن تاريخ الإسلام في هذه الأماكن (الحجاز) إلا ما كان من ملامح عارضة عن الآثار الإسلامية، من ذلك جبل أحد في رحلة أيام في ديار الحبيب لعبادت بريلوي عام ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، إذ الموت في هذا المكان ذو روائح عطرية مميزة تنبعث من حكايات المجاهدين والشهداء، فقد أخرج التاريخ جبل أحد من الوحشة إلى الجمال، ومن العتمة إلى الضياء، ومن النسيان إلى الحياة،«يقع هذا المطعم في حضن جبل أحد، وهنا سمعنا حكايات الماضي عن جبل أحد، وشاهدنا آثار عظمة الأزمنة القديمة، حكايات الشجعان وحكايات المجاهدين، وحكايات الغزاة وحكايات الشهداء... ومن الجبل الأصم التي عمت الميدان كله، وراحت أوراق الماضي تتقلب أمام عيني وأنا جالس في المقهى (المطعم)...»[٤٩].

وكذلك يقال عن مقبرة البقيع التي هي علامة مميزة لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم، فهي جزء من تاريخ الإسلام فيها جمالية العبرة، وفيها محاسن التضحية، إذ يقول أسعد كيلاني:« هنا يرقد أصحاب مقبرة البقيع الذين نمضي على دربهم، تخبرنا آثارهم بأننا جميعا إلى زوال، وأننا خلقنا من تراب وإلى تراب نمضي، ومدينة البقيع مدينة الصامتين، تحوي بداخلها أوراقا لا تعد ولا تحصى من تاريخ الإسلام عبر السنين، كل قبر علامة... متاع العبرة متناثر في كل مكان »[٥٠].

٣ - المكان / الدين (مكة / المدينة / الرياض)

كانت الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقصد الرحلات الأردية الأول، ومعقد الغاية، محط الأمل في التقرب إلى الله بأداء فريضة الحج، فكان طابعها دينيا في المرتكز والرؤية، ولذلك كانت الوقفة في هذا المكان هي الأوفى والأطول.

وجاء الحديث عن فضائل هذا المكان يحمل قيما روحية، مما أضفى عليه جمالية خاصة في ظواهر منوعة، فالتراسل بين المشاعر وقدسية المكان ظاهرة في الرحلات الأردية، إذ إن التعبير عن الأحاسيس جاء متساوقا وعظمة المكان، فالدعاء والقرآن والأذان

الملك سعود والملك فيصل

والصلاة ذات صدى خاص، واستشعار مميز، يقول ممتاز مفتي بعد أن تخلص من المطوف:« الآن لا يوجد حائل بين وبين ربي، لا الشوط الأول، ولا الشوط الثاني ولا الثالث... لأول مرة في الحياة يصبح بيت ربي من أجلي ... لأول مرة يصبح بيت ربي أمامي وجها لوجه، وأنا أدور حوله دورانا كله وَلَهٌ... في ذلك الوقت لم تكن هناك لذة أطيب من لذة الطواف، كان قلبي يود أن يستمر ويستمر....»[٥١].

وعن سماعه للأذان في الحرم المكي يقول: « حين سمعت الأذان لأول مرة، وأنا جالس في الحرم، شعرت بهزة في داخلي... ما هذا الشيء؟ قفزت من موضعي، أحسست كأنني أسمع الأذان لأول مرة في حياتي، لقد هزني الأذان هزا شديدا، ونهضت واقفا، وتسمرت في مكاني... من ذا الذي ناداني »[٥٢].

وعن الحلم والرؤية والواقع في زياة المدينة المنورة يقول أسعد كيلاني في مشاهدات الحرمين: « هذه الحارة... حارة أحلامي،الحارة التي تمر من الحائط الشرقي للمسجد النبوي، وتتجه إلى الحجرة النبوية، لقد قضيت عمرا طويلا مضطربا مشتاقا إلى هذه الحارة، ورحت في أحلامي أرسم صورة لهذه الحارة، لم أشعر بشيء، وشعرت كأنني في بيتي، وكل شيء حولي هو ملك لي، يرفرف على وجودي »[٥٣].

وتجسيد المكان للدين ملحوظ في بعدين، أحدهما: عقدي تعبدي، وثانيهما: سياسي.

أما البعد العقدي التعبدي فقد رأى من خلاله الدكتور نصير أحمد ناصر في رحلته (حكاية الجذب والشوق) ثلاث صفات جمالية إذ يقول: « أعجبتني في أهل البلاد محاسن ثلاث وأغبطهم عليها: فهم موحدون وبعيدون عن الشرك وعبادة الأصنام، وهم متوكلون على الله، وهم يعتبرون الأولاد والحياة أمانة إلهية، لهذا لا يصرخون، ولا يبكون على من مات، ولا يتأسفون، بل يخفضون الرأس أمام المشيئة الإلهية...»[٥٤].

ومن جماليات المكان السلوكية الدينية ما لاحظه أسعد الكيلاني وأثر فيه، وهو غياب صورة الشيخ الصوفي ومريده إذ يقول: » والأمر الثاني الذي أثر في كثيرا، هو أنني لم أجد أي مزار أو خانقاه أو خرافة الشيخ والمريد، لا يوجد أي منظر أو مظهر من مظاهر الشرك في أي مدينة أو بلدة، والواضح هنا أن جميع أهل البلاد كلهم من الموحدين، يكرهون الشرك وعبادة الأصنام »[٥٥].

والبعد العقدي التعبدي في جزيرة العرب في صفائه ونقائه من البدع مرده إلى الحركة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي الحركة التي هدفت إلى تطهير الإسلام من البدع، ومن هنا كما يقول الدكتور شجاع نانوس في رحلته (سفرنامة حج وحرمين): « استمدت قوتها حتى اليوم، وهي حركة تقول بأنه لا يوجد في الإسلام فرق، فالمسلمون كلهم فرقة واحدة يعبدون إلها واحدا لا شريك له، ويتبعون سنة الرسول ﷺ ويتمسكون بتعاليم القرآن الكريم، وهذا يعني عدم التقليد...»[٥٦]،

ويؤكد دعاة هذه الحركة أنه: « إذا وجد في كلام ابن تيمية أوالشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يتعارض مع الحديث النبوي فسوف نتركه فورا»[٥٧].

أما *البعد الديني السياسي*، فقد كشفت الرحلات عن مواقف رسمية وفردية ذات تعلق بمناهضة الدعوات المنحرفة عن جادة الإسلام، حيث كان للملك عبدالعزيز موقف من القومية العربية، فقد أوضح مساوئها في خطاب له بعد وصوله مكة قادما من نجد وفيه رد على الهتافات (عاشت القومية العربية) التي رددها بعض قصار النظر من الذين اجتمعوا في دار المؤتمر الواقعة في أجياد، في الاحتفال بيوم جلوس السلطان أثناء غيابه[٥٨].

ويكاد المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز (٨ ربيع الآخر ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م) يكون الظاهرة السياسية الوحيدة التي تناولتها الرحلات الأردية، لأهميتها في سياق التشكيل السياسي للجزيرة العربية، أما نشاط رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي فلا نجد التفاتا لهما.

وعلى الرغم من ثناء بعض الرحلات الأردية على عدد من علماء الجزيرة العربية كمحمد بن إبراهيم وابن باز الذي كان بالإضافة إلى إخلاصه وعلمه وذكائه وبساطته، نال محبة الناس ونال شهرة في جميع البلاد بسبب جرأته في قول الحق»[٥٩]، وعلى الرغم من امتداحه لكتاب «النظرية السياسية » لأبي الأعلى المودودي [٦٠] الذي قد يكون صادرا عن الرؤية ذاتها التي ذهب إليها الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من أن المودودي تأثر في كتابه المذكور بحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب [٦١]، على الرغم من هذا وذاك فإن مفهوم العلماء فيما يقول حمد الجاسر للدعوة «محدود ونظرا لعدم معرفتهم الواسعة لشؤون العالم الواسع من حولهم، فإن هذا يحول بينهم وبين الوصول إلى التطوير العلمي، وبالتالي يكون تأثيرهم على أرباب الحكومة ضعيفا» [٦٢].

٤ - المكان / الذات

حمل الرحالة الأرديون مدنهم التي ارتحلوا عنها إلى مختلف الأماكن التي حطوا رحالهم فيها، خاصة

مدن الحجاز والرياض وجدة، إذ ربطوا بين هذه الأماكن بتناظر وتآلف تارة، وبمغايرة ومفارقة تارة أخرى، في مجالات شتى، البشرية والسياسية والحضارية والاجتماعية، إذ نجد حضورا للكهنو وروالبندي وكشمير ولاهور، ذلك أن المكان «الذي نحبه يرفض أن يبقى منغلقا بشكل دائم، إنه يتوزع، ويبدو كأنه يتجه إلى مختلف الأماكن دون صعوبة، ويتحرك نحو أزمنة أخرى»[٦٣]. غير أن المتلقي يجد أحيانا استحضارا عاما للهند وباكستان دون تخصيص مكان مقيد محدد، وفي ذلك دلالة على اتصال الوطن بالداخل على الرغم من الانفصال عنه في الخارج، فضلا عن أن حضور المكان الغائب لم يكن جمالا ماديا مقيدا مغلقا، بل أكثر حضوره معنويا مفتوحا على إشارات ودلالات متعددة.

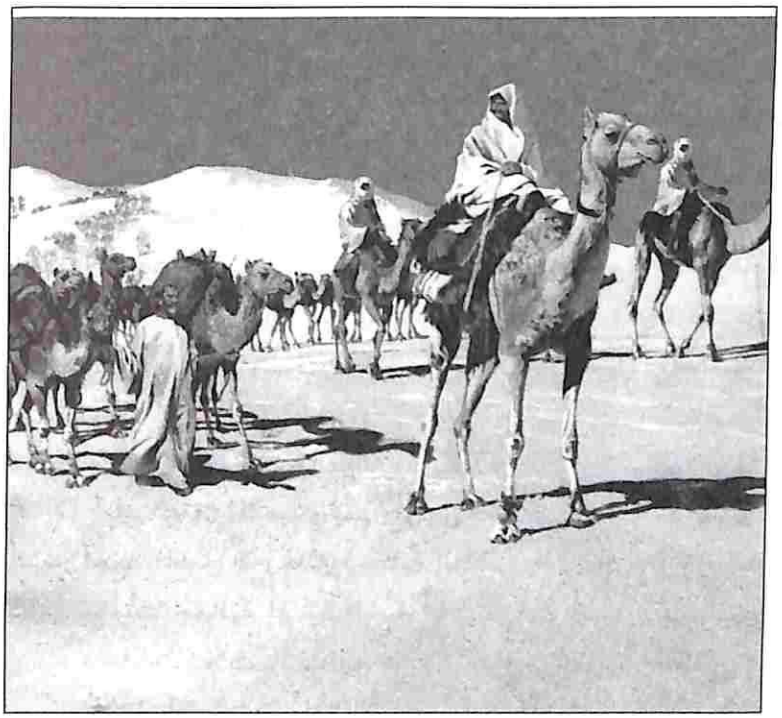

ففي المدينة المنورة يربط القاضي محمد بن سليمان المنصوربوري بين أهلها وسكان كشمير بالقول: «وشرفاء العرب وأولادهم، حسان الوجوه، يعلو وجوههم بياض تشوبه حمرة، إذا ما نظرت إليهم حسبتهم من كشمير»[٦٤].

وللمشهد الحضاري المماثل ظهور في الرحلة الأردية إلى الجزيرة العربية فمكة المكرمة على سبيل المثال: « ليست مجرد مكان للعبادة فقط، بل هي مدينة حضارية وثقافية، فيها المدارس والمستشفيات... وجميع مظاهر الحضارة والمدنية، ولو صرفنا النظر عن أماكن العبادة لما شعر الإنسان بأن هذه مدينة تقع في جزيرة العرب، وتشعر وكأنك جالس في مدينة لكهنو أو كانبور أو أكره... الأسواق واسعة فسيحة... وتوجد مكاتب للبرق والهاتف... وأماكن للعلاج والتطبيب، وصيدليات لبيع الأدوية من كل نوع، حتى تلك الموجودة في صيدليات دهلي وأوده والبنجاب والدكن وبمباي والكجرات... كل هذا يعيد إليك ذكريات الهند»[٦٥].

وإذا كانت الذاكرة تستدعي في المكان النظائر والمفارقات، وتقيس الأشباه بالنظائر في حدود التجربة المباشرة والأفق القريب المحدود المحسوس، فإن الحلم يقفز إلى أمل، وإلى الأفق غير المنظور سعيا للتغيير، وأملا في التبديل، فهو يبلور تشوف النفس، ويعكس خيال الخاطر، في تجاوزه للواقع، ومجانبته للمحسوس، وحياده عن المشاهد، فتبدو في المكان مستويات متعددة للحلم تسافر في أزمنة مختلفة، وترتحل إلى أماكن بعيدة لترسم نماذج بشرية، وأخرى حضارية [٦٦].

فمن الأحلام السياسية التي تتسلل من خلال المكان ما جاء في اقتراح مولانا عبدالماجد دايا أبادي إلى السلطان عبدالعزيز «أن تقوم الهيئة الدينية في المملكة باستشارة العلماء في حل المشكلات التي تواجهها الحكومة السعودية في الحجاز، واقترح من علماء الهند (عددا)»[٦٧]. وفي هذا السياق ما جاء من دعاء الأديب ماهر القادري إلى الله أن يوفق الملك سعود «ليحتذي خطوات حكومة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه »[٦٨]، وبالسؤال الذي يتعاور فيه الحلم الآمل بالحقيقة والواقع توجه أبو الأعلى المودودي لنائب رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر في نجد: « هل يمكن أن تطبقوا أحكامكم على أي فرد من أفراد الأسرة المالكة؟ ففكر وقال: من يعرف أنه ارتكب أي جرم، فلا توجد قوة تعفيه من العقاب»[٦٩].

ويتراءى الهم الاقتصادي في بعض الرحلات الأردية من خلال نقد الذات / الجماعة المسلمة لعجزها وقصورها عن أن يكون لها باع في مجال الصناعة التي تعج بها أسواق مكة والمدينة ويتهافت الحجاج على شرائها ليعود ناتجها إلى خزائن لندن وواشنطن.

والزائرون للمسجد النبوي لا يحترمون المقام النبوي، إذ يقرأ المزوِّر الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويردد الزائرون من ورائه ما يقول بصوت عال، لدرجة أن المسجد كان يرتج من أصواتهم، ونسي هؤلاء قوله تعالى: ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾، إن ما يقوم به المسلمون اليوم لا يتطابق أبدا مع التعليمات الإسلامية، فالزائر يأتي لا تمييز عنده، لا يعرف الوقار ولا السكينة ولا الخشوع ولا التواضع...»[٧٠].

تجدر الإشارة إلى أن مقترحات غلام رسول مهر العشرين التي تمنى لو قام العارفون باللغة الأردية بإيصالها إلى الحكومة السعودية [٧١] تحقق أكثرها، مما رفع من شأن جمالية المكان في مكة والمدينة وعرفات والمشاعر المقدسة.

ومما لفت انتباه أسعد كيلاني في رحلته عام ١٩٧٦م، وجود تمثالين أمام بوابة سفارة تايلاند بجدة، وقد عبر عن غضبه بتساؤل: « كيف وصلت هذه التماثيل إلى أرض التوحيد؟ لا بد أن تكون قد وصلت في الخفاء، لأنه غير مسموح بدخول التماثيل إلى أرض المملكة »[٧٢].

بقي أن أشير إلى أن مما تتكامل به الرؤية في جمالية المكان (الجزيرة العربية) في الرحلات الأردية، الوقوف عند أساليب تشكيل المكان التي جاءت بطرائق متنوعة، كالوصف بوظائفه المختلفة الزخرفية والتفسيرية والإيهامية، والسرد بجمالياته القصصية والحوارية، والتعبير بأدواته من اللغة والتصوير، وهذا ما لا تستوعبه هذه التغطية التحليلية المقيدة بعدد من الصفحات. وعسى الله أن يهيئ لها قدرة في الاستيعاب في قادم الأيام، إنه ولي ذلك والمعين عليه. ■

الهوامش:

(١) نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ضمن سلسلة آداب الشعوب الإسلامية. الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص٣٨ - ٣٩.
(٢) ص ١١٠- ١١١.
(٣) ص ١١٤- ١١٥.
(٤) ص ١١٨- ١١٩، وانظر ص ١٤٩.
(٥) انظر ص ٥٣١- ٥٣٣.
(٦) ص٩.
(٧) ص١٥.
(٨) من ص٣٢ - ٧٨.
(٩) ص٥٤.
(١٠) انظر ص٧٦ - ٧٧.
(١١) ص ١٠٤.
(١٢) ص ١٢٥ - ١٣٣.
(١٣) ص ٢٦٨.
(١٤) ص ٦٥٧.
(١٥) ص ٢٦٤.
(١٦) ص ٣١٧ - ٣٣٥.
(١٧) انظر ص ٥١١ - ٥١٥.
(١٨) ص ٥٥٨.
(١٩) انظر ص ٢٦٥.
(٢٠) ص ١٢٥.
(٢١) ص١٣٧.
(٢٢) ص٤٣٤ - ٤٣٥.
(٢٣) ص ١٤٧.
(٢٤) ص ١٤٦.
(٢٥) ص٤٣٨.
(٢٦) ص ٤٤٠.
(٢٧) ص٤٤٢ - ٤٤٣.
(٢٨) ص ٤٦٥.
(٢٩) المكان في النص، صبحي الطعان، المعرفة، ع ٣٧٨، آذار ١٩٩٥، ص ١٩٠.
(٣٠) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص ١٥٤.
(٣١) ص ١٥٥.
(٣٢) ص١٦٧.
(٣٣) ص ١٦٢.
(٣٤) ص ١٩٥.
(٣٥) ص ١٧١.
(٣٦) ص ١٩٥.
(٣٧) ص ١٧٨.
(٣٨) ص ١٧٣.
(٣٩) ص ٢٠٢.
(٤٠) ص ٢٢٦.
(٤١) ص ٢٥٠.
(٤٢) ص ٢٢٣.
(٤٣) ص ٣٣٤-٣٣٥.
(٤٤) ص ٥٢٠.
(٤٥) ص ٣٧٢-٣٧٣.
(٤٦) ص ٤٤١-٤٤٢.
(٤٧) ص ٣٣٢.
(٤٨) حركية الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص٣٠.
(٤٩) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص ٤٤٣.
(٥٠) ص ٤٢١.
(٥١) ص ٤١١.
(٥٢) ص ٤١٣.
(٥٣) ص ١٤٥.
(٥٤) ص ٤٣٤.
(٥٥) ص ٤٣٢.
(٥٦) ص ٣٨٧.
(٥٧) ص ٣٦٧.
(٥٨) انظر ص ٢٢٨-٢٢٩.
(٥٩) ص ٣٥٣-٣٥٤.
(٦٠) ص ٢٩٠.
(٦١) ص ٢٧٤.
(٦٢) الجزيرة العربية، ص ٢٧٣-٢٧٤.
(٦٣) جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠م، ص٧٢.
(٦٤) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص ١٩٩.
(٦٥) ص ٢٥٥.
(٦٦) انظر إضاءة النص، اعتدال عثمان، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٧.
(٦٧) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص ٢٥٠-٢٥١.
(٦٨) ص ٣٣٤.
(٦٩) ص ٢٨٨.
(٧٠) ص ٢٤٥.
(٧١) انظر ص ٢٥٦-٢٦١.
(٧٢) ص ٤٢١.

قصة قصيرة

بهلول ينصح السلطان

بقلم: عادل فرج عبدالعال
مصر

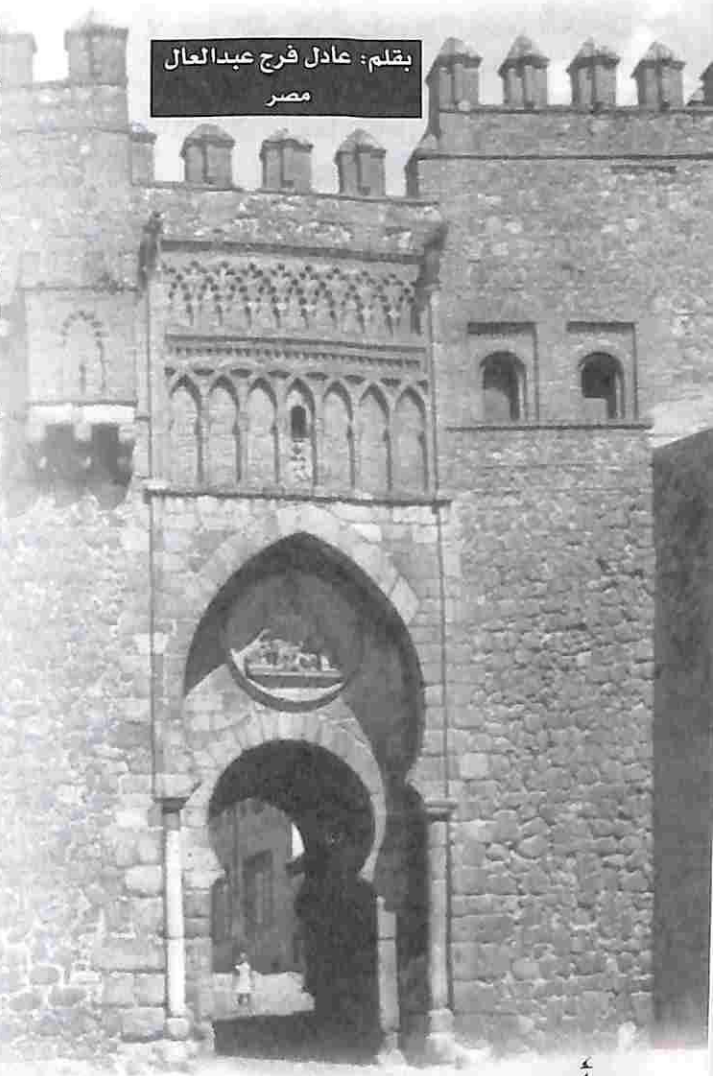

أحكم الليل قبضته على المدينة.. ترصعت المدينة المغرمة بالسهر بالأضواء.. تزينت بالأنوار.. الناس ساهرون في البيوت والمقاهي والحانات.. يجعلهم التلهف على معرفة ما جد من أخبار.. والإحاطة بما جرى من الأحداث.. الأضواء منبعثة من القلعة الجاثمة فوق الهضب.. دلت على أن السلطان ورجاله ساهرون.. حراس الأبواب يتسقطون أنباء الداخلين والخارجين إذا سنحت الفرصة..

في الشارع الصاعد إلى القلعة.. كان مقهى البهلول.. يستند على السور الشاهق للقلعة بأحجاره العملاقة.. لم يكن البهلول يمتلك المقهى، لكن وجوده المستمر أكسب المقهى اسمه وشهرته، وجذب الكثيرين إليه من «الحرافيش» ورجال السلطان العاملين في القلعة.. وكان ما يقدمه المقهى من مشروبات وحلوى يجتذب الكثيرين ليتذوقوا القرفة المطعمة، والحلبة الممزوجة بالحليب، والقهوة المحوّجة، والشاي، والدخان، والمكيفات المسموح بها.. يستوي في ذلك «الحرافيش» ورجال السلطان..

جذب «عواد الحمقي » أنفاسا متلاحقة من نرجيلته، فازدادت حمرة الجمرات.. وخرجت كلماته مختلطة بالدخان :

-إذا رغب الملك عن العدل.. رغبت الرعية عن الطاعة.

اعترضه «المعلم عباس أبو حجر» وقال بحدة بعد أن جرع ما تبقى في كوز الحلبة:

- إذا لم يقبل الرأي منك فالسكوت أولى بك..

فتح البهلول عينه اليمنى، وقال بإخلاص:

- «الساكت عن الحق شيطان أخرس»..

أطل «المشاعيلي ظالم» بوجهه القاسي الملامح من النافذة المطلة على الطريق وقال بصوته المميز وبلهجة الحكام :

- السلطان يطلبك يا بهلول..

سرت في جوى المقهى موجات من القلق والتوتر والتنقيب..

تمطى البهلول وفتح عينه اليسرى وقال بتلكؤ محسوب:

- دعني أنته من زبدية المشبك، فأنا لا أتعجل لقاء السلطان..

سرت همهمة تشي بالارتياح بين الجالسين..

في الطريق إلى القلعة.. لم يتبادل بهلول الحديث مع المشاعيلي ظالم كعادته دائما وظلت عيناه تجوسان بين نجوم السماء.. سأله مقدم الحرس وهو يدخل باهتمام :

- ما هي آخر الأخبار يا بهلول..

نظر بهلول إلى السماء، وقال بصوت حالم : - أبدع من

رصع رداء السماء الأسود بهذه الماسات البراقة..

غمغم مقدم الحرس بصوت حانق لم يسمعه سواه:

- أحمق ومخبول.. ويزيد عليه في الحماقة والخبل أن السلطان يستشيره..

نهض السلطان.. احتضن البهلول بشوق.. أجلسه معه على أريكته.. بإشارة من يده.. أخلي القاعة.. لم يبق إلا خادمه الأصم.. الأبكم.. تسلل المخدر الذي يحمله دخان نرجيلة السلطان الأزرق إلى كل من في القاعة، حتى البلبل المحبوس في قفص ذهبي.. كف عن التغريد الذي كان يتسلى به من آن لآخر.. لم يبق إلا صوت قرقرة النرجيلة ينغمه السلطان على هواه..

انتزع صوتُ السلطان البهلولَ من التلصص على النجوم من خلال فتحات المشربية.. قال السلطان:

- ما رأيك فيما حدث اليوم ؟.

رد البهلول بسرعة حتى لا تفوته اللحظة الأخيرة في حياة شهاب تجرأ على الاقتراب من الأرض:

- الجوع كافر.. والكافر فاجر..

نهش السلطان تفاحة حمراء، وقال بصوت ينبح بالعجب:

- أي جوع..؟.. القاضي ابن النحاس.. أكد لي أن العوام يشترون ذهبا وبفضتهم يشترون حلاوة، ونصحني بفرض ضرائب جديدة..

قهقه البهلول، وقال :

- أوشك القاضي أن يدفع حياته ثمنا لهذه النصيحة، وكاد أن يموت من الصفع والركل.. لولا أن خلصه المشاعيلي من أيديهم.. غشك يا مولاي.. القحط ذهب بالذهب وفض الفضة..

تململ البهلول في مجلسه، ومسح دمعة فرت من عينه وجرت على خده، وتابع كلامه بصوت تخنقه المرارة..

- الفقراء يشتهون الخبز.. ويحلمون برغيف، وتغزل شاعر منهم بقصيدة طويلة في الرغيف الذي هجرهم وأطال الغياب..

قام البهلول واتجه نحو الباب.. لم يستأذن السلطان في الانصراف كعادته.. نفث السلطان الدخان وأخذ يراقب الصور والأشكال التي يتحول إليها.. وقبل أن يخرج البهلول سأله:

- هل يدعو العوام عليّ؟..

قال البهلول بسؤال دون أن يلتفت إليه :

- ماذا تظن أنت يا مولاي ؟..

انتبه مقدم الحرس لخروج بهلول.. سأله وقد رسم ابتسامة متملقة على وجهه:

- ما الجديد يا سيدي البهلول ؟..

رد البهلول وعيناه تتابعان النجوم:

- صارت العيون من زجاج، والآذان من صوان، والقلوب من فولاذ..

بعد أن ابتعد البهلول.. همس مقدم الحرس في أذن المشاعيلي ظالم :

مضى البهلول يرقى صاعدا جبل المقطم قاصدا الغار الذي يتعبد فيه شيخه.. بلغه أن أحد النجوم تغمز له، فتشجع على البوح بما يثقل قلبه.. هذا الجبل شهد الكثير من الأحداث، ولكنه محزن، وأقل القليل يسر القلب..

دلف إلى الغار.. الشيخ جالس على حصير.. يحرك حبات مسبحته وهو غارق في بحر الذكر الخفي.. جلس يستمع إلى صوت حبات المسبحة.. إيقاع زمن خاص بالشيخ وبغاره.. أخرجه صوت الشيخ من الاستماع إلى صوت النجوم وهي تسافر في بحر الكون، وقال :

- في عينيك سؤال حائر ومحير ؟..

قال متعلقا بطوق النجاة الذي ألقي له في بحر الحيرة المتلاطم الأمواج :

- هل تدعو على الظالم ؟..

تكدر صفاء عيني الشيخ لبرهة، ثم قال وكان الهدوء يكشف كلامه :

- لا.. لأن ظلمه وجوره لم يصدر عنه وإنما صدر عن رعيته المظلومين بحسب الأعمال.. وإنما هي أعمال الرعية ترد عليهم، وقد قيل : «الحاكم الجائر عدل الله في أرضه ينتقم به من خلقه، ثم يصير إلى الله. فإن شاء عفا وإن شاء انتقم منه.. وربك فعال لما يريد، وهو الغفور الودود»..

سكت الشيخ وعاد إلى الغوص في بحر الذكر الخفي.. وعاد البهلول إلى التطلع إلى النجوم.. ■

الدكتور محمد مرتاض لـ «الأدب الإسلامي»

الإساءة إلى الدين في الأدب يعجل بنهاية الكاتب

أسرة المراتضة أسرة عريقة في تاريخ الجزائربجهادها العلمي والثقافي نحن - الجزائريين- على الأقل نحتفل بها لما قدمته للمدرسة الجزائرية والأدب الجزائري العربي.

من أبيهم الشيخ سيدي عبد القادر طيب الله ثراه، إلى أكبرهم علما وسنا الدكتور محمد عبد المالك مرتاض، ثم الدكتور محمد مرتاض، ثم د. عبدالجليل مرتاض كلها أسماء معروفة بالنحو والبلاغة والأدب وكثرة التأليف.

«الأدب الإسلامي» التقت الأديب الدكتور محمد مرتاض في هذا الحوار:

حوار : رشيدة بن ناصر
الجزائر

❖ كيف كانت بدايتكم الأدبية وأنتم في أول الطريق؟

من المتعارف عليه أن كل بداية تكون شاقة عسيرة، ويكون المرء - وهو يشق طريقه في عالم الكتابة نحو هدف معين لأول مرة - في حالة مخاض يستعصي عليه إدراك مبتغاه، ونيل وطره. وحتى لا أذهب بعيدا أؤكد أن استرجاع شريط الماضي من الصعوبة بمكان، لأن معظم الكتاب لا يدونون في مذكراتهم الأحداث الأولى التي حصلت لهم مع بواكيرهم ومحاولاتهم الأولى، معتبرين إياها مجرد تجريب عابر، وأقول « تجريب»، لأن بداية الكاتب الأولى شبيهة بما يفعله علماء الطبيعة حيث يسهرون الليالي، ويكررون مختلف التجارب التي يتوصلون إليها، حتى إذا اطمأنوا إلى دقة وحقيقة الاختراع كشفوا عنه للآخر.

والأديب يمر بهذه المراحل أيضا، لأنه يكون متهيبا شديد الحذر كلما حدثته نفسه وألحت عليه بالولوج إلى عالم الإبداع أو النقد، متوجسا خيفة من السخط الذي قد يقابل به عمله نتيجة لنقص فادح أو واضح في محاولته الأولى، وذلكم هو السر في أن كثيرا من الأدباء والكتاب الغربيين والعرب لم يعلنوا عن أسمائهم الحقيقية في أعمالهم الأولى: (محمد حسين هيكل مع «زينب»، تشارلز بيرو مع «حكايات للأطفال»... وهلم جرا...).

وأنا لم أكن بدعا ممن ذكرت، فقد كانت محاولتي الأولى شعرية، حيث نشرت بعض النصوص الشعرية (وأسميها شعرا تجوزا) في نشريات جيش التحرير إبان ثورة نوفمبر المباركة، كما كنت أكتب عن المعارك التي خضناها مع العدو، وبالموازاة مع ذلك كله، كنت أسجل في

كراسة بعض الخواطر التي عنَّت لي وأنا أتقلب على جمر الحرمان والشقاء بمعية أندادي من المجاهدين...، على أن هذا الذي كتبته لم يعد إلا ذكرى بالنسبة لي، ولن أسمح له بالخروج إلى النور، لأنه عمل مهزوز فنيا، وما هو إلا صدى لمرحلة من مراحل العمر لا أكثر.

وبعد ما وضعت الحرب أوزارها اتجهت إلى التعليم، وكانت الكتب المقررة نادرة، وكان باب الاجتهاد مفتوحا إزاء رجال التربية والتعليم، ولا سيما في الأقسام النهائية من الدراسة الابتدائية، وكان المعلمون يحاولون مسايرة الطرائق (البيداغوجية) الحديثة بالتجائهم إلى النص في استنباط القواعد النحوية والصرفية والإملائية، وكانوا ملزمين بوضع نموذجات إنشائية لتلامذتهم، ورحت أحاول الكتابة في هذا المجال، لكنني اصطدمت بقيود تمنعني من التحليق الحر في الفضاء، فالمستوى محدود، والتخصص الذي أتحرك ضمن مساحته يصب في قالب منطقي جاف، فكانت هذه النصوص قلما تخلو من المباشرة والتقريرية، على أن بعضها كان يشذ عن هذه القاعدة التي تتيح للموهبة أن تتفتق وتبرز بصورة أو بأخرى، وكنت أجد نفسي أكثر في الموضوعات التي تتعلق بالطبيعة وفي الجوانب الرومانسية بعامة، وجاءت لجنة من أجل ترسيمي برئاسة مفتش، فكان مما أسروا به أن أسلوب «جبران خليل جبران» يطبع هذه النصوص.. وابتسمت يومئذ ليس ابتسامة الرضا، ولكن، لأنني لم أكن أبدا أقلد هذا الأديب الكبير، وإنما كان ذلك مجرد مصادفة أو توارد خواطر لا أكثر!.

وبعدما دخلت الجامعة، ألفيت الفرصة سانحة للتعبير عن أحاسيسي بما كنت أكتبه لأساتذتي الأفاضل، ولا سيما الأديب الناقد الدكتور عبدالكريم الأشتر الذي يعد ذواقة عصره، وناقد زمانه، فقد كان كثيرا ما ينطبق عليه ما قيل في البحتري «أراد أن يشعر فغنى»، إذ إنه كان يجلس إلى مكتبه بمدرج جامعة وهران (كلية الآداب) ثم يروح ينثر اللآلئ والصدف مغموسة في باقة من الرياحين والأزاهير، يأخذك إليه على الرغم منك، ويشد سمعك نحوه، فلا تملك إلا أن تصغي إليه، وتقبل على محاضراته طوعا واقتناعا لا كرها أو إجبارا. واستضاءة

محمد مرتاض في سطور

- ولد في ١٨ شباط /فبراير ١٩٤١م في بلدة مسيردة بولاية تلمسان في الجزائر.
- حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العربية على يد والده الشيخ عبدالقادر.
- التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في الثورة الجزائرية الكبرى ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره.
- عمل في التعليم العام والعالي أكثر من ثلاثين عاما.
- حصل على الإجازة باللغة العربية من جامعة وهران ١٩٧١م، ودبلوم الدراسات المعمقة ١٩٧٩م، والماجستير في الأدب العربي القديم ١٩٨٤م، وعلى دكتوراه الدولة في الأدب المغربي القديم من جامعة تلمسان ١٩٩٤ م.
- أشرف على أطروحات التخرج، والماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات الجزائرية.
- حصل على جوائز بالترتيب الأول في الرواية من جامعة قسنطينة وبالترتيب الثاني في القصة القصيرة في قسنطينة، وجامعة وهران، وفي النقد الأدبي من جامعة وهران.
- شارك في ملتقيات أدبية وثقافية وعلمية محلية وعربية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- يعمل حاليا أستاذا بجامعة تلمسان.
- من مؤلفاته المطبوعة:
  - قصص قصيرة جزائرية ١٩٨٢.
  - النقيض (مجموعة قصصية) ١٩٨٤م.
  - ثمن الحرية (رواية) ١٩٨٤م.
  - الانتهازية (مسرحية) ١٩٨٦م.
  - من قضايا أدب الأطفال ١٩٩٤م.
  - الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ١٩٩٤م.
  - مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم ١٩٩٨م.

بتوجيهاته، ألغيت تلقائيا مرحلة ما قبل الجامعة، لأنني أدركت أن العمل الأدبي ليس عبثا أو تقليدا، وطوال فترة دراستي في الجامعة لم أكترث كثيرا لمحاولة الكتابة، بل أجهدت نفسي في القراءة والاطلاع، واستكشاف مسالك الإبداع المتعرجة المتخلخلة التي لا تعرف حدا.

وفي فترة قراءاتي المختلفة، كنت أقرأ كل ما يصل إلى يدي، فبدأت بروايات جورجي زيدان التاريخية، وبأعمال المنفلوطي، وبمعظم مؤلفات طه حسين ولا سيما (الأيام)،التي كنت أعيد قراءاتها في كل مرة مثلها مثل (دعاء الكروان) و (شجرة البؤس) و(حديث الأربعاء)...ومؤلفات توفيق الحكيم خصوصا (عصفور من الشرق)، وآثار جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة.... كما كنت أميل إلى حفظ القصائد الشعرية للشعراء الأفذاذ من أمثال المتنبي، وابن زيدون، وابن خفاجة، وزهير، وامرئ القيس، وحسان بن ثابت، وإيليا أبي ماضي، وشوقي، وخليل مطران، ومحمد العيد، ومفدي زكرياء.... وغيرهم.

ثم بعد تردد وتخوف معا، أخذت أكتب، فكان أول عمل كتبته عبارة عن قصة قصيرة بعنوان «زلة القدم» وكتبت بعدها بمدة مسرحيتين: « المغرورة»، و«الانتهازية»... ثم توقفت... وبعد نحو سنة من الراحة أو الفتور، شرعت أكتب بنوع من السهولة، فأنتجت زهاء عشرين قصة قصيرة في ظرف سنة واحدة، ثم تتابعت الأعمال الإبداعية ولا سيما في الرواية...، وما لا أنسى تسجيله بمرارة هنا، هو المعاناة مع الطباعة، ولو أن الأمور كانت تسير سيرا طبيعيا لما ظلت أعمالي وأعمال العشرات من أمثالي تركن إلى رفوف الخزائن، أو في دهاليز البيوت، وهو ما يعني أن معظم أعمالي ما تنفك مخطوطة حتى الآن: (روايتان، أربع مجاميع قصصية، دراسات أدبية ونقدية...، أطروحة جامعية...).

❖ ما العلاقة بين سؤال الإبداع والدرس النقدي؟

إني أعد الإبداع والنقد دائما في علاقة جدلية، إنهما تياران يتموجان في نهر مائج، أو خطان متوازيان يسيران جنبا إلى جنب، وبالرغم من اعتراض المعترضين بأن حقل النقد قد يخصب إذا أمحلت أرض الإبداع والعكس، فإني أعتقد أن ثنائية الإبداع والنقد حتمية. ذلك أننا لا ننتظر أن يظهر ناقد كبير في مجال إبداع راكد هزيل، ولا يمكن أن يتطور الإبداع والنقد غائب، أجل هناك بعض الفلتات، ولكن الشاذ لا قياس عليه. لذا، فالأدب والنقد صنوان لشجرة واحدة تخضر وتثمر في بيئة طيبة المناخ، صالحة التربة، وإن كان الإبداع يتطور من الداخل، في حين أن النقد يحتاج إلى عوامل خارجية مضافا إليها العوامل الداخلية التي تسهم كلها في التطوير والتجديد..... ولولا البيئة الثقافية الخصبة لما تفجر فكر طه حسين، أو العقاد، أو ريتشاردز، أو هيمنغواي، أو حنا مينا، أو الشابي، وهلم جرا....

د. عبدالكريم الأشتر

جبران خليل جبران

❖ كيف تقيمون الفترات الأدبية الجزائرية منذ السبعينات إلى الثمانينات إلى التسعينات، وصيحات الحداثة وغيرها؟

كثيرا ما يصاب المرء بحرج ويشعر بمضايقة حينما يدعى إلى تقويم الآخرين، لأن المقوم (بفتح الواو المشددة) قد يعد ذلك من قبيل التجني عليه، أو من باب محاربته، ولا سيما في العالم العربي حيث ألفنا أن نلمس المحاباة في معاملاتنا اليومية. فما بالك بتقويم الحركة الأدبية منذ السبعينات حتى التسعينات، ولذلك سأجيب بإيجاز، على اعتبار أن أخذ ذلك بصورة تفصيلية يحتاج إلى بحوث مستقلة لما يتطلبه من رصد لتلك الأعمال في إلمام شامل، وإدراك مفصل، وتسلح بأدوات نقدية تهتدي بضياء النظريات الحداثية، وتغرف من معايير الأصالة مع حتمية تطعيمها بالمعاصرة.

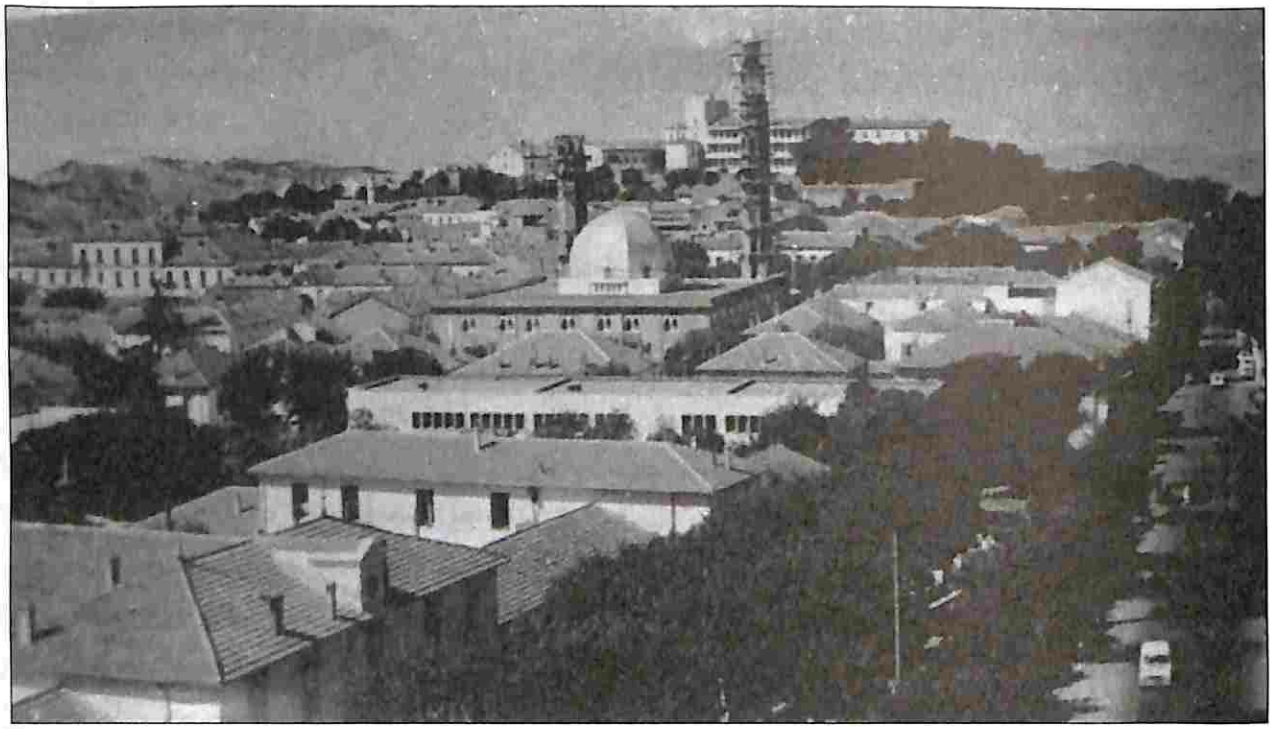

منظر عام من الجزائر

- **السبعينات:** فترة ولادة الراوية العربية الإيديولوجية في الجزائر: روايات الراحل ابن هدوقة، والطاهر وطار، وبدرجة أقل الرواية الثورية...

- **الثمانينات:** فترة الصحو والولادة معا، حيث صدرت نصوص روائية تجاوزت الستين، ومجاميع قصصية تجاوزت المئة،، ودراسات نقدية هز بعضها الأعمال الهشة. وقد ساعد على ازدهار هذه الحركة الدوريات التي أفسحت صدورها للإنتاج الجزائري والعربي، فاحتضنت مجلة «الثقافة» المأسوف عليها كل النتاج الأدبي، والدور الذي أدته للكتاب كان عظيما، من الجحود تجاهله. أضف إلى ذلك احتضان الشركة الوطنية للنشر والتوزيع طبع كثير من الأعمال، لأن هذه الدار - على ما وجه إليها من مطاعن- قد فتحت ذراعيها للكتاب، وطورت صناعة الكتاب بصورة أو بأخرى.

- **التسعينات:** هي مرحلة النشر في ديوان المطبوعات الجامعية الذي ظل صامدا إزاء أعاصير اقتصاد السوق.

والتسعينات يمكن أن نعدها من الفراغات التي مر بها الجزائر ثقافيا، لأن دور النشر التي كانت تخف لاستقبال الكاتب غدت تثّاقل في التعامل معه، وتشترط الربح على حساب نشر الثقافة وخدمة الكتاب. والدوريات التي كانت ببلادنا لم يعد لها وجود، والجسور الثقافية بيننا وبين العالم العربي قد نسفتها أياد خفية لئلا يحدث اتصال أو وصال.

ومع كل هذه المثبطات، فقد استطاعت الأقلام الجزائرية أن تبرز على مستوى العالم العربي بشكل مستقطب للنظر، ومعظمها بذل جهودا شخصية، و أوصل اسمه بطريقته الخاصة إلى الجهات الثقافية في شتى أنحاء العالم العربي.

وكتابات كثير من الجزائريين تعد من قبيل النموذجات القليلة التي يعتد بها في مجال الدراسات الحداثية.

❖ لماذا لم تفرز المنظومة العقلية الجزائرية النقدية نقادا على مستوى العالم العربي؟

ومن قال إن المنظومة العقلية الجزائرية عقمت إلى درجة أنها لم تلد نقادا كبارا؟ ربما يكون اطلاعك قليلا على ما أنتجه النقاد الجزائريون وأنت معذورة ألف مرة. فالأطروحات الجامعية في مجال النقد مكدسة في مكتبات الجامعات الجزائرية، وحتى تبادلها بين جامعة وأخرى لا وجود له، وهو ما يجعل الاطلاع عليها عسيرا والحكم عصيا. أما أن نطبع هذه الأعمال ليحكم لها المتلقي أو عليها فذلك دونه الأهوال والأغلال، وليس من قبيل التعصب أو الذاتية أن أقول: إن الدكتور عبدالملك مرتاض

يعد أحد أعمدة النقد في الجزائر وفي العالم العربي، مثله في ذلك مثل المرحوم الدكتور محمد مصايف الذي خلف آثارا نقدية هامة. ويمكن القول إن هناك مدرسة نقدية مزدهرة تديرها مجموعة من الباحثين من أمثال: مختار حبار، ومحمد عباس، وعكاشة شايف، ومحمد زمري، وعبدالقادر هني... وغيرهم.

الجامعة الجزائرية مثلها مثل بعض الجامعات العربية لا بد أن تنزل إلى مستوى الواقع وتعايش العصر

❖ ماذا عن مستوى الجامعة الجزائرية والمناهج فيها؟

إن الجامعة الجزائرية ما ينبغي لنا أن ننظر إليها بمعزل عن المجتمع الذي أفرزها؟ لأن الجامعة تزدهر حينما يكون هو مزدهرا في مختلف المجالات. ولذلك فإنها هي نفسها الآن مصابة بعطب لأنها تخرج أفواجا من الطلبة كل سنة قلما يبرز أحد منهم في مجال تخصصه، بسبب الإجحاف الذي يقذفه به مجتمعه، فهو مثلا يدرس نحو سبع سنوات في التحليل البيولوجي ويطير فرحا على أثر إعلان نتيجته وتفوقه، ولكنه يصاب بالإخفاق وبالإحباط النفسي حين يصطدم بالواقع المر المتمثل في عدم إيلاء هذاالتخصص أية أهمية، فينصرف عبوسا إلى علب التبغ يبيعها سجائر على أرصفة الشوارع وهو مطارد من كل جانب.

والأمر في كلية الآداب أدهى وأمر.. فأنى للإبداع أن يعرف تطورا؟ وأنى للفكر أن يحلق في فضاء رحب، ويحبل بالجديد المأمول؟!

فأنت ترى أن الجامعة سليمة، والمناهج ملائمة، ولكن العلة تكمن في أوبئة أخرى لا جرم من اجتثاثها وإبادتها حتى لا يستفحل أمرها، وتشتد مقاومتها، وعندئذ، سيتعذر على المجتمع استئصالها أو معالجتها.

❖ بعض المتابعين يجزم بأن حركة نقدية بوهران لا مثيل لها ببقية مناطق الجزائر وحتى بتلمسان مهد الحضارة والتاريخ؟

إن هذا الرأي كان وجيها منذ عدة سنوات تقريبا، أما الآن ، فإن الجامعات، سواسية في الركود الثقافي، وكأنها تحالفت مع بعضها بعضا وعقدت عهدا على ذلك. أجل، فقد كانت جامعة وهران بعراقتها ونوعية أساتذتها قد استطاعت أن تصدر مجلة نقدية تسلقت سلم العالمية، وهي بإمكانها أن تنافح المجلات المتخصصة في النقد المعاصر بما تشتمل عليه أبوابها من قضايا معاصرة لها أثر كبير على التنظيم النقدي الجزائري المعاصر، وأعني بها مجلة «تجليات الحداثة» التي صمدت حينا من الدهر، وغدت تصدر بانتظام تباعا. ثم... ثم لم نعد نسمع لها حسا ولا همسا. أما الجامعات الأخرى فهي على دراية بتقصيرها وقصورها، ولكنها لا تملك إلا أن تأمل وتتوقع أياما أسعد، وأزمنة أفضل، وفي انتظار ذلك اليوم الذي تنصف فيه الجامعة، وتعلو فيه الثقافة، نظل نترقب قلقين.

د. عبدالملك مرتاض

❖ ما هو المجتمع الأجدى في رأيكم بمعاينة الظاهرة الأدبية؟

إن أول ما أعلق به على هذا السؤال، هو أن الظاهرة لا تنطبق على الأدب، لأن إطلاق هذه الصف ينصرف في الغالب الأعم إلى الحالات التي تعتريها التغييرات وتبلورها التطورات، في حين أن الأدب هو أحد أسس مجتمع ما، وهو جزء من الثقافات الأخرى، لأن الأدب هو تاريخ وفلسفة وفن، ولا مرية في أن المجتمعات التي تخلو من هذه المقومات تكون في حضيض الحضارة الإنسانية، ويتعذر عليها الانتتار من غل تخلفها.

أما المجتمع الأجدى باحتضان أي نظرية أدبية فإنه ليس بالضرورة مجتمعا أخضر أو أحمر، وإن كنت لا أختلف مع من يقرر أن ذلك لا يحصل بين عشية وضحاها، وإنما

يمر بمراحل إفرازات وفترات مخاضات قبل أن يولد ويبرز للعالمين.

من هذا المنطلق يغدو عسيرا على المرء أن يقزّم نظرية أدبية ما، ولا أقول ظاهرة في مجتمع معين. لأن الأدب زئبق لا توقفه المخترعات، ولا تبيده القوانين والسلطات. فهو قد يزدهر في تربة سياسية واجتماعية مائجة. مع أن المفترض هو أن هذا الازدهار يحصل في المجتمعات المستقرة التي لا تعيش معاناة الإنسانية، ولا أزمات داخلية. ولكن الأدب يرفض المنطق.

استطاعت الأقلام الجزائرية خلال العقود الأخيرة أن تبرز على مستوى العالم العربي.

❖ قرأنا لكم قديما دراسة مطولة متسلسلة بجريدة «الجمهورية» حول رواية رشيد بوجدرة « ليليات امرأة آرق» لماذا الجنس بالذات يحمل لديه هاجسا متفوقا تهجميا على المعتقد والتراث؟

علينا أن نتفق أولا بأن للفن قواعد، وللكتابات الأدبية طرائق خاصة، والرواية أحد الأجناس الأدبية التي يميل إليها المتلقون كثيرا لما تمتاز به من عالم الخيال، ولما يطفح به موضوعها من عواطف إنسانية، ولما تشتمل عليه من تشويق وأحداث وشخصيات.

ويرحم الله الجاحظ الذي قال في نظريته النقدية الشهيرة:«المعاني مطروحة في قارعة الطريق...» فكيف يصاب حقل المعاني عند بعض الكتاب بالجدب والمحل فتعوزه الحلية الفنية فيحتمي بالجنس غارفا من ميوعته؟ و «ليليات امرأة آرق» لبوجدرة - مثلما أشرتم- شر ما يمثل ذلك، والدراسة التي نشرتها عبر صفحات الجرائد السيارة عنها لم أكن أبدا أريد من ورائها الإساءة إلى الروائي، ولكنها عبارة عن ضغط على الزر الأحمر لكيلا يغتر الناشئة من المبدعين في هذا الفن فيوظفوا بعض المفاهيم الجنسية الخاطئة التي تزدري المرأة وتكشف عن ولائجها، بله تركيبتها الفيزيولوجية !.

ومن الشائع المتداول أن النقاد ظلوا يعاملون الغزل الإباحي في الشعر بحذر، مع أنه لم يقل ما قالته الرواية. فكيف نكتب نحن اليوم مثل هذا الهراء الذي ترفضه المرأة، ويأباه المتلقي، ويعاقبه النقد، وتغض الطرف عن الاهتمام به المدارس والثانويات؟!

إن «بوجدرة» يزعم أنه حين يصطنع هذا الأسلوب إنما يريد به الترغيب عن الجنس لا الاهتمام به، مع أن الواقع يفند ذلك، لأنه وهو يصف تقاسيم الجسد بطريقة لا تختلف كثيرا عن أشرطة الإغواء في الخيّالات الخليعة لا يجعل المرسل إليه ينفر من تلك الأوصاف الصريحة مثلما يزعم، بل يثير فيه الغريزة الجنسية، ولا سيما أنه يحشر في كتاباته الحديث عن المساجد والأئمة والتراث بعامة، وهو بذلك يوجه طعنات بخناجر غربية مسمومة إلى الدين من طريق غير مباشر مجهرا بعداوته نحوه، وبنوع من السخرية حين يوظف شخصية الإمام أو المؤذن... وكأن الناس كلهم صلحاء ولم يشذ عنهم إلا الأئمة والمؤذنون، أو كأن النموذجات البشرية الساقطة أعوزته، فرام أن يوظف شخصيات الأئمة شر توظيف كي يضحك المنحرفين والفاسقين من الدين. وعمل مثل هذا يعجل بنهاية الكاتب قبل أن يحين حينه، ويبعد طائفة من القراء عنه لأسباب خاصة وعامة.

❖ علق على هذه الأسماء باختصار شديد؟

- **عبدالملك مرتاض؟**

عملاق من عمالقة الأدب والفكر في العالم العربي.

- **عبدالحميد بواريو؟**

يحاول التأسيس لنظرية الحكاية.

- **عبدالحميد بن هدوقة؟**

أدى دوره في وضع أرضية للرواية العربية الجزائرية.

- **العنف الممارس على المثقف الجزائري؟**

سحابة صيف، ولا بد أن تشرق الشمس عليه.

- **التغريب؟**

استرجاع لشخصيتنا، وانتصار لثوابت أمتنا، وطرد مستحق لضرة لغتنا. ■

الشروط الخمسة

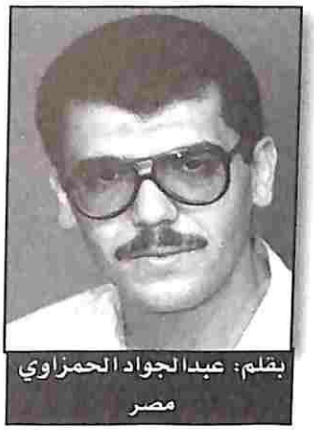

بقلم: عبدالجواد الحمزاوي
مصر

في أحد شوارع بغداد، كان هناك رجل يسير.. مورد الخدين، كان ذا لحية خفيفة تأنق الحلاق في تهذيبها وتشذيب شاربه.. كانت الشمس ترسل أشعتها على عمامته المصنوعة من الحرير الخالص فتبرق.. في الناحية الأخرى من الشارع، كان هناك شيخ كبير يجلس على الأرض.. ثيابه مرقعة وكذلك عمامته الناصعة البياض.. يسرع ذلك الرجل الشاب إلى حيث يجلس الشيخ الكبير.. ينظر إلى وجهه المشرق ولحيته البيضاء التي تملأ وجهه كله ويقول في نفسه «هذا هو إبراهيم بن أدهم.. كيف استطاع أن يترك قصر أبيه مع كل ما فيه من متع وترف إلى هذه الحياة الفقيرة البائسة ؟!! والأعجب من ذلك، أنه يبدو سعيدا راضيا.. عسى أن أجد عنده حلا لمشكلتي..».

عندما وصل ذلك الرجل إلى الناحية الأخرى من الشارع أبطأت خطواته.. بحذر يتقدم من إبراهيم بن أدهم ويقول..

- السلام عليك يا أبا إسحاق؟..

إبراهيم بن أدهم يرفع إليه رأسه ويقول..

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته..

ذلك الرجل يقف قدام إبراهيم بن أدهم صامتا.. يريد أن يتحدث ولكن لسانه لا يطاوعه، بعد برهة استطاع أن يخرج كلمات من فمه.. بطيئة.. متعثرة وقال:

- يا أبا إسحاق.. إني رجل أحب أن أتمتع بكل ما في الدنيا من متع وترف، وقد آتاني الله مالا واسعا عريضا.. وجسدا قويا صحيحا.. ونفسا ذواقة، لذا تراني أسرف في عبِّ هذه المتع عبا ولا أستطيع الصبر عنها.. وقد أقترف بعض المعاصي..

يسكت الرجل قليلا ثم تتدفق الكلمات من فمه في ضراعة ويقول:

- ولكني والله مؤمن بالله.. أخاف جهنم.. فهل تستطيع أن تدلني على شيء أفعله حتى أنجو من غضب الله ومن نار جهنم ؟..

ينظر إبراهيم بن أدهم إلى الرجل في حب وإشفاق.. يدقق النظر في وجهه المكتنز القوي، وثيابه الفخمة الغالية.. يفحص كل شيء فيه، ثم يبتسم ويقول:

- اجلس بجانبي حتى نتحدث معا..

يلملم الرجل أطراف ثيابه.. يخرج منديلا من بين ملابسه ثم يفرشه على الأرض ويجلس.. تتسع ابتسامة إبراهيم ابن أدهم ويقول:

- عندي - إن شاء الله - دواؤك.. سأعرض عليك خمسة أشياء، إن استطعت أن تفعل واحدة منها فلن تضرك معصية أبدا مهما كانت..

الرجل يبتسم.. تتسع ابتسامته حتى تملأ وجهه كله.. على أنغام اللحن الجديد الذي صنعته له جاريته الرومية الحسناء، يرقص قلبه.. يردد اللحن في نفسه ويبتسم.. كانت ليلة سعيدة من لياليه الكثيرة..

مغنية ماهرة.. أصحاب موافقون وشراب معتق.. سهر مع اللحن إلى قبيل الفجر، وحينما استيقظ صلى الصبح مع الظهر مع العصر..

أخذ الرجل ينظر إلى إبراهيم ابن أدهم ويقول في نفسه «خمسة أشياء.. خمسة أشياء فقط !!... نعم.. سأفعلهاجميعا ولن تضرني المعاصي أبدا.. كنت أظن أنه سيعظني لأمتنع عن المعاصي... هـا.. ها.. ها..».

أخيرا قال الرجل وهو يضحك..

- موافق.. فما هذه الأشياء الخمسة التي تريدني أن أفعلها؟

تحول الرجل إلى أذن كبيرة في

انتظار ما يقوله إبراهيم بن أدهم.. بعد ثوان قليلة قال إبراهيم بن أدهم:

- إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل رزقه..

بهت الرجل من كلام إبراهيم بن أدهم.. تبخرت فرحته تماما.. بأعلى ما يستطيع من صوت صرخ..

- فمن أين آكل ؟.. أنت تعلم أن كل ما في الأرض من رزق الله..

- أفيحسن بك أن تأكل من رزقه وتعصيه..

كان إبراهيم بن أدهم يقول هذه الكلمات بصوت خفيض عميق.. أحس الرجل بأنه يصغر ويتداخل في نفسه.. فارت نفسه ثم هدأت.. كان ينظر إلى الأرض ويقول في نفسه..

«نعم.. صدق إبراهيم بن أدهم » إنه والله لسوء أدب.. إن مملوكي لا يستطيع أن يعصيني لأنني أحسن إليه قليلا، فما بالي بالله الذي رزقني هذا الرزق الواسع والجسد القوي والعافية التامة.. لكن.. لا.. لا.. إن إبراهيم بن أدهم قال: إنها خمسة أشياء.. أستطيع أن أفعل واحدا منها فأنجو من عذاب الله ولا تضرني المعاصي أبدا مهما كانت».

صاح الرجل:

- دعك من هذا الشرط وهات لي الشيء الثاني..

ضحك إبراهيم بن أدهم ضحكات خفيفة ثم قال:

- إذا أردت أن تعصي الله فلا تسكن شيئا من بلاده..

لم يستطع الرجل أن يظل جالسا.. انتفض واقفا وهو يصرخ..

- إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما لله، فأين أسكن إذن ؟!!.

انتظر إبراهيم بن أدهم قليلا حتى هدأت ثورة الرجل ثم قال:

- أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟..

جلس الرجل على الأرض كأنما وقع.. ينظر إلى إبراهيم بن أدهم ويتفكر في كلامه «نعم.. آكل رزق الله وأسكن بلاده ثم أعصيه.. هذا لا يحسن بعاقل ولكن.. إذا لم أستطع فعل هذين الشيئين فقد أستطيع فعل الباقي.. نعم.. إنها خمسة.. فلأتعرفن إذن على الشرط الثالث فقد يكون في إمكاني فعله»..

لم يرفع الرجل صوته هذه المرة.. قال بصوت خفيض..

- ما هو الشيء الثالث يا أبا إسحاق؟.

إذا أردت أن تعصي الله وأنت تأكل رزقه وتسكن في أرضه فلا بأس، ولكن على شرط أن تبحث لنفسك عن مكان لا يراك فيه وأنت تعصيه..

ابتدأت الدموع تغزو عيني الرجل.. على وجهه ارتسمت علامات الخوف من الله.. رفع الرجل رأسه إلى إبراهيم بن أدهم وهو يقول:

- لا تهزأ بي يا أبا إسحاق.. كيف أستطيع هذا وهو - سبحانه - لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء؟.. كيف أفعل هذا وهو مطلع على ما في العقول والنوايا والصدور ؟!!..

هنا، جاء الدور على إبراهيم بن أدهم ليرفع صوته.. صاح في الرجل غاضبا..

- فهل يجوز أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ؟.. أين الحياء؟!!..

ظل الرجل جالسا على الأرض مطرقا رأسه.. كان يستغفر الله ويتفكر في كلام الشيخ الجليل.. طال الوقت ولم يفتح فمه بكلمة.. أخيرا نظر إليه إبراهيم بن أدهم وقال:

- ألا تريد أن تعرف الشيء الرابع ؟

رفع الرجل رأسه ولم يتكلم.. كان يريد أن يعرف فقد يكون ممكنا.. أومأ إلى إبراهيم بن أدهم أن نعم.. قال إبراهيم بن أدهم:

- إذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له: أعطني مهلة حتى أتوب لله وأعمل عملا صالحا، ثم تعال فاقبض روحي.. فإذا ذهب عنك فاجتهد في العبادة والطاعة حتى إذا ما انقضت المهلة تموت وأنت تائب إلى الله، وبذلك تنجو من نار جهنم..

ارتفع نشيج الرجل واشتد بكاؤه.. كانت دموعه تنزل غزارا تبلل الحصى.. قال من بين أصوات بكائه ودموعه:

- ياليت هذا كان ممكنا.. إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.. يا أبا إسحاق أنت تعلم أن الملائكة لا تعصي الله أبدا، وتفعل ما يأمرها به ربها في التو واللحظة..

اقترب إبراهيم بن أدهم أكثر من الرجل.. ربت على كتفه في حنان وهو يقول:

- إذن فأنت تعلم أنك لا تستطيع تأخير الموت حتى تتوب، فلماذا لا تتوب الآن، وعلى كل إذا فعلت الشرط الخامس يمكنك أن تنجو من عذاب الله.. إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.. وبذلك تنجو من النار..

ارتمى الرجل على صدر الشيخ الجليل يبكي.. وهو يقول:

- إني أتوب إلى الله من كل شيء لا يرضاه من الآن.. ■

الخلفاء ومجالس الأدب

بقلم: د. يحيى الجبوري
العراق

كان للخلفاء مجالس غير مجالس الحكم التي تعقد في النهار، فكانوا إذا قضوا أمور الحكم وقضايا الناس يروحون عن أنفسهم بالأحاديث وسماع الشعر وتعرف أخبار الماضين، فيدعون الأدباء والرواة وأهل الأخبار يحضرون مجلس الخليفة، فيسأل الخليفة عما يروقه من الشعر وأحوال الناس وصفات الملوك السابقين، يلتمسون في ذلك الخبرة في أصول الحكم ومهام الملك واتخاذ العبر من أحوال السابقين، بالإضافة إلى الترفيه عن أنفسهم بسماع طرائف الأشعار والأخبار، وكان معاوية أول من اهتم بهذه المجالس، وسار على نهجه هشام بن عبدالملك وابن هبيرة والمنصور [1]، فكانوا يقيمون أناسا يقصون عليهم أخبار الملوك والقواد من الروم والفرس، وأخبار الدول وكيف كانوا يسوسون ويحكمون، يلتمسون بذلك التوسع بأسباب الدهاء وأفانين السياسة.

وقد تكون هذه المجالس واسعة يحضرها عدد كبير من الشعراء والأدباء وأصحاب الأخبار، وقد تكون خاصة إذ يستدعي الخليفة راوية أو إخباريا ممن يرتاح لسماع أخباره وأحاديثه في ساعة قلقه أو أرقه من الليل أو النهار، وكثيرا ما تكون هذه المجالس الفردية في أواسط الليل والناس نيام، فيحدثه جليسه بما يود سماعه فيتنقل المحدث من رواية خبر إلى رواية شعر إلى رواية حكمة أو طرفة فتنشرح نفس الخليفة وترتاح نفسه بما تزود من علم وأفاد خبرة وزاد دهاء وسرى عن نفسه الهموم والأرق [٢].

وهؤلاء الخلفاء عرب نشؤوا على حب الشعر وحفظه والتمثل به، فكانوا لذلك يجلبون أهل الأدب والعلم ويقربونهم ويبذلون لهم الأموال ولا سيما هارون الرشيد والمأمون، ومما يروى عن الرشيد وحسن معاملته للعلماء أنه كان يلاطف الأصمعي ويجله ويجزل له الهبات السنية، ومن تكريمه للعلماء أنه أكل أبو معاوية الضرير مع الرشيد طعاما، فلما قام أبو معاوية ليغسل يديه، تناول الرشيد الإبريق وصب على يديه الماء وأبو معاوية لا يعلم، فقال له : أتدري من صب على يديك الماء ؟ قال : لا، قال : أنا، قال : أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم، إجلالا للعلم [٣]. وكذلك كان الخلفاء يقفون مع العلماء في الانتصار لرأيهم، من ذلك ما جرى بين سيبويه والكسائي فيما يعرف بالمسألة الزنبورية حيث انتصر الأمين للكسائي، وانتصر المأمون لسيبويه، وقد جرى جدال طويل بحضرة الرشيد الذي أيد الكسائي [٤].

وقد حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم وتحفيظهم الأشعار التي تهذب نفوسهم وعقولهم فأوكلوا لهم نخبة من العلماء والأدباء يعلمونهم ويؤدبونهم، فقد أوكل المنصور ابنه إلى الشرقي بن القطامي، وأوصاه أن يعلمه أخبار العرب ومكارم الأخلاق وقراءة الأشعار[٥]، وكذلك المفضل الضبي ليعلمه العربية والأخبار والأشعار، وعهد الرشيد بتعليم ابنه الأمين إلى علي ابن الحسن المبارك المعروف بالأحمر النحوي، ثم إلى الكسائي، وعهد بتأديب المأمون إلى اليزيدي وسيبويه وغيرهما، وقد أوصى الرشيد الأحمر النحوي الذي أوكل إليه تأديب الأمين بقوله:«ياأحمر،إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار،وعلمه السنن،وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ماستطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة»[٦].

وعهد المأمون إلى الفراء بتعليم ولديه النحو، واتفق أن الفراء أراد أن ينهض ذات يوم إلى حوائجه، فابتدر إلى نعله ليقدمها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما واحدة، وبلغ ذلك المأمون، فاستدعاه، فلما دخل عليه قال المأمون : « من أعز الناس؟» قال:« لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين»، فقال:« بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله

وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردة»، فقال:« ياأمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أوكسر نفسيهما عن شريفة حرصا عليها»(٧). وعهد المتوكل بتعليم أبنائه إلى ابن السكيت(٨)، أما عبد الله بن المعتز فقد تعلم الأدب والعربية على المبرد وثعلب وأحمد بن سعيد الدمشقي (٩).

وكان للخلفاء عناية فائقة بالشعراء وتقديمهم، فهم اللسان الناطق بمآثرهم والمشيد بمفاخرهم، وكانوا يأنسون ويبتهجون بمساع الشعر ويهتزون له فيجزلون العطاء للمنشدين، ولذلك فقد عين الخلفاء أوقاتا للشعراء يدخلون فيها عليهم، وكانوا يفرضون لهم مالا يدفعونه إليهم كل سنة على الوفدة أو القصيدة، أو يعطونهم على البيت من الشعر مبلغا معينا، وكان مقامهم يعلو ويهبط تبعا لأمزجة الخلفاء وأغراضهم وأحوالهم السياسية، ولم يكن كل الخلفاء يغدقون الأموال، بل كان من هم البخيل الدوانيقي الشحيح مثل المنصور وبسبب من بخله كان الشعراء في عهده يخرجون من بغداد ويجتمعون يتذاكرون أيامهم في الشام على عهد بني أمية(١٠).

وكان بعض الخلفاء يمنعون الشعراء زهدا وتحرجا أن يجيزوهم من بيت المال مثل عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن الزبير.

وكان أكثر الخلفاء يحبون الشعر ويجزلون عليه العطاء، وكان بعضهم شاعرا مثل يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد بن عبد الملك، وعبد الله بن المعتز، وقد رويت لكثير من الخلفاء أبيات وقطع معدودة، فهناك أشعار حفظتها كتب الأخبار والأدب للخلفاء الراشدين، ولمعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، ومروان ابن محمد،وغيرهم(١١)، وكذلك يقال في الخلفاء العباسيين.

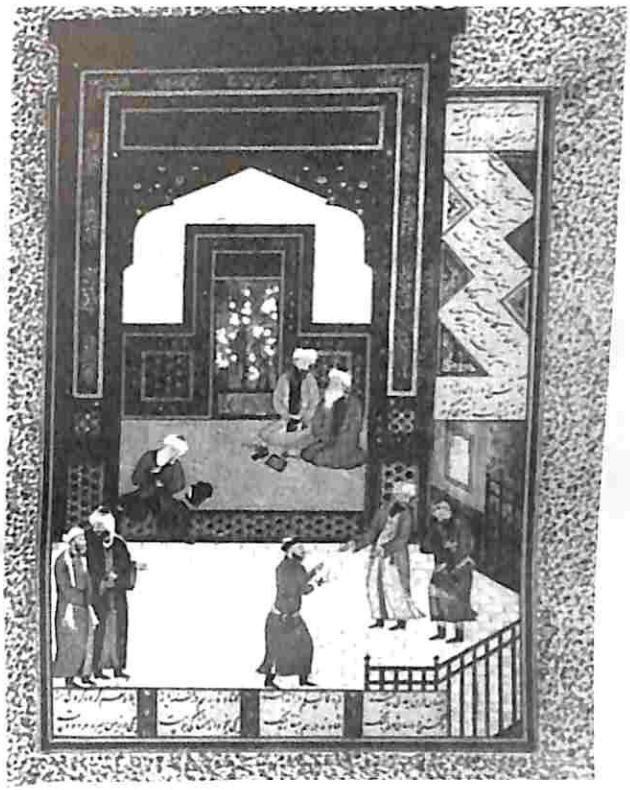

وكان الشعراء يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بالشعر، وكان أكثرهم يبالغون في إضفاء صفات القوة والمهابة والعدل والكرم ويجاوزون حد الاعتدال فيرتكبون أقبح الأكاذيب، ولذلك كانت لهؤلاء الشعراء منزلة رفيعة عند الخلفاء.أما الذين كانوا يلتزمون القصد والاعتدال فما كان لهم نصيب من الحظوة والمكانة، ولذلك شاع في العصرين الأموي والعباسي شعر المديح الكاذب والتكسب بالشعر وإراقة ماء الوجه. وكان لدخول الشعراء على الخلفاء وإنشادهم الشعر أصول ومراسيم، منها أن ينشد الشاعر قصيدته بصوت عال وهو قائم، وإذا تعدد المنشدون قدموهم حسب أسنانهم، وكان الخلفاء يتفهمون الشعر وقد يباحثون الشاعر في معنى البيت أو الكلمة، وإذا أرادوا سماع قصيدة لم يعرفها الحاضرون أو فهم بيت أو أبيات أرسلوا إلى العراق أو الحجاز لاستقدام شاعر أو راوية فينشدهم ويعرفهم ما طلبوا، وقد لا يكون الغرض من ذلك إلا سماع بيت أو قصيدة، كما فعل الوليد بن يزيد حين استقدم حمادا الراوية من العراق لينشده قصيدة

تغنيها مغنيته [١٢]، أو لينظم له شعرا في حادثة جرت معه، كما فعل الواثق لما غضبت عليه حظيته، فاستقدم ابن الضحاك ليقول في ذلك شعرا[١٣]، وقد يجيزون من يأتيهم بشاعر أو مغن يعجبهم كما أجاز المهدي الفضل بن الربيع بعشرة آلاف دينار، وولاه حجابته لأنه أتاه بابن جامع المغني[١٤].

وكانوا لايكتفون بمن يفد عليهم من الشعراء لإنشاد الشعر وطلب الهبات والعطايا بل كانوا يرسلون على بعض الشعراء الذين يأنسون بشعرهم، وكان الرشيد أكثر الخلفاء طلبا للشعراء [١٥] فتكاثر الشعراء ببابه حتى ضاقت بهم بغداد، واضطروا إلى امتحانهم وتربيتهم في الجوائز،فعهد يحيى بن خالد البرمكي بذلك إلى شاعره أبان اللاحقي[١٦]، وأصبح الخليفة إذا أحب مجالسة الشعراء بعث رجلا يثق به ليختار له أحسنهم[١٧]، أو إذا عنّ له بيت أو قصيدة، خرج وصيف أو حاجب أو نحوهما فيقول للشعراء : «من منكم يقدر يقول قول فلان أو يحفظ القصيدة الفلانية فليدخل وله كذا وكذا»[١٨]، وكان الخلفاء يهتمون بحفظ الأشعار وروايتها ويتمثلون بالأشعار في مناسبتها،ومما يروى عن المنصور[١٩]أنه (لما توفي ابنه جعفر بن المنصور الأكبر، مشى المنصور في جنازته من مدينة بغداد إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره، ثم أقبل على مولاه الربيع بن يونس، فقال: ياربيع انظر من في أهلي ينشدني :

أمن المنون وريبها تتوجع[٢٠]

حتى أتسلى بها عن مصيبتي، قال الربيع : فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيها من يحفظها، فرجعت فأخبرته، فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب، أعظم وأشد عليّ من مصيبتي بابني، ثم قال : انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها، فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها، فخرجت فاستعرضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها، إلا شيخا كبيرا مؤدبا قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته : هل تحفظ شيئا من الشعر ؟ فقال : نعم، شعرأبي ذؤيب، فقلت : أنشدني، فابتدأ هذه القصيدة العينية، فقلت له : أنت بغيتي، ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها، فلما قال :

والدهر ليس بمعتب من يجزع

قال : صدق والله، فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع عليّ، فأنشده، ثم أمر الشيخ بالانصراف وأتبعه بمائة درهم [٢١].

وكان أكثر الخلفاء يطربون للشعر ويستلذونه، وربما تزاحفوا عن مجالسهم إعجابا وطربا [٢٢]. وكان لكل خليفة صفات خاصة في مجلسه تتضح في محاوراتهم مع الشعراء وامتحانهم ومساءلتهم. ■

الهوامش:

(١) ابن الأثير ٦/١١.
(٢) مروج الذهب، المسعودي، ٢/١٦٣.
(٣) سير الملوك، ص٧٩.
(٤) طبقات النحويين، ص١٣٨، تاريخ التمدن الإسلامي، ٣/٧٩.
(٥) مروج الذهب، ٢/١٨٠. طبقات الأدباء، ص٤٢.
(٦) ابن خلدون، ١/٤٧٥.
(٧) طبقات الأدباء للأنباري، ١٣٠، ابن خلكان، ٢/٢٢٨.
(٨) طبقات الأدباء، ص٢٣٨.
(٩) فوات الوفيات، ص١/٢٤١.
(١٠) الأغاني، ١٢/٩١، ١٠٢.
(١١) راجع في شعرهم : شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي لنبال الخماش، د. ط، ١٩٨٤.
(١٢) الأغاني، ٢/٦٥.
(١٣) الأغاني، ٦/١٧٨.
(١٤) الأغاني ٦/٧٣، وانظر تاريخ التمدن الإسلامي، ٥/١٤١.
(١٥) الأغاني، ١٧/٧٤.
(١٦) الأغاني، ٢٠/٧٣.
(١٧) الأغاني، ٢/١٢.
(١٨) الأغاني ١١/١٣٥، ١٧/١٤١.
(١٩) الأغاني، ٦/٢٨٧، ط بيروت.
(٢٠) الشعر لأبي ذويب الهذلي من قصيدة في المفضليات، ٤٢١ - ٤٢٩، يرثي بها أبناءه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون في عام واحد، وتمام البيت : والدهر ليس بمعتب من يجزع.
(٢١) الأغاني، السابق.
(٢٢) سير الملوك، ص٩٣.

إنا على العهد

شعر: حورية وجدي
الجزائر

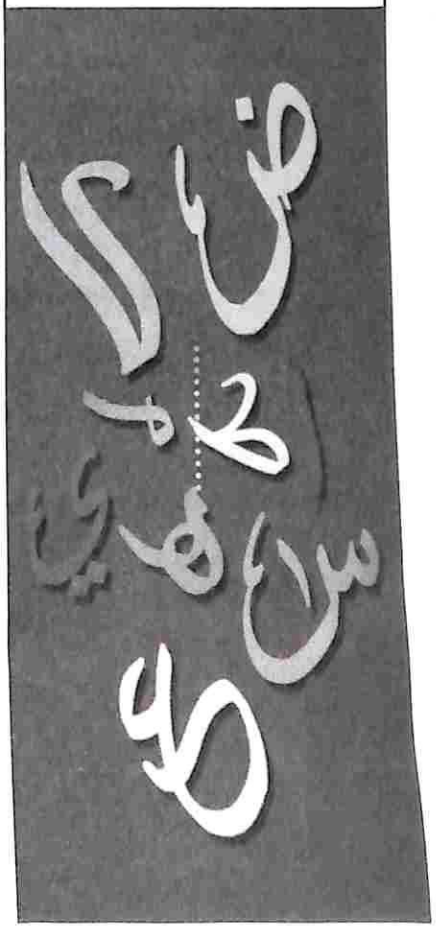

أنتِ الديار وأنت الشوق والدّمنُ
أنتِ الأحبة .. أنت الأهل والوطنُ
أنتِ الملاذ لقلب لا ملاذ له
إن قيل يوما .. بأن الربع قد ظعنوا
لا زلتُ أشرب منك الحب ساقيتي
لا زال يسكن عمري الآهُ والشجنُ
لا زلتُ أسرق من عينيك قافيتي
لا زلتُ أكتب لكن أنت من يزنُ
أنتِ الحبيبة .. أنت الشعر يسكنني
أنتِ الحروف وأنت السر والعلنُ
لولاكِ ما نطقت بالشعر محبرتي
لولاكِ ما انطلقت في أبحري السفنُ
هيهات نعشق غير الضاد أغنية
هيهات تخرسنا الآهات والمحنُ
هيهات نحمل غير الدين ألويةً
هيهات تبهرنا الأضواء والفتنُ
كل الشموخ تجلى فيك باسقة
لكن لقلبك في عمق الثرى سكنُ
أنتِ البداية .. أنت الأرض تنبتنا
أنتِ النهاية فيك اللحد والكفنُ
إليكِ نبذل أعمارا وننفقها
كالفاتحين فلا جبن ولا وهنُ

قصة قصيرة

الطرف الأصيل

بقلم: رأفت الشرقاوي
مصر

(١)

ألم يأن لي أن أعقد عزمي على رأي حاسم في ذلك الأمر؟!

ماذا لو أني أرحت طرفا دون الآخر؟ لكنه أمر صعب للغاية!!

آه! نعم، ربما أمكث طويلا في تلك المعاناة!. لا. بل سأزيح عن نفسي هواجسها، وأصفيها من اضطراباتها المجحفة .. صوت من داخلي يناديني .. يهزني، يزلزل نبضات قلبي، يطرح في أعماق نفسي يقينا يقول : أنت على حق .. رأيك صائب .. لا تستجب لرؤى المجتمع العقيمة، فما هي إلا أفكار هدامة ما أنزل الله بها من سلطان .

قلت لنفسي: سأجمع أمري، ولأحمل همي بعيدا، وليكن ما يكون، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

رحت أستشير الناس ... القريب والبعيد ... الصديق الحبيب، والزميل الشامت. استخرت الله مرارا فقذف في نفسي أن الفرج آت على شفا زمن قصير . فلتلتزم الصبر الذي ألفته ورافقك سنين .

قال لي رجل مجرب : أبعد الطرفين يستريحا، ثم لا ندم من بعد .. قال لي صديق مخلص غير مجرب : لا تتخل عن الطرف الثابت الأصيل، فهو حتما واقيك من النيران وسبيلك إلى الجنان، ورافعك في الدارين .

قلت : وماذا عن الطرف الآخر الذي وجدته في مسيرة الدرب بعد بحث دؤوب وعناء طويل، فألفيته مثل ما رجوت، وعلى شاكلة ما أردت، وفيه جملة مما ابتغيت . وها هي ذي سنواتي الاثنتين والثلاثين لا تطيق صبرا على الانفكاك عنه .

قال : وماذا تفعل في المجتمع المحيط؟ وفي أفكاره المبثوثة في كل الأذهان كالإعلام البغيض؟ ها قد عششت في رأس ذلكم الطرف، وشجعه أصحابه المحيطون، فصار يبتغي انفصالا تاما عن الطرف الأصيل النبيل، وإلا فالرحيل هو السبيل! قلت: صدقت يا صديقي الصدوق، فلا بد من الاستمساك بالطرف الأصيل ما دمت أبحث عن رضا الرحمن .

ولسوف أفتش في ثنايا دروب الأيام والليالي، فلعلي ألقى طرفا أفضل مما سأدع، وإني لأرجو أن يتواصل مع الطرف الأصيل فيصبحا طرفا واحدا قويا .

(٢)

أمي المسكينة في زاوية معهودة من غرفتها تتكئ على أريكتها القديمة .. تدعو الله لي بالسعادة وراحة البال وحب الخلائق ونيل كل مراد ..

تقوم لتصلي نافلة الضحى، لكنها لا تستطيع الارتكاز على قدميها، فتوثر الصلاة جلوسا .. تسبح في صمت عميق يتخلله تسبيح الله وذكره وحمده وتعظيمه .

وأنا في غرفتي أطالع فهرس كتاب قديم ... أصيخ السمع .. إنها أمي تناديني!:

أي بني! لِمَ تجلس وحدك عندك؟ أجيبها نهوضا على أطراف أصابع قدمي وأنا أبسم لها : لبيك أماه! هل تريدين شيئا؟

قالت : أريدك بخير يا ولدي!

قلت : أنا بخير طالما أنت بخير.

قالت : يا بني لا تجعلني همك المضني، وشغلك الشاغل، اذهب واستأجر شقة لعروسك وحقق مطلبها!

قلت : وأنت يا أماه!؟ كيف تعيشين وحدك؟

قالت : أنا امرأة عجوز لا تبتغي من هذه الفانية إلا السعادة لوليدها الحبيب .

أجبتها ودمعة كبيرة تتحدر فوق خدي : سعادتي في رضائك عني يا غالية!

قالت : راضية - والله يا بني - راضية!!، بل كل عرق في جسدي راض عنك .

انحنيت في لهفة أقبل يديها وقدميها، وقلت في رعشة تنتابني، ودموع غزيرة تبرد أنفاسي المتلاحقة :

أماه لن أتخلى أبدا عنك! فأنت الطرف الأصيل. ■

بقدر ما يكشف العلم يوما بعد يوم مستجدات في هذا الكون يتبين لنا من حقائق جديدة في عجائب خلق الله، ويزداد فهمنا للآيات الكريمة التي توجهنا للنظر في السماوات والأرض وفي أنفسنا والتدبر واستخلاص العبر.

ومن أحدث ما تكشفه الدراسات العلمية وتهتم بآفاقه غير المحدودة:

النفس البشرية، هذا العالم العجيب، والذي لا تنقضي عجائبه، النفس البشرية بتكوينها الخارجي، والداخلي، بطاقاتها الظاهرة والخفية، بمكوناتها الكبيرة والصغيرة.. من العضلات إلى أدق الخلايا وأخفاها.. وبالتفاعلات العجيبة التي تحدث فيها، ليست التفاعلات التي لا ندري حقيقتها.. ونعبر عنها بمصطلحات شتى مثل الموجات الكهربائية والمغناطيسية والسيالات العصبية.. وغير ذلك من المصطلحات التي تظهر لنا ما يدور في أعماق النفس البشرية من خواطر وانفعالات وصراعات.. فكل ما يمر به الإنسان من شوارد ذهنية وتفكير ومقارنة واختيار هو عمليات كبيرة معقدة لا يعلم كنهها إلا الله. ما زالت هي المميز الأكبر للإنسان عن الآلة، ومازالت دراسات الذكاء الصناعي وتطبيقات الكمبيوتر الهائلة تلهث وراء غبارها ولا تدرك منها ذرات قليلة..

وقد وجه القرآن الكريم قبل أن يقف الإنسان على هذه المدركات إلى تلك الحقيقة العظيمة، حقيقة ما في النفس البشرية من عجائب، فقال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وبين جوانب مما يدور فيها، بما وضع في خلقها من قدرات، فقال: ﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها...﴾. فطاقة التوجه إلى الخير والشر، وقابلية التعديل بالتزكية أو بضدها جزء من طاقات كثيرة هائلة، تصل بالإنسان إلى موقع المسؤولية والمساءلة، وتجعل النفس الواحدة نفوسا متجاذبة، بعضها ينزع إلى هذا الجانب وبعضها ينزع إلى ذاك.. وبعضها يقبل وبعضها يرفض، وبعضها يسمو وبعضها يهبط، ويبقى لصاحبها موقع «الإرادة» ليعمل صالحا فيزكيها، أو ينزلق في أودية الهوى فيركسها.. ويصبح هذا الموقع مناط الثواب والعقاب.

ومن موقع الإرادة أيضا يقف الإنسان ليحاسب نفسه، وينظر فيما اجترح من أخطاء وآثام، وليكبح جوامح الشهوة المتفلتة والغرائز الطائشة، ويحملها على أن تخرج من طرق الغواية - إن تردت فيها - وتستوي على سواء السبيل إن لم تكن قد فعلت ذلك بعد.. ويستخدم معها كل ما يستخدمه مع الآخرين من وسائل التنبيه والتقريع والجدل والإقناع.. فتخفت جواذب الهوى، وتتحرر النفس من أغلال الشهوة المتفلتة، وتتمكن من ضبط الغرائز الطائشة، وتصبح قادرة على الارتقاء إلى ما

بقلم: د. عبدالباسط بدر

يريده من يريد أن يزكيها. وهذا الفعل - فعل محاسبة النفس والارتقاء بها إلى درجات التزكية، واحد من السلوكيات المهمة التي وجه الإسلام إليها، وحض المؤمنين عليها، وطبقها الأتقياء والصالحون، وكل من صحا فيه صوت الفطرة.. وما زالوا كذلك منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا، وسوف تطبقه الأجيال القادمة -إن شاء الله- ما بقيت شعلة الإيمان حية في الصدور..

وقد سجل مبدعو الأدب الإسلامي هذه الظاهرة في نصوص كثيرة قديمة وحديثة وجعلوها شكلا من أشكال الموعظة المباشرة وغير المباشرة،فوجهوا الآخرين إليها ووجهوا أنفسهم، وحاوروها بصوت عال ليكون هذا الحوار سجلا لهم، ولكل من يصله أدبهم فيستفيد منه. ومن هؤلاء في عصرنا الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي الذي وقف يخاطب نفسه في إحدى قصائده، ويخاطب من خلالها كل نفس بشرية تركن إلى الدنيا، وتجذبها جواذب الهوى فيها فتستغرق في لذائذها الغريبة، أو في السعي إليها، ولو لم تدركها، يكشف لها حقيقة ما تركن إليه، فما هو سارٌّ في ظاهره قد يحمل الألم الكبير، والرغبة فيها أمر مركب في الأعماق يقتضي وعيا وقوة وإرادة لمغالبتها.. يقول :

يانفس دنياك تخفي كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبتسم
مخطوبة منذ كان الناس خاطبة
من أول الدهر لم تُرمل ولم تئم
يفنى الزمان ويبقى من إساءتها
جرح بآدم يبكي منه في الأدم
لا تحفلي بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

وينبه شوقي الذين أغمضت أعينهم بهارج الدنيا فلم يروا شيئا سواها إلى خطورة ما انزلقت أنفسهم إليه، فالدنيا في معطياتها يتقلب فيها المرء بين الفرحة والحزن، والراحة والضنى، ومع كل ما فيها من أوضار ما تزال تضلل نفوسا كثيرة وتجعلها متعلقة بها كل المتعلق. يقول :

أحمد شوقي

كم نائم لا يراها وهي ساهرة
لولا الأمانيُّ والأحلامُ لم ينم
طورا تمدك في نعمى وعافية
وتارة في قرار البؤس والنقم
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صابا يردْ، أو علقما يَسُم

ثم يلتفت شوقي إلى نفسه، يحاسبها على ما فرط منها، ويستعرض بذاكرته ما مضى فيجد عثرات يتمنى لو لم يقع فيها، تحولت إلى صفحات سوداء في سجل حياته، فيتألم منها، ويقر أنه أخطأ إذ استجاب لدواعي الهوى وترك نفسه ترتع في مرتع المعصيات حينا، تجري وراء لذائذ سرعان ما انقضت، وخلفت فيه الحسرة والندم. يقول في بوح ذاتي عال:

يا ويلتاه لنفسي راعها دَدُها
مسودَّة الصحف في مبيضة اللحمِ
ركضتها في مرتع المعصيات وما
أخذْت من حمية الطاعات للتخمِ
هامت على أثر اللذات تطلبها
والنفس إن يدعها داعي الصبا تهمِ

يستخلص شوقي من سجله الذاتي عبرا وعظات، يصوغها صياغة الحكم والأقوال المأثورة، ويطلقها للناس ليتدبروها، ويتملثوا بها، فهي حقائق نابعة من تجربة صادقة. يقول:

والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخمِ
تطغى إذا مُكنت من لذة وهوى
طغْيَ الجياد إذا عضت على الشكمِ
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقمِ

وبعد : فما أصدق شوقي في تصويره للنفس، وللطريقة الصحيحة في تقويمها، وما أعذب صياغته الشعرية لهذه الحقائق الإيمانية. ■

وفود الشعراء على عمر بن عبدالعزيز*

ابن عبد ربه

لما استخلف عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله، فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول، حتى قدم عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها، وكانت له منه مكانة، فصاح به جرير:

يا أيها الرجل المرخي عمامته
هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه
أني لدى الباب كالمصفود في قرن
وحش المكانة من أهلي ومن ولدي
نائي المحلة عن داري وعن وطني

قال: نعم أبا حزرة ونُعمى عين. فلما دخل على عمر، قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك، وأقوالهم باقية وسنانهم مسنونة، قال: يا عون: مالي وللشعراء، قال: يا أمير المؤمنين، إن النبي ﷺ قد مُدح وأُعطى، وفيه أسوة لكل مسلم، قال: ومن مدحه؟ قلت: عباس بن مرداس، فكساه حلة قطع بها لسانه، قال: وتروي قوله؟ قلت: نعم:

رأيتك يا خير البرية كلها
نشرت كتابا جاء بالحق مُعْلما
ونورت بالبرهان أمرا مدمَّسا
وأطفأت بالبرهان نارا مضرما
فمن مبلغ عني النبي محمداً
وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا
وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال: صدقت، فمن بالباب منهم؟ قلت ابن عمك عمر ابن أبي ربيعة، قال: لا قرب الله قرابته ولا حيّا وجهه، أليس هو القائل:

ألا ليت أني يوم حانت منيتي
شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله
وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي
هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا، ويعمل عملا صالحا، والله لا دخل عليّ أبدا، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت: جميل بن معمر العذري، قال هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت
يوافي لدى الموت ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب
إذا قيل قد سوي عليها صفيحها
أظل نهاري لا أراها ويلتقي
مع الليل روحي في المنام وروحها

أُعْزب به، فوالله لا دخل عليّ أبدا، فمن غير من ذكرت؟ قلت: كثير عزة، قال: هو الذي يقول:

رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها
خروا لعزة راكعين سجودا

أُعْزب به، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت: الأحوص الأنصاري، قال: أبعده الله ومحقه، أليس هو القائل، وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هرب بها منه:

الله بيني وبين سيدها
يفر عني بها وأتبع

* المنتقى المفيد من العقد الفريد لابن عبد ربه - ٢٥٠ - ٢٥٣، الجزء الأول، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، انتقاء / صالح بن علي بن محمد الربع السلمي التميمي.

أُعْزب به، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت همام بن غالب الفرزدق، قال : أليس هو القائل يفخر بالزنى:

هما دلتاني من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش كاسرهْ
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا
أحيٌّ يرجَّى أم قتيل نحاذرهْ
وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت
مغلَّقة دوني عليها دساكرهْ
فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا
وواليت في أعقاب ليل أبادرهْ

أُعْزب به، فوالله لا دخل عليّ أبدا، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت الأخطل التغلبي، قال أليس هو القائل:

فلست بصائم رمضان عمري
ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عَنُسا بكورا
إلى بطحاء مكة للنجاحِ
ولست بقائم كالعير يدعو
قبيل الصبح حيَّ على الفلاحِ
ولكني سأشربها شمولا
وأسجد عند منبلج الصباحِ

وَاعْزب به، فوالله لا وطئ لي بساطا أبدا وهو كافر، فمن بالبابَ غير من ذكرت؟ قلت : جرير بن الخطفي، قال : أليس هوالقائل:

لولا مراقبة العيون أريتنا
مقل المها وسوالف الآرامِ
هل ينهينّك أن قتلن مرقّشا
أو ما فعلن بعروة بن حزامِ
ذُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى
والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
حين الزيارة فارجعي بسلامِ

فإن كان ولا بد فهذا، فأذن له، فخرجت إليه، فقلت : ادخل أبا حزرة، فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمدا
جعل الخلافة في إمام عادلِ
وسع الخلائق عدله ووفاؤه
حتى ارعوى وأقام ميل المائلِ
والله أنزل في القُرَانِ فريضة
لابن السبيل وللفقير العائلِ
إني لأرجو منك خيرا عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجلِ

فلما مثل بين يديه، قال : اتق الله يا جرير، ولا تقل إلا حقا، فأنشأ يقول:

كم باليمامة من شعثاءَ أرملة
ومن يتيم ضعيفِ الصوت والنظرِ
ممن يعدك تكفي فقد والده
كالفرخ في العش لم ينهضْ ولم يطرِ
يدعوك دعوة ملهوف كأنَّ به
خبْلا من الجن أو مسًّا من البشرِ
خليفة الله ماذا تأمرنَّ بنا
لسنا إليكم ولا في دار منتظرِ
ما زلت بعدك في هَمٍّ يؤرقني
قد طال في الحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود باديناً
ولا يعود لنا باد على حضرِ
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطرِ
نال الخلافة إذ كانت له قدرا
كما أتى ربَّه موسى على قدرِ
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها
فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ

فقال : يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر، وما أملك إلا ثلثمئة، فمئة أخذها عبدالله، ومئة أخذتها أم عبدالله، يا غلام، أعطه المئة الباقية، فقال: والله! يا أمير المؤمنين إنها لأحب مال إليّ كسبته، ثم خرج، فقالوا له : ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير المؤمنين يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض، ثم أنشأ يقول:

رأيتُ رُقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

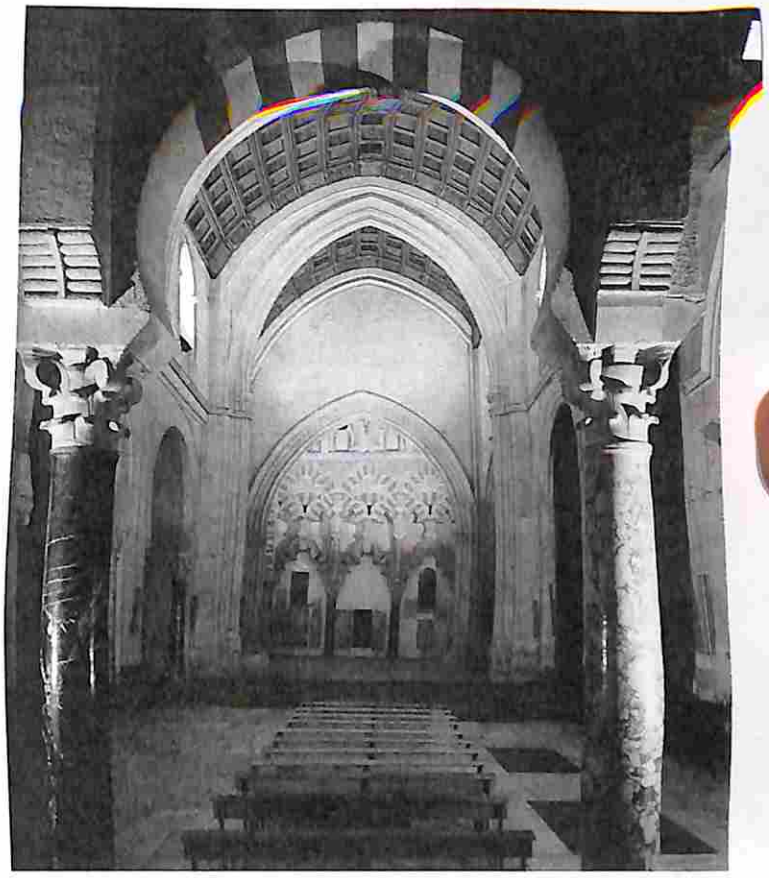

بين يدي هذا الديوان

الممتع، ديوان القاضي عياض : جمع وتحقيق الأستاذ محمد عيناق، وتقديم د. حسن جلاب، ومراجعة الأستاذ علي الصقلي، إصدار مطبعة بني أزناسن، سلا، المغرب، في طبعته الأولى سنة ٢٠٠١م.

ولقد أحسن الأستاذ محمد عيناق بتحقيق هذا الديوان وإخراجه، ليظل عطاء علمائنا السابقين نبعا غنيا تغترف منه الأجيال المؤمنة علما وأدبا ولغة، وتظل بذلك أجيال المؤمنين متواصلة، وعطاؤها متصلا، ويظل كذلك المغرب متصلا بالمشرق، في أمة مسلمة واحدة، بإذن الله!

مع ديوان القاضي عياض اليحصبي

وللمغرب رجال في كل باب من أبواب العلوم والآداب. والقاضي عياض من أبرزهم، ومن الأقوال المتداولة المعروفة عنه، كما ذكر د.جلاب في تقديمه للديوان : « لولا عياض لما ذكر المغرب»، وقول آخر : «والمغرب كله حرم لأبي الفضل»[١].

والقاضي عياض هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرون ممتدا إلى موسى بين عياض اليحصبي[٢].

ولد سنة ٤٧٦ هـ بمدينة سبتة، ونشأ وعاش في عصر المرابطين والموحدين، ولازم علماء سبتة وأخذ عنهم، وكان رجلا من رجالات الفقه وعلما من أعلام المذهب المالكي. وقد ظل على مذهبه لم يبدل مهما تبدلت الأحوال، وتقلبت الأيام، فنال بذلك تجارب وحكمة ساعد بهما على المصالح العليا[٣].

بقلم: د . عدنان النحوي
السعودية

وتوفي القاضي عياض في «الحضرة العلية» مراكش أيام الموحدين سنة ٥٤٤هـ، منتصف ليلة الجمعة، ودفن بها في «باب أيلان» داخل السور [٤].

وقد ذكره عدد من العلماء والأدباء في مراجع متعددة، وكما ذكر المحقق الأستاذ عيناق. فهو عندهم جميعا من أهل اليقين في العلم والذكاء واليقظة والفهم [٥].

عرف قومه أهل «سبتة» موهبته ومنزلته. فتولى القضاء فيهم، ثم نقل إلى غرناطة. وقد زاول مهام الخطابة والتدريس والتربية، وبث الوعي بين الناس، يدل على ذلك ما تركه من خطب وأحاديث وأناشيد. ذكر بعضها ولده أبو عبدالله محمد في كتابه : «التعريف».

كان عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. وكان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. وقيل إنه توفي مسموما، وقيل إن الذي سمه يهودي [٦].

له تصانيف كثيرة منها : «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«الغنية» في ذكر مشيخته، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك» في أربعة أجزاء والخامس فهارس، «وشرح صحيح مسلم»، و «مشارق الأنوار»، مجلدان في الحديث، و«الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» في مصطلح الحديث. وله كتاب في التاريخ [٧].

ولقد ذكر ابنه أبو عبدالله محمد في كتابه «التعريف» أن والده وضع تسعة عشر كتابا، أما ابن ثابت الطنجي، فقد ذكر أن للقاضي عياض ما ينيف عن الثلاثين كتابا[٨].

لقد بذل الأستاذ محمد عيناق جهدا كريما في تحقيق هذا الديوان. ولقد كان «عيناق» أول من قام بهذا العمل، فجمع شتات شعر القاضي عياض من مصادر كثيرة، وصبر على متابعة ذلك من المصادر المطبوعة والمصادر المخطوطة ولقد استغرق هذا العمل عدة سنوات.

ولقد قام المحقق بتحقيق بعض الأبيات التي تنسب عند بعضهم إلى القاضي عياض، وتنسب عند آخرين لغيره، وخرج بدراسته إلى أن تلك الأبيات ليست للقاضي عياض، بأدلة وتحليل سليم.

ويؤكد عيناق أن للقاضي عياض شعرا أكثر مما جمعه في هذا الديوان، إلا أن أغلب شعره قد ضاع. ويذكر قول ابن خلكان في وفياته : « وللقاضي عياض شعر حسن »، وقول ابن فرحون : « إن له شعرا كثيرا فائقا حسنا بليغا رائعا»[٩].

ولم يترك القاضي عياض ديوانا مطبوعا أو مجموعا، ولم يصلنا، كما يذكر المحقق، أي مصنف له في النقد الأدبي، وإنما آراؤه موزعة بين مختلف كتبه التي تدور حول علوم أخرى، مثل كتاب : «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد »، وكتاب «الشفا»، وغيرهما.

يضم هذا الديوان ما أمكن جمعه من شعر القاضي عياض، وهو يبلغ قرابة أربعين قطعة شعرية، تتراوح أطوالها ما بين قطعة صغيرة من بيتين أو ثلاثة أو أربعة، وقطعة متوسطة، وقصيدة طويلة.

ومن القصائد ما يبلغ تسعة وثلاثين بيتا، أو ثمانية عشر بيتا، أو أربعة وعشرين، وأطولها تبلغ ستة وخمسين بيتا. ومجموع الأبيات الشعرية في الديوان ثلاث مئة وثمانون بيتا. وهو، كما نرى، كم قليل لا يتناسب مع موهبة القاضي عياض ومكانته الأدبية والعلمية والفقهية.

وهو يطرق في قصائده ومقطوعاته موضوعات متعددة: أوسعها مديح الرسول ﷺ. فله في هذا الموضوع أطول قصائده وأكثرها : فمنها قصيدة تبلغ ستة وخمسين بيتا، وأخرى تبلغ تسعة وأربعين بيتا، وثالثة تبلغ سبعة عشر بيتا، ومن خلال مديح المصطفى ﷺ يلتفت إلى مرابع مناسك الحج وإلى المدينة المنورة.

ومن طريف هذه القصائد قصيدته التي تأتي أبياتها مرتبة على سور القرآن الكريم، فإما أن يذكر اسم السورة أو أوائل كلماتها. ولننظر في بعض أبيات منها لنرى في ذلك الأسلوب الجديد سلاسة ألفاظ وحلاوة معان وجمال جرس :

في كل «فاتحة» للقول معتبرةُ
حق الثناء على المبعوث «بالبقرةْ»
في «آل عمران» قدما شاع مبعثه
رجالهم و «النساء» استوضحوا خبرهْ
قد مد للناس من نعماه «مائدة»
عمت فليس على «الأنعام» مقتصرةُ
«أعراف» رحماه ما حل الرجاء بها
إلا و «أنفال» ذاك الجود مبتدرةُ

به توسل إذ نادى «بتوبته»

في البحر «يونس» والظلماء معتكرةُ

مضمون دعوة «إبراهيم» كان وفي

بيت الإله وفي «الحجر» التمسُ أثرهُ

دوامة كدوْي «النحل» ذكرهم

في كل قطر «فسبحان» الذي فطرهُ

وتمضي القصيدة حتى تستوفي القرآن الكريم على ترتيبها، ثم تنتقل إلى الصحابة العشرة المبشرين بالجنة واحدا واحدا، دون أن تلمس فيها جهد الصنعة والتكلف، وإنما تجري الأبيات من موهبة ندية غنية بألفاظ مترابطة ومعان متناسقة، وطبع لا تكلف فيه. ثم يختم هذه القصيدة ببيت جميل الصورة والتمثيل، والمعنى واللفظ :

أقسمت لا زلت أهديهم شذا مدَحي

كالروض ينثر عن أكمامه زهَرَهْ

وفي قصيدة أخرى في مدح الرسول ﷺ يقول :

يا عين هذا السيد الأكبرُ

وهذه الروضة والمنبرُ

فشاهدي في حرم المصطفى

من نوره الساطع ما يبهرُ

هذا مقام المجتبى أحمد

فمثله الأعين لا تنظرُ

وأي فهم فيه لا ينجلي؟

وأي كسر فيه لا يجبرُ

ثم يأتي البيت الجميل والمعنى الرائق والصورة الغنية بألوانها وحركتها وندائها:

ودت نجوم الأفق لو أنها

كانت قناديل به تزهَرُ

ثم يتوجه فيها إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء واللجوء:

يا ربّ ! يا الله ! يا سيدي

ويا عليمَ الغيب مستترُ[١٠]

إن لم تداركني بلطف فيا

خسرا ! ويا خيبة من يخسرُ

فلي ذنوب أثقلت كاهلي

إن لم تكن تغفرُ ، من يغفر؟

والقصيدة الأخرى في هذا الباب تجري كالماء هينة لينة:

هذا الذي وخدت شوقا له الإبلُ

هذا الحبيب الذي ما منه لي بدلُ

هذا الذي ما رأت عين ولا سمعت

أذن بأكرم من كفيه إن سألوا

هذا الذي هتفت من قبلِ مولده

به الهواتف واشتاقت له المقلُ

ويمضي القاضي عياض في هذه القصيدة يتتبع نسب الرسول ﷺ، وبعض آيات مولده ورضاعته.

وتشعر مع هذه القصائد تدفق العاطفة التي تختار جمال الوزن وحلاوة القافية من علم راسخ، وقريحة غنية، وتقوى صادقة إن شاء الله. وهذا الموضوع، مدح الرسول ﷺ، ينال الكم الأكبر من قصائده بالنسبة لباقي الموضوعات.

والعالم الفقيه الشاعر القاضي عياض يطرق في هذا الديوان موضوعات متعددة ما بين وصف، وحكمة، ودعاء

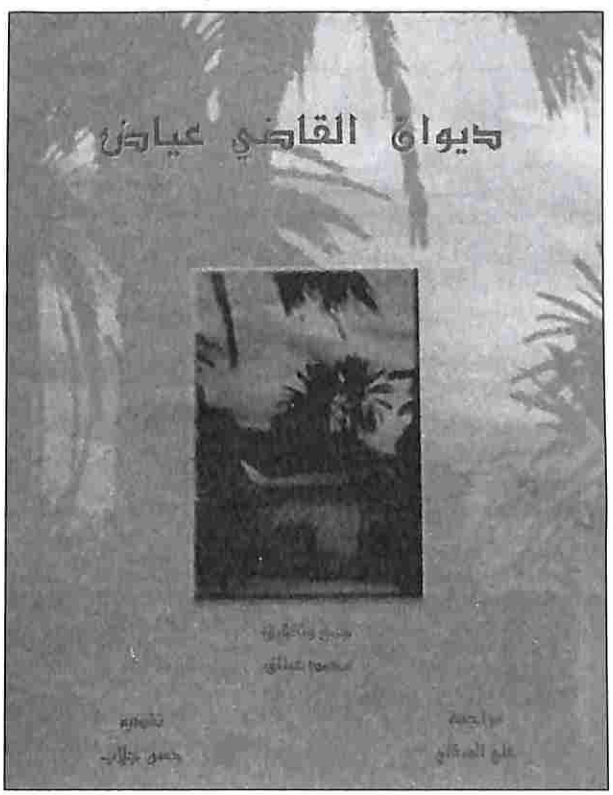

ورجاء، وتحلو عنده المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية وتشبيه، وغير ذلك.

ولقد رأينا جمال التورية في قصيدته التي يمدح فيها الرسول ﷺ، ويذكر فيها أسماء السور في القرآن الكريم على ترتيبها. فيأتي اسم السورة ليدل على السورة وهو المعنى القريب المقصود، وليدل على معنى آخر، مثل: الأنعام، والنساء، والمائدة، وغير ذلك..

وله بيتان جميلان في أدب المجالس والانبساط، والنهي عن المزاح، فيقول:

إذا ما نشرت بساط انبساط
فعنه - فديتك - فاطو المزاحا
فإن المزاح على ما حكى
أولو العلم - قبلُ - عن العلم زاحا

ونرى هنا جمال الجناس غير التام في: بساط وانبساط، المزاحا وزاحا، حيث يأتي الجناس من خلال حكمة وأدب دون تكلف.

ومن جميل وصفه وصف الزرع حين تدفعه الرياح فيبدو كأنه جيش منهزم أصيب بجراح تمثلها شقائق النعمان:

انظر إلى الزرع وخاماته
تحكي وقد ماست أمام الرياحْ
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراحْ

ولا أرى كلمة «ماست» تناسب الصورة التي يعرضها، فظلال كلمة «ماست» توحي بأجواء الغواني، لا بأجواء الجيش المنهزم. ولو استخدم كلمة «مالت» لكانت ظلالها أقرب للصورة المعروضة. ومن ناحية أخرى كان يمكن أن يشبه الزرع وخاماته وقد مال مع الريح بالجيش الزاحف غير المدبر، أصابته الجراح من الإقبال لا من الإدبار.

ومن الوصف عنده كذلك، مع التورية، ومما اشتهر من كلامه بين الناس:

كأن كانون أهدى من ملابسه
لشهر تموز أنواعا من الحللِ
أو الغزالة من طول المدى خرِفتْ
فما تفرق بين الجدي والحملِ

وله أبيات جميلة في الشوق يزيدها الجناس جمالا:

الله يعلم أني منذ لم أركُمْ
كطائر خانه ريش الجناحينِ
فلو قدرت ركبت البحر نحوكمُ
فإن بعدكمُ عني جنى حيني

التشبيه بطائر سقط ريش جناحيه جميل، واقترن في البيت الثاني مع الجناس بين جناحين وجنى حيني.

ومن موضوعاته التي يطرقها كثيرا الدعاء إلى الله، ويأتي فيها كذلك مع جمال الجناس:

أعوذ بربي من شر ما
يُخاف من الناس والجِنَّةِ
وأسأله رحمة تقتضي
عوارف توصل بالجَنَّةِ
فما للخلائق من ناره
سوى فضل رحماه من جُنَّةِ

فهذه الألفاظ الثلاثة: الجِنَّة، والجَنَّة، والجُنَّة، فيها طرافة وحلاوته الجناس.

وكأن القاضي عياض مولع بمثل هذا الجناس وغيره من أنواع البديع كالتورية التي سبق المثل عليها، والطباق الذي سنراه في أبيات أخرى.

ويتحدث عن الزمان، وتقلب الخلان، وصروف الأيام والحدثان، وما يتلو ذلك من مرارة وألم، نذكر منها هذه الأبيات:

أتراني وما عسى أن تراني
آخذا مرة أمان الزمانِ
سلبتني صروفه كل علْق
من شباب وصاحب وأمانِ[11]
كلما حزت بغيتي بفلانٍ
علقت كفه بذاك الفلانِ
عمرك الله! هل سمعت بحيٍّ
لم ترُعْهم روائع الحدثانِ

ومن لطيف شعره وحكمه ووصاياه قصيدة نقتطف

منها بعض الأبيات لنرى إلى ماذا يدعو، وبماذا يوصي، مع ما فيها كذلك من الجناس:

يا سائلا عن حميد الهدي والسَّنِ
أطلب - هديت- علوم الفقه والسُّنِ
واسلكْ سبيل الأولى حازوا نهى وتقى
كانوا، فبانوا حسان السر والعلنِ
هم الأئمة والأقطاب، ما انخدعوا
ولا شروا دينهم بالبخس والغبنِ
ومالك المرتضى لا شك أفضلهم
إمام دار الهدى والوحي والسُّنِ

وشاعرنا يكثر من مدح مالك بن أنس، فهو على مذهب الإمام مالك، بل علم من أعلام المذهب المالكي. فقد قال عن موطأ مالك:

إذا ذكرتْ كتُبُ العلوم فخيرُها
كتاب الموطأ من تصانيف مالكِ
أصح أحاديثا وأثبت سنةً
وأوضحها في الفقه نهجاً لسالكِ
أسانيدُ أمثال الرواسي، صحيحةٌ
ورأي كأنوار النجوم الشوابكِ
هو الحجة الغراء والعصمة التي
ينجّي هداها من جميع المهالكِ

وقد بالغ في البيت الأخير. فهذه الصفات هي لكتاب الله، فهو الحجة الغراء والعصمة التي تنجي، وكتب الأحاديث كلها سننها وصحيحها ومسانيدها على درجات متقاربة من الخير والبركة والهداية، ويؤيد بعضها بعضا، لتجتمع الأمة عليها دون نوازع الفرقة والتفرقة والخصام، ولترتبط كلها بكتاب الله.

ومن جميل حكمه قوله :

لإتيان مالِ مالَ كل مؤمّلِ
ولكنها سبل صعاب المسالكِ
كذلك جنات النعيم ودونَها
صراط، وكم ناجٍ هناك وهالكِ

ومن لطائفه في حسن التعليل وجميل التورية لحبه كتاب «الشفا» الذي هو مؤلفه:

فقالوا نراك تحب «الشفا»
وتخبر فيه عن المصطفى
فقلت: لأني عليل الفؤاد
وكل عليل يحب «الشفا»

ومن طرائف قوله ما خاطب به صاحب القلائد :

أبا النصر إن شدوا رحالك للنوى
فإن جميل الصبر عنك بها شدُّوا
وإن تتركوا قلبي مقيما وترحلوا
فماذا ترى في مهجة معكم تغدو

فالقاضي عياض عالم فقيه وشاعر. ولا بدَّأن يبدو علمه وفقهه في قصائده. فقد رأينا ما يقول في الإمام مالك، ورأينا حكمه ووصاياه، ورأينا طرائف قوله وحسن تعليله. ومن دواعي الفقه والعلم والتقى اللجوء إلى الله تعالى دعاء وتوبة واستغفارا. فمن قوله في قصيدة نقتطف أبياتا منها:

إليك بؤت بذنبي
فاغفر خطاياي ربي
وامنن عليَّ بلطف
تجبرُ به صدع قلبي
فقد ركبت ذنوبا
سودت منهن كتبُي
وطال تقصير سعيي
في كل فرض وندْبِ
وقد أسأت فأحسنْ
فلم تزل محسناً بي

ثم يختم هذه الأبيات بقوله:

وعافني واعف عني
فأنت يا ربِّ حسبي

ونلاحظ هنا اقتباسه لألفاظ من الأدعية المأثورة اقتباسا جميلا في قوله: بؤت بذنبي، واغفر خطاياي، وعافني واعف عني، ولقد رأينا في قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، كيف يتوجه فيها إلى الله بالدعاء وطلب المغفرة كذلك.

ومن الموضوعات التي يطرقها تشجيعه على اقتناء

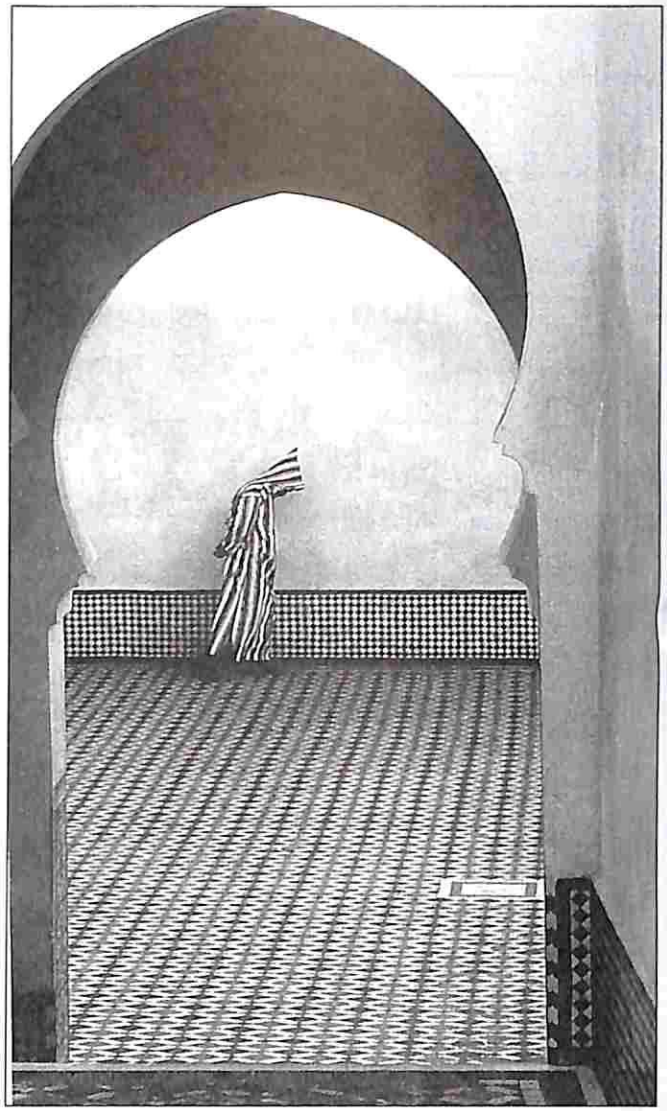

الكتاب وقراءته في أسلوب جميل:

خير ما يقتني اللبيبُ كتابٌ
محكم النقل متقن التقييدِ
خطَّه عارفٌ نبيلٌ وعاناه
فصحَّ التبييض والتسويدُ
فيناجيك شخصه من قريب
ويناديك نصه من بعيدِ

فانظر إلى حسن التشبيه، وجمال الطباق بين : التبييض والتسويد، وبين قريب وبعيد.

ثم تراه يحدد في أبيات أخرى ما هو كتاب العلم الذي يُقتنى، فاسمعه يخاطب طالب العلم:

يا طالبَ العلم استمعْ قولَ امْرئ
مَحضَ النصيحة للمريد الراغبِ
العلم في أصلين لا يعدوهما
إلا المضل عن الطريق اللاحبِ
علم الكتاب وعلم الآثار التي
قد أسندت عن تابع عن صاحبِ
جاءت بها الأثبات منهم واعتنتْ
بمسانيدٍ ومراسيلٍ وغرائبِ

فالعلم في أصلين حقا هما في الكتاب والسنة، كما جاءا باللغة العربية وحيا من عند الله على محمد ﷺ، وهو خير ما يقتنى حقا.

ونلاحظ أن الشطر الأول من البيت الثالث غير سليم الوزن كما أتى في الديوان. وقد يستقيم الوزن إذا وصلت كلمة علم بالآثار «وعلمُلاثار» بعد أن تحذف همزة المد كما ذكر المحقق، وأعتقد أن هذا خطأ بين، قد لا يكون من القاضي نفسه، وإنما من المصادر التي نقلت النص، وإلا فشاعر كالقاضي عياض لا يعجزه إصلاح البيت بأكثر من طريقة. وقد سبق معنا البيت : ويا عليم الغيب مستتر، حيث جاءت كلمة مستتر لا تناسب الوزن ولا النحو. ولا يعقل أن يخطئ القاضي عياض مثل هذا الخطأ، وهو المتمكن من اللغة والأدب.

وكان يمكن أن يعالج البيت : علم الكتاب وعلم الآثار التي، بأسلوب آخر مثل أن يقول :

علم الكتاب وسنة تمضي به
قد أسندت عن تابع عن صاحب

وليس له في مديح أهل السلطان جولات. فاسمعه كيف يقول عند توجهه لحضرة أمير المؤمنين. فقضيته التي تشغله حنينه إلى سبتة وشعوره بالغربة في «داي»:

أقمرية الأدواح بالله طارحي
أخا شجن بالنوح أو بغناء
فقد أرقتني من هديلك رنَّة
تهيَّج من برْحي ومن بُرَحائي
لعلك مثلي يا حمام، فإنني
غريبٌ «بداي» قد بليت بداء

فكم من فلاة بين داي و «سبتة»
وخرق بعيد الخافقين قواءِ
تصفق فيها للرياح لواقح
كما ضعضعتني زفرة الصُّعداءِ

ويختمها بقوله:

لعل الذي كان الترفق حكمه
سيجمع منا الشمل بعد فناءِ

والحنين يطلق دائما شعرا رقيقا يتناسب مع الحنين، والغربة تطلق كذلك العاطفة وتثير الحنين، فيرق الشعر لفظا ونغمة وأسلوبا كما رأينا في هذه الأبيات الجميلة.

وقد يحركه الحب، كما حرك بعض العلماء في تاريخنا، فتنفلت أبيات من عاطفة الحب والشوق:

أذات الخالِ كم ذا تنتضينا
عليَّ سيوفَ عينيك انتضاءَ
بمطلك لي مواعد أقتضيها
من التوريد واللعس اقتضاءَ
فقضي وعد مطلك، أنجزيه
خيار الناس أحسنهم قضاءَ

ويقول في الحب أيضا:

يا خليليَّ فاحملا بعض قولي
للتي غادرت فؤادي عليلا
بلغا عني الثريا سلاما
واذكراني لها، وقُولا جميلا
خلت أني ملكتها وإذا بي
في يديها تخيلا مستحيلا
لست أنسى وكيف لي أنا أنسى
حين ألقى الدجى عليها السدولا
هل إلى نظرة سبيلٌ فإني
لست أبغي إلا إليها سبيلا

تتحرك العاطفة مع الحنين والغربة، ومع الحب والشوق، ومع الفرحة والحزن، مع كل دوافع العاطفة ونوازعها، فتطلق من الشاعر شعره الندي على قدر العاطفة. وانظر إلى هذه الأبيات الرقيقة يقولها عند ارتحاله عن حاضرة قرطبة:

أقول وقد جدَّ ارتحالي وغرَّدت
حُداتي وزُمَّت للفراق ركائبي
وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم يبق إلا وقفة يستحثها
وَداعيَ للأحباب لا للحبائبِ
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا
وسقى رباها بالعهاد السواكبِ
وحيّا زمانا بينهم قد ألفته
طليق المحيا مستلان الجوانبِ
أ إخوانَنا بالله فيها تذكروا
معاهد جار أو مودة صاحبِ
غدوت بهم من برهم واحتفائهم
كأنيَ في أهلي وبين أقاربي

رقة وعذوبة، وصفاء نفس، وصدق عاطفة، اجتمعت كلها لتدفع هذه الأبيات الرقيقة.

رحم الله عالمنا وشاعرنا وفقيهنا القاضي عياض رحمة واسعة، وأنزله المنزلة الرفيعة من جناته. وليت شعره كله قد جمع، لنظل بين أنسام ندية، ونفحات غنية، ونفس أبية!

لقد رأينا معظم الموضوعات التي طرقها، وكان أوسعها وأكثرها مديح المصطفى ﷺ. ولهذه الظاهرة معنى في نفسه وإيمانه. وإنه الحب الحق الصادق لرسول الله ﷺ. إنه الحب الصادق الذي دفع لنا تلك القصائد الجميلة. ■

الهوامش

(١) الديوان، ص٧.
(٢) الديوان، ص١١.
(٣) الديوان، ص١٣-١٥.
(٤) الديوان، ص٢٩.
(٥) الديوان، ص١٩.
(٦) الزركلي، الأعلام ٥/٩٩.
(٧) الديوان، ص١٣-١٥.
(٨) الديوان، ص١٨-١٩.
(٩) الديوان، ص٢٩.
(١٠) هكذا وردت في الديوان المحقق، وهذا خطأ نحوي وخطأ في الوزن، لا أتوقع أنه من الشاعر ولو قال: هل تستر؟! لانتظم الوزن والمعنى.
(١١) العلَقُ: ما تضن به النفس.

بعد الستين

شعر: صفاء الدين محمد أحمد
مصر

خلت الديار ، وجفت الأكوابُ
وتغيبت عني قوافل صحبتي
لَما أحالوني تخلوا كلهم..
قالوا: كفى منك اجتهاد، واسترحْ
خُدعوا بشعر أبيض وشهادة
ستون عاماً بيد أني لم يزل
أفنيت عمري عاملا ما مسني
شهدت عليَّ صحائفٌ مملوءة
قد كنت في الميدان أشَجَع فارس
أكذا تكون نهايتي يا صحبتي
ذهب الزميل ومكتب أحببته
ذهب القميص وبعض عطر فوقه
أنا كالغريب وما لصمتي آخر
ولدي له بيت وزوج ، وابنتي
علمتهم خير الذي أوتيت من
يقفون بالشرفات ساعة عودتي
ما زلت أسمع بالديار صياحَهم
اليوم لا صوتٌ ولا عتبٌ ، ولا ..
شغلوا بغيري، والحياة مشاغل
لا شيءَ يؤنس وحدتي ، لا صيحةٌ
وإذا مللت الدار سرت بلا هدى
وإذا شكوت الناس قالوا: عندنا
يالزمان ... تبدّلت أوصافه
«ستون عاماً» بيد أني لم يزل ..
رفقا «بشيخ» ... هكذا سميتم

وعلى الحوائط عنكب وترابُ
وكأنني ما كان لي أصحابُ
عني ، ودوني غُلّقت أبوابُ
هل يستريح السائل المنسابُ؟
«تاريخ ميلادي» هو الكذابُ
عندي كثير .. صحة وشبابُ
أبدا جزاء واقع .. وعقابُ
أني على قمم السحابُ سحابُ
دوما .. وإني الفارس إلوثابُ
هل بالجفاء والابتعاد أثابُ؟
لم يبق إلاّ حائط وكتابُ
أنا كالسجين أحاطني جلبابُ
وجميع من حولي هنا أغرابُ
في بيتها قد هدّها الإنجابُ
علم ، وفاقت فيهم الآدابُ
هل بعد ذلك منظر خلاّبُ؟
ولطالما بعد الصياح عتابُ
زوجٌ، ولا بيتٌ، ولا أحبابُ
ذهبوا ، فهل بعد الذهابُ إيابُ؟
بالدار توقظ غفلتي .. فتجابُ
تجتاحني الآلام والأوصابُ
«بيت المسنّ» . وما أصابَ جوابُ
وأتى على وجه الحياء ضبابُ
عندي كثير .. صحة وشبابُ
يا للزمان .. وهذه الألقابُ

العولمة والأدب

إشكاليات .. وآفاق

بقلم: أحمد محمد حسانين*
مصر

النظام العالمي الجديد.. العولمة الكوكبية .. حوار الثقافات.. التناص والبيئية.. ما بعد الحداثة.. تلك هي مفردات الخطاب الإعلامي اليومي الجديد، المتردد على الساحات الإقليمية والدولية لعالم القرن الحادي والعشرين، والمعبرة في النهاية عن عالم بشري تحاول الحضارة الغربية «المتفوقة» ماديا وتكنولوجيا - إعادة صياغته وتشكيله، وتلعب الولايات المتحدة الأمريكية - زعيمة العالم الغربي - دورا جوهريا في تنظير قواعده، ووضع آلياته.. وتطير لنا وكالات الأنباء عبر وسائل الإعلام سواء من عواصم الغرب أم مبنى الأمم المتحدة!! -فاعليات هذا التنظير وتلك الآليات. والمراقب لما يصدر عن هذه المحاولات المصحوبة بالدعائية المبهرة وذلك النشاط التسويقي المحموم للعولمة، وما يصاحبه من صخب ولغط وأحيانا عنف وصدام (أحداث سياتل ودافوس الأخيرة) - المراقب لذلك كله يجد نفسه مضطرا لمحاولة فهم ما تنطوي عليه العولمة من حقائق، وما تحويه من مضامين، وما تفرزه من إشكاليات، وما تفتحه من آفاق خاصة فيما يتعلق بعلائقها الأدبية والثقافية بشكل عام.

* كاتب وناقد مصري، موجه بالتعليم.

أسس وأبعاد العولمة:

تستند العولمة اليوم إلى ثلاثة أسس، عدها جمع من خبراء الشرق والغرب، تمثل شروط الانتماء إلى عالم اليوم، وهي:

١ - الاندماج في نظام اقتصادي عالمي يتبنى سياسات تحرير الأسواق والاقتصاديات عن طريق الالتزام بقواعد منظمة التجارة العالمية «الجات سابقا» وهذا النظام الاقتصادي تمثل آلياته أسواق مالية كوكبية وشركات متعددة الجنسيات.

٢ - اعتماد إيديولوجيات ليبرالية جديدة، تؤكدها، كما تعلن أدبيات العولمة على الديموقراطية والتعددية للجميع وتوسيع مفاهيم حقوق الإنسان والبيئة من حوله.

٣- يقوم النظام الإعلامي بوسائله وتقنياته فائقة التكنولوجيا بدور مهم وأساسي في تكوين وبلورة المنظومة الشاملة للعولمة باستغلال مكتسبات الانفجار المعرفي وشبكة الاتصالات العالمية بالإضافة إلى تحريك رؤوس الأموال والسلع عبر قارات العالم.

تلك هي الأسس الثلاثة التي تعكس التصورات الإجرائية «لصناع العولمة» (globalization) وقد يعرفها بعض الكتاب بمصطلح يشير إلى أسلوب وفلسفة العمل فيقال عنها «التنميط» أو التوحيد أو uniformaliezation أو unification.. وحين نقول: إن العولمة تعتمد ثلاثة أسس وآليات إجرائية، ذلك لأنها لم تعد مجرد نظرية أو مفهوم، وإنما غدت واقعا إجرائيا يتدعم يوما بعد يوم، فنحن الآن نعيش في عالم «يتعولم» أو «يتنمط»!!.. وبعض المفكرين ينظر إلى العولمة على أنها ثمرة لتطوير أساليب الإنتاج والاتصال الحديثة التي جعلت من العالم قرية صغيرة وتلبية معطيات مرحلة ما بعد الصناعة أو ما يعبر عنه فكريا «ما بعد الحداثة».. أو ينظر إليها بعضهم على أنها ثمرة لانتصار الفكر الليبرالي الغربي على سائر الإيديولوجيات والنظم، وبالتالي لا بد من تعميم هذا الفكر.

ويبدو أن الغرب مصمم وبشدة على استغلال الظرف التاريخي الناتج عن انهيار المعسكر الشيوعي والاشتراكي وبروز دور الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، ويستغل ذلك في التسويق المادي للعولمة، وفكريا يقوم الغرب بعملية إزاحة للثقافات والإيديولوجيات الأخرى، والتي يراها معوقة لمسيرة العولمة ويصفها بأنها «قديمة» أو «شمولية» وهو ما عبر عنه «صموئيل هنتنجتون» «بصراع الحضارات» أو «صدام الحضارات» ويحاول مسوقو العولمة أن يكسبوا رؤية هنتنجتون المباشرة الصريحة طابعا دبلوماسيا مراوغا يتلاءم مع شعارات العولمة، فرأينا واقعا «صدام الحضارات» يتحول فيه قاموس العولمة إلى «حوار الحضارات» أو «تبادل الثقافات».

يتضح مما سبق أن العولمة إجراء عملي يسير بفعل التطوير للسياق التاريخي الذي نعيشه إلا أن الإدارة السياسية تلعب فيها دورا رئيسيا ذا مجال شديد الاتساع، يمتد من الجيو-سياسية العالمية والإقليمية إلى الثقافات عبر وسائط تشمل أرض الكوكب وسماءه، و «اتفاقية الجات أو منظمة التجارة العالمية» تظل إحدى الآليات الرئيسية التي تستخدمها العولمة مع آليات أخرى كحلف الناتو الجديد ومجلس الأمن الدولي وصندوق النقد الدولي والشركات المتعددة الجنسيات ووسائل الاتصال والإعلام وحقوق الأبحاث في الإلكترونيات، وشبكة المعلومات «الإنترنت».. ومن المهم أن نعرف أن منظمة التجارة العالمية تتضمن لوائح تنظيمية وقانونية عن حقوق الملكيات الفكرية ومعظمها غربي.

بعض إشكاليات العولمة

على مستوى العالم الثالث، بل والغرب نفسه وخاصة فرنسا تتم فعاليات كثيرة، ونشاطات ثقافية وفكرية متعددة تعكس إحساسها وإدراكها لأمواج العولمة العاتية وخطورة سياستها الإعلامية، وتنادي هذه الفعاليات بوضع تصورات وقائية، وتهيئة المجتمعات للتعامل مع واقع جديد لا محالة من تعميمه، ومحاولة تجنب أكبر قدر ممكن من إشكالياته خاصة على مستوى البعدين الإعلامي والثقافي، وتطوير المفاهيم والأساليب للتفاعل مع الإيجابيات والآفاق الجديدة التي تفتحها العولمة لهذه المجتمعات المتطلعة إلى الرخاء والديمقراطية، ونستطيع أن نحدد أهم إشكاليات العولمة على مجتمعاتنا في بعدها الثقافي والإعلامي في تبني العولمة للثقافات الآتية:

أ- ثقافة الاستهلاك المحموم.

ب- ثقافة الجنس.

جـ- ثقافة السلام.

وهذه الجوانب تتعرض لانتقادات حادة وخاصة فيما يتعلق بأثرها في الأنماط السلوكية والجوانب الأسرية والدينية والأخلاقية، وأثر ذلك كله في عمليات التنمية ذات الطابع الذي يتلاءم وظروف العالم الثالث، ومن هنا فتعبير «التبعية الثقافية» حين تطلقه أصوات كثيرة في العالم الثالث إنما يعكس الإحساس بالتأثيرات السلبية في الهوية الثقافية والحضارية، بل إن التعبير أحيانا يأخذ طابعا أكثر حدة حين يعبر عنه «بالاستلاب» أو «العنف الثقافي». ويحضرني في مقام تناول الأنماط الثقافية للعولمة مقال تحت عنوان «الوزير.. والكتاب.. وثقافة العولمة» للأستاذ مرسي عطا الله رئيس تحرير جريدة «الأهرام المسائي» يقول فيه: «إن أخطر تحديات العولمة بالنسبة لنا ولكل الشعوب صاحبة الحضارة والتاريخ - هو التحديات الثقافية - التي تتجاوز في مخاطرها تحديات التقنية الحديثة، وأطماع الكبار في ثمار السوق المفتوحة وحرية التجارة. ومن المهم أن نتبين بوضوح أن العولمة ولو أنها نظام اقتصادي في المقام الأول.. سياسي اجتماعي في المقام الثاني.. إلا أنها بلا شك تحمل ثقافة جديدة.. فالطوفان المعلوماتي والرموز التي تشيعها وتنشرها العولمة بكل وسائل الاتصال الحديثة فائقة القدرة، ووسائل الإعلام فائقة السيطرة (سينما - إذاعة - تلفزيون) جعلت بعض المفكرين يطلق عليها ثقافة عالم (ماك) نسبة إلى سلسلة ماكدونالدز (الغذائية الشهيرة)، وبعضهم الآخر ينسبها صراحة إلى الثقافة الأمريكية، ولكن تبقى الحقيقة المجردة أن هناك أرضية مشتركة واضحة المعالم لهذه الثقافة الجديدة، ويرى الدكتور (بهاء الدين) - والكلام لمرسي عطا الله - أنها ثقافة تنتج الاستهلاك، وهمها الرئيسي إيجاد أسواق جديدة وإطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان لها، وما زالت أهداف التجمع الرأسمالي هو إقامة وتطوير حالة عدم الرضا المستمرة عن المنتجات الموجودة حاليا حتى تتحقق حالة من الطلب المستمر والجديد على المنتجات الجديدة أو نماذج مستحدثة..، إن هناك نظرية اقتصادية لها مؤيدون كثيرون ترى أن زيادة الاستهلاك محرك قوي لزيادة الإنتاج وتنشيط الاقتصاد ويطلق عليها اليابانيون «شيندوجو»: تكالب استهلاكي بصرف النظر عن إشباع الحاجات، ويتمثل في عشرات من الأجهزة والسلع والآلات الموجودة في كل منزل وتكاد - لا تستعمل إطلاقا.. إنها ثقافة مادية بحتة لا مجال فيها لروحانية أو عواطف، ولا مساحة فيها للمشاعر الإنسانية، ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخرين..، بل إنها ثقافة تروج لتمجيد الربح وسحق المنافسين، وتؤله المال، وتلغي كل ما عدا ذلك من قيم..، إنها ثقافة تشكل عالما يجعل من الشح والبخل فضيلة.. والأهم من ذلك أنها تستهين بكثير من القيم المجتمعية.. إنها لا تقيم وزنا لهوية أو انتماء.. ولا تهتم بحقوق المواطنين ولا بفرص العمل ولا باعتبارات البيئة، وأحيانا تعتبر هذه المفاهيم عقبات يجب إزاحتها![٣].

ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: «شعار العولمة من السهل طرحه واستثماره إذ يعني أننا نعيش جميعا في قرية صغيرة تحكمها مجموعة من القيم الواحدة، وجوهر ذلك أنه ينبغي أن نتاجر سويا، ونتمتع سويا لأن جوهر المنظومة العلمانية هو ما أسميه الإنسان الاقتصادي والإنسان الجسماني، ونجد في إعلانات التلفزيون بلورة لهذا، فإعلانات التلفزيون هي محاولة لبيع السلعة من خلال

الجنس بمعنى التوجه إلى الإنسان الاقتصادي من خلال الإنسان الجسماني، ولذلك نجد أنهم يبيعون لنا المبيدات الحشرية من خلال شقراوات يقفزن ويتراقصن دون أن يكون لذلك علاقة بالمبيد الحشري، ولكن أدرك العاملون في قطاع الإعلانات أن هذه الخلطة هي التي لا يمكن هزيمتها لأنها تتواءم وتعبر عن هذا النظام العالمي الجديد [٤].

إن مثالي مرسي عطا الله والدكتور عبدالوهاب المسيري يجسدان بصورة واضحة تلك الفلسفة الإعلامية والثقافية للعولمة التي حددنا ركائزها في: ثقافة الاستهلاك، وثقافة الجنس، وثقافة السلام.. السلام الذي يعد المسرح للتجارة، ويهيئ الأجواء للربح دون مشاكل أو معوقات.

العولمة والمثقفون والأدب:

يكاد يجمع النقاد ودارسو الأدب، على اختلاف مذاهبهم الفكرية والأدبية - أن الأدب في مصر والعالم العربي عامة.. يعيش منذ فترة طويلة مضت وحتى الآن - مظاهر أزمة حادة، وهذه الأزمة تمتد لتشمل كافة الأنشطة- الثقافية في السينما والمسرح فضلا عن قصور الثقافة، ونوادي الأدب، وجمعيات الأدباء، وإذا كانت هذه الأزمة تعود إلى أسباب كثيرة ومتشابكة أهمها الأزمة الاقتصادية فإنا نحاول رصد مايتصل منها بالأدب نفسه ومنها:

- استفحال ظاهرة الشللية الثقافية.
- معوقات نشر الإنتاج الأدبي وخاصة في الأقاليم.
- الحاجة إلى إمكانات كبيرة وجهود متضافرة لدفع عملية الرواج الثقافي والإنتاج السينمائي والمزيد من دور العرض.
- مركزية القاهرة وتركيز معظم الفاعليات والأنشطة الثقافية بها.
- عدم تفعيل قصور الثقافة بحيث تؤدي أدوارها التي أنشئت من أجلها.

د. عبدالوهاب المسيري

ورغم مايبذل من جهود للتخفيف من حدة هذه الأغراض، سواء في وزارة الثقافة أم في الهيئة العامة للكتاب، أم في وزارة الإعلام إلا أن الأزمة تبدو لي -وأنا متخصص في الأدب ومعني بدراسته- أعمق وأبعد من تلك الظواهر، وأعني بها: أنها أزمة فكر وهوية ثقافية في المقام الأول.. إنها أزمة أدب يتلمس طريقه وسط ركام من النظريات والاتجاهات، وثقافة تقف على مفترق الطرق تبحث عن هوية، وتتجاذبها عوامل متناقضة بين الأصالة والتجديد، وتعاني مشكلة التوفيق بين طرفي المعادلة هاتين، وإذا كان قارب الثقافة يجدف الآن بمجاديف معاصرة، وأصبح من المؤكد أنه لا عودة للمقولات الكلاسيكية إلا أن ما نواجهه من إنتاج أدبي وفني، والذي يتراوح الكثير منه بين السطحية والاستهلاكية من جهة، والتغريب المأزوم من جهة أخرى، ربما يفسر ذلك لنا عمق الأزمة التي أتحدث عنها.

يقول الناقد الدكتور عبدالعزيز حمودة متناولا بعض جوانب هذه الأزمة، وذلك بمناسبة حصوله على جائزة «محمد حسن فقي» في نقد الشعر عن كتابه «المرايا المحدبة»:» لم يخطر ببالي في يوم من الأيام أن الكتاب سوف يكون شهادة على الحالة النقدية العربية في الربع الأخير من القرن العشرين.

كنت أدرك جيدا أننا نقترب من نهاية قرن من الانفتاح على ثقافة الآخر بدرجات متفاوتة، وأننا نحتاج إلى تقييم لموقفنا الثقافي قبل الدخول في الألفية الثالثة، لكنني لم أحلم أبدا بالقيام بتلك المهمة، ولم أدَّع شرف الاضطلاع بها كما أنني لم أنطلق من سوء نية لتقويض المعبد فوق رؤوس حراس الحداثة العربية، وجميعهم أساتذة كبار أعطوا الفكر العربي دون قيود أو حدود.. وسوء النية هو ما دفع به البعض للأسف في مواجهة تأثير الكتاب، وكأن المفكر في عصرنا الحديث مطالب بتقديم شهادة حسن نية قبل أن

يمارس حقه الطبيعي والمطلق في الاختلاف.. اختلفت على وجه التحديد مع مقولة أساسية تنادي بالربط بين التحديث والحداثة الغربية مستغلة في ذلك حماسة الإنسان، والمثقف العربي للحاق بركب الحضارة الغربية، ثم مستخدمة شعارات «الاستنارة» و «التنوير» ذريعة لاتهام كل من ينادي بمراجعة موقفنا الفكري بين التأثير والنقل. بالرجعية والانعزالية والانغلاق.. وأعترف هنا بأن ذلك الاتهام ظل سلاحا مرفوعا في وجه الجميع طوال العقدين الأخيرين - مما ولد لدى المثقف العربي رهبة واضحة في ممارسة حقه في الاختلاف.. فمن هو المفكر الذي يغامر في موقف الدفاع عن النفس ضد تهم الرجعية والانعزالية والجهل!؟.

.. لكن ما حدث أن كتاب «المرايا المحدبة» جاء دون قصد أو تخطيط - شهادة على الحالة النقدية العربية خاصة، والحالة الثقافية عامة، بعد أن تحولت الدعوة لنهضة فكرية عربية رفع شعارها المفكرون العرب في السنوات المبكرة من القرن العشرين من التأثر الصحي بثقافة الآخر، وفكر عن طريق الانتقاء الذكي لما يتفق مع معطيات الثقافة العربية، إلى الارتماء الكامل في أحضان الحداثة الغربية دون إدراك حقيقي للاختلافات الجوهرية بين واقع الثقافتين.. وهكذا أضعنا فرصة ذهبية للانتقال من مرحلة التأثر والانتقاء الصحية إلى مرحلة تطوير فكر نقدي عربي يعكس خصوصيتنا الثقافية!، وليس صحيحا ما يردده بعض دعاة الحداثة في العالم الغربي من أننا تحولنا من استهلاك الحداثة الغربية في الثمانينات إلى إنتاج حداثة عربية في التسعينات.. وانتهى القرن الماضي ونحن أبعد عن جذورنا الثقافية مما كنا عليه في بدايته.. وليس صحيحا أيضا أن الحداثة العربية تقوم على الأصالة والمعاصرة.. إذ إن واقع الحال كما كتب أحد نقادنا الكبار - يؤكد أن العلاقة بين الأصالة والمعاصرة عند الحداثيين لا تتعدى واو العطف بين المفردتين.. بل وصل الأمر بالبعض في تطبيقهم الخاطئ لبعض شطحات ما بعد الحداثة - إلى الدعوة إلى خرق التراث الشعري لبعض عمالقة الشعر العربي، وهي دعوة تعطي مصداقية لرأي مناهضي مشاريع ما بعد الحداثة الغربية داخل الواقع الثقافي الغربي نفسه، وذلك حين شبهوا التفكيكية بثور هائج انطلق داخل حانوت للعاديات يحطم كل شيء ويدمر كل ماهو تراثي في فوضى كاملة!!!... ليس معنى هذا بأي حال - أن فكر الحداثة الغربية شر كله» فمثل هذا القول يعني التعصب الفكري القاصر، والدعوة إلى العزلة في عصر أصبحت فيه تلك العزلة ترفا فكريا مستحيلا، ولكنه يعني في نفس الوقت أن فكر الحداثة الغربية ليس خيرا كله».

د. عبدالعزيز حمودة

تلك شهادة ناقد أدبي كبير تعرض لبعض أسباب وتداعيات أزمة النقد والأدب العربي الذي يعاني كما أشرت في بداية حديثي عن الأدب والعولمة - أزمة الاغتراب.. ونلخص شهادة الدكتور حمودة محاولين تفسيرها في النقاط الآتية:

١ - توقف محاولات إيجاد نقد عربي يجمع بين الأصالة والمعاصرة نتيجة تعالي أصوات تطالب بالحداثة. وكانت تعني وقتئذ تطبيق ممارسات «البنيوية» التي كانت تعني دراسة مدخلات النص الأدبي نفسه وموت المؤلف».

٢ - إن محاولة تأصيل نقد عربي معاصر أو بمعنى أوضح تأكيد «هوية للفكر والنقد العربي» جوبهت بحملات «مكارثية» تدين أصحابها بالتخلف والجمود والانغلاق تحت شعارات «الاستنارة» و «التنوير» والتي كانت تمتد أحيانا إلى اتهامات «بالجهالة» و «الإرهاب».

٣ - إن الأدب العربي الذي كان في حالة جدلية مرهقة مع حداثة «البنيوية» فوجئ وهو في خضم هذه العملية بموجات ما بعد الحداثة الداهمة تكاد تزيل ما تبقى له من قوة.

٤ - إن تيار ما بعد الحداثة «التفكيكية» هو المتحدث الرسمي للفكر والأدب عن «العولمة» وهو يعني «موت النص نفسه» بعد موت المؤلف «ويعني مهاجمة كل الأنساق والأطر الفكرية القديمة والحديثة أيضا، وعدم الاعتراف بأية

مقولات أو حقائق تتصل بالإنسان أو الطبيعة أو النظم الاجتماعية، أو حتى العمل الأدبي نفسه، إنما الاعتراف برؤية يمارسها المتلقي فيما يسمى» بإعادة كتابة النص. وهي مقولة ينبه كثير من النقاد إلى التوقف عندها ومناقشتها قبل الاتفاق معها، إذ إنها تقود إلى إحداث حالة تفكيكية من فوضى الدلالة بعد الفوضى الأولى التي ترتبت عن البنيوية حين أماتت المؤلف.

٥ - إن تفكيكية «ما بعد الحداثة» والتي يبدو انبهار بعض نقادنا وأدبائنا بها انبهارا شديدا - ما هي إلا ترديد لمقولات العولمة التي يسوقها بعض سماسرتهم الغربيين في العالم، وخاصة عالمنا الثالث، وكان آخرهم الفيلسوف الفرنسي «جاك دريدا» الذي كان ضيفا على مصر لمدة ثلاثة أيام، وحاضر في معرض القاهرة الدولي للكتاب والمجلس الأعلى للثقافة.

د . جابر عصفور

وفي الندوات التي عقدت بمعرض الكتاب قال الدكتور عبد الوهاب المسيري ناقدا لفكر العولمة:«إن معظم الأدبيات التي تحدثت عن العولمة لم تتحدث عن صورة الإنسان التي توجد خلف الأفكار التي يرددها منظرو العولمة..إن الإنسان الذي يتم تخليقه من خلال العولمة والماكدونياليزم إنسان حركي ارتباطه بأسرته ومحيطه ليس قويا، وهو إنسان اقتصادي دوافعه اقتصادية وهو ما لا يفصح عنه دعاة العولمة»[٦].

ويقول الدكتور جابر عصفور معبرا عن أزمة الفكر والنقد العربي: «يبدو حالنا كما لو كنا نغرق في التخلف والتراجع في الوقت الذي يمعن فيه العالم الأول في التقدم والتطور والتحول ويفرض علينا إيقاعه المتسارع الذي نستجيب إليه استجابة (السلب والتقليد) من ناحية، واستجابة (الرعب والخوف) من ناحية أخرى.. وليس هناك فارق جذري كيفي بين الاستجابتين اللتين نتمزق بينهما في إيقاع لاهث من التغيير»[٧].. وأقول تعليقا على د. جابر عصفور: إن الفارق الجذري يتمثل في تشجيع ودفع محاولات إيجاد نقد وفكر عربي أصيل ومعاصر ينبع من معطياتنا، ويستجيب لطموحاتنا، وهي الدعوة التي أعلنها الدكتور حمودة في «المرايا المحدبة» وأضيف إلى جهود الدكتور حمودة جهود الأستاذ الدكتور مصطفى ناصف «نحو نظرية ثانية: النقد العربي» و «الدكتور لطفي عبدالبديع، والراحل د. شكري عياد وغيرهم ممن يحاولون جاهدين إيجاد خصوصية للنقد العربي.

انعكاسات العولمة على بعض ظواهرنا وقضايانا الأدبية:

أحاول هنا أن أرصد بعض القضايا والظواهر الأدبية التي ارتبطت بتواجد العولمة وتأثيراتها المطروحة في واقعنا الثقافي، ولعل ما يأتي في مقدمة وأبرز هذه الظواهر:

أ- ظاهرة «جائزة نوبل» والدوافع التي تقف وراءها وخلف معاييرها والجدال الذي تركته حول مناسبة حصول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ عليها، وبالذات عن «أولاد حارتنا» والتي رأتها اللجنة أعظم إبداعات محفوظ، رغم تميز أعمال أخرى كثيرة له هي ربما أكثر تميزا من أولاد حارتنا الفني بمراحل عدة.

ب - تلك الاحتفالية المصحوبة بضجة غير مقدسة من دوائر الفكر والسياسة والنقد الغربي وخاصة في بريطانيا وأمريكا حول كتاب «آيات شيطانية» للكاتب الهندي سلمان رشدي الذي لاقى تعاطفا وحماية غربية بغير حدود، لا لشيء إلا أن كتابه يتضمن افتراءات بالغة الوقاحة لأمهات المؤمنين!!

والتساؤل: هل لو كانت آيات سلمان الشيطانية تتناول رموزا صهيونية أو يهودية أو غربية.. هل كانت ستنفجر من أجله مظاهرات التأييد الهستيرية في شوارع لندن وباريس، ويعلن البرلمان الأوربي في «سترسبورج» تأييده له، وتتولى «دار بنجوين» أكبر دار نشر في بريطانيا بتعهد كتابه بالرعاية!! أم أنه سيحاصر ويطلق عليه رصاص الإرهاب الفكري من كل صوب مثلما حدث مع الفيلسوف الفرنسي المسلم «روجيه جارودي» الذي لا يتبنى كثيرا من رؤى الغرب وأساليبه، وما يقال عن

سلمان رشدي يقال أيضا عن تبني الغرب للكاتبة البنجلاديشية «نسرين تسليمة» والكاتب المصري «نصر أبو زيد» ويشبه هذا مع الفارق في حجم المشكلة وتفاوت نبرة التهجم ما أثير من ضجة حول «وليمة أعشاب البحر» للكاتب السوري حيدر حيدر، وما خلفته في مصر من صدى سلبي يعبر في جانب كبير منه إلى افتقار أجواء الفكر والثقافة والأدب للظواهر الصحية.

جـ- تنامي ظاهرة الدعوة إلى أدب الجنس «والكتابة بالجسد» وهو اتجاه بغض النظر عن قيمته الفنية وجدواه الفكرية يعبر أساسا عن ظاهرة اجتماعية غربية أخذت شكل اتجاهات وتيارات فرضت نفسها على هذه المجتمعات، وهي اتجاهات وتيارات الشذوذ الجنسي والأدب الخنثوي، والتي يحاول الغرب طرحها بإلحاح شديد، ليس على مستوى الفكر والأدب، وإنما على مستوى المنابر السياسية والقوانين الاجتماعية والتشريعات في دول العالم الثالث وخاصة عالمنا الإسلامي.

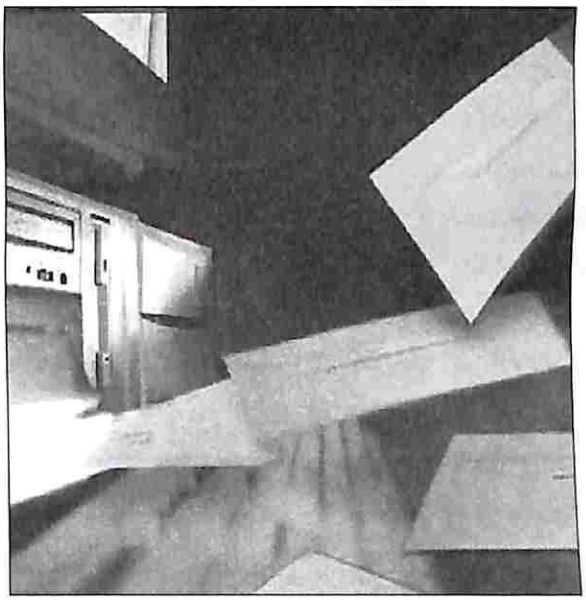

د - الدعوة إلى تبني الأدب العولمي، أدب «حضارة الصورة» وهو الأدب المنتج والمنقول عبر الوسائط الإعلامية والتقنيات التكنولوجية الحديثة، والتي تعكس صورة إنسان عالمي ذي بعد واحد، وهو البعد المتغير دائما، المجاوز لمجتمعه وهويته، الباحث عن الموضة والجديد كل لحظة.. أي الإنسان المطلوب بمواصفات النظام العالمي الجديد والشركات المتعددة الجنسيات مع وضع هذه الصورة في إطار مراوغ،مخادع من الثقافة والفكر.

تلك بعض الظواهر والقضايا الأدبية المفروضة علينا بمنطق العولمة، والتي أردت التأكيد عليها وأخذها في الاعتبار عند محاولة صياغة فكر ونقد أدبي عربي شامل يستجيب -كما أسلفت- لظروفنا ويعبر عن طموحاتنا.

آفاق العولمة:

رغم ما ذكرناه من إشكاليات وظواهر سلبية للعولمة من وجهة نظر مفكري ومثقفي العالم الثالث وبخاصة تجاه مفاهيم التنميط والإلهاء الحسي، ونزعة الاستهلاك والإزاحة والاستلاب الثقافي، رغم ذلك أرى أنها ظواهر سلبية لا بد أن تصاحب مراحل التغير الكبرى وطرح التجارب والأطروحات الكبيرة والتي تحتمل الصواب والخطأ. ونظرا لأن العولمة بأبعادها ما زالت محل انتقاد ونقاش وتقييم وإعداد سياسات للتعامل معها، وحوار قائم في كل من الشرق والغرب، وبين الشرق والغرب، فإنني أتوقع أن يسفر ذلك كله عن إجراءات أكثر إيجابية وإنسانية وعدلا، وخاصة مع تنامي مفاهيم التعددية واحترام الآخر وإعلاء منطق الحوار، وأولويات التفاهم. ومن هنا فالآفاق التي تتيحها العولمة للأدب والثقافة بصورة عامة أراها مشجعة ومحفزة للأدب في أن يستغلها ويتقدم فارضا صوته الإنساني كضرورة تتصدر منظومة العولمة، وضرورة تؤكد صوت الإنسان، وحضور هذا الجانب منه بآماله وآلامه وأشواقه ضرورة تكبح ما في الأبعاد السياسية والاقتصادية في العولمة من نفعية وربحية.. ويمكن للأدب أن يفيد من آفاق العولمة فيما يلي:

١ - الإفادة من معطيات الانفجار المعرفي والثورة التكنولوجية في تطوير الأشكال الأدبية مع تبني أساليب جديدة للخطاب الأدبي.

٢ - الإفادة من تعدد وسائل الاتصال ووسائط التوصيل والإعلام في نشر الإنتاج الثقافي والأدبي وذيوعه.

٣ - الوقوف بسهولة ويسر على أحدث التيارات الفكرية والأدبية والإصدارات الثقافية الهامة.

٤ - الإفادة من مخاطبة الآخر في تصحيح مفاهيمه المغلوطة عنا ومحاولة تنقية الصورة الشائهة في ذهنه وتأكيد هويتنا الأصيلة وإبراز جوانبها وإسهاماتها الإيجابية المتعددة لمسيرة الحضارة.

٥ - تأكيد صوت العالم الثالث من خلال إنجازات بعض رموزه ونجاحها في أن تحتل مواقع هامة ومسموعة لها وسط المشهد النقدي والفكري الآن، والتشجيع على تعدد مثل هذه الرموز المعبرة مثل: إدوارد سعيد، وإيهاب حسن، وإعجاز أحمد.

٦ - إفادة الثقافة والأدب من معطيات التبادل الثقافي والتناص الحضاري القائم، ومكتسبات حقول المعرفة المختلفة وإنجازاتها، وخاصة في مجالي الكمبيوتر وهندسة الوراثة فيما يوسع دائرة الخطاب الأدبي ويمده بدماء الحيوية والتواصل والحضور الفاعل مع الهموم والقضايا الإنسانية المطروحة حتى لا يتهم الأدب بأن دوره قاصر على أن يكون مجرد ردود أفعال.

تلك بعض الآفاق التي أراها مجالات إفادة وتطوير لمسيرة الأدب والمهام المنوطة به في عالم يطالعنا كل ساعة بالجديد والمدهش والغريب أحيانا.. إنه عالم القرن الحادي والعشرين.. عالم الألفية الثالثة.. المتغير. ■

الهوامش:

(١) «الجات والتبعية الثقافية، د. مصطفى عبد الغني، مكتبة الأسرة، ٩٩، ص٧٣، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

(٢) المصدر السابق، انظر ملاحق هذا اللواحق، ص١٠١.

(٣) جريدة الأهرام المسائي، يوم ٤/٣/٢٠٠٠م، مقال رئيس التحرير.

(٤) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك وآخرون، الدار القومية العربية.

(٥) جريدة الأهرام، ملحق الجمعة، عدد ٣/٣/٢٠٠٠م.

(٦) ندوة حول العولمة، د. عبدالوهاب المسيري بمعرض الكتاب عن جريدة الشعب، عدد ١٨/٢/٢٠٠٠م.

(٧) آفاق العصر، د. جابر عصفور، ص١٤٤، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

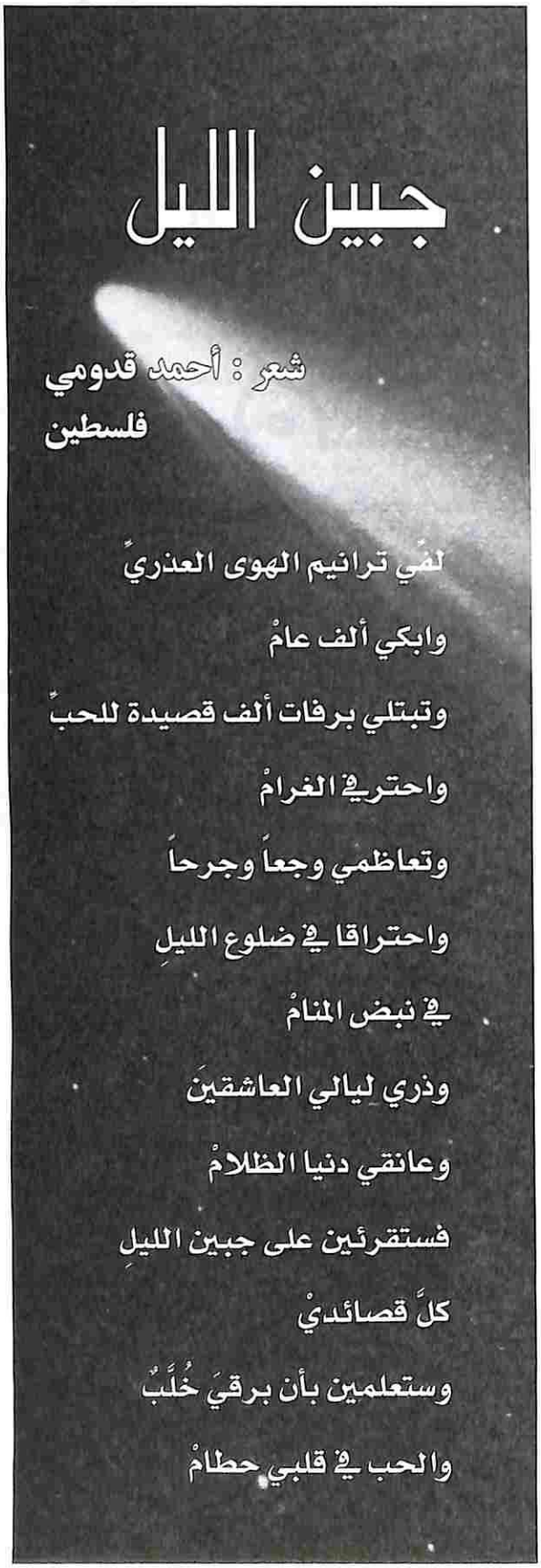

قصة قصيرة

لحظة صفاء

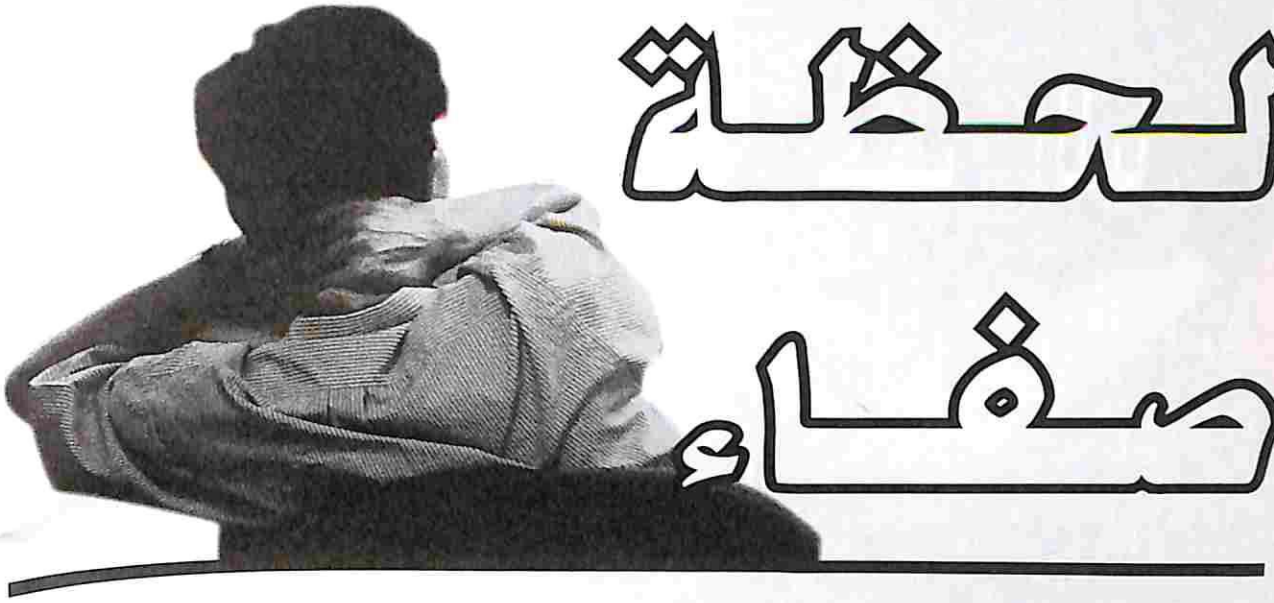

بقلم: مصطفى نصر
مصر

ترك حامد قريته منذ أكثر من أربع سنوات دفعته أمه إلى ذلك دفعا، قالت :

عمك زاهر أصبح غنيا في الإسكندرية، وليس عنده أولاد، وعندما يراك سيقربك إليه وستكون - أنت - الكل في الكل.

لكن عمه زاهرا لم يعبأ به، هو حقا رحب به أول الأمر ودعاه إلى بيته، وعرض عليه أن يقيم في مسكنه لكن العرض لم يكن متينا، فعمه معروف لدى أقاربه وبلدياته بأنه لا يحب أن ينام أحد في بيته، وافترقا..

عمل حامد أعمالا كثيرة : كاتب في مكتب محام، وبائع في محل كبير ومشهور في الإسكندرية. لكنه لم يستقر في عمل ثابت ودائم. وأحس بأنه قد أخطأ عندما ترك قريته. فقد جاء من أجل عمه، وعمه لم يسأل عنه. لا يتقابل معه سوى في المناسبات : الأعياد أو حين يجتمع أهل القرية - الموجودون في الإسكندرية- في الملمات أو الأفراح. وقتها يحنو عمه عليه ويشده إليه :

- كيف حالك، لماذا لا تأتي لزيارتي؟

ويتمتم حامد بكلمات غير مفهومة ثم يفترقان.

في هذه المرة اجتمع الأقارب في «الصوان» الكبير. الشيخ محمود يسمع المقرئ ويحرك رأسه وكتفيه مع الترتيل، يقترب المعزون منه - رغم قراءة القرآن - يشدون على يده. يحاول بعضهم تقبيل اليد التي تمسك المسبحة، وهو يبعدها مسرعا.

درس الشيخ محمود في الأزهر حتى حصل على العالمية. ويعيش الآن بين قريته وبين القاهرة والإسكندرية حيث له مشاغل في كل منهما. يلجأ إليه أهل القرية والذين تركوها وعاشوا بعيدا عنها، إذا ما قابلوه خارج القرية، سألوه في أمور الدين والدنيا، فهو حكيم في الاثنتين، ويحتكمون إليه في المشاكل التي تنشأ بينهم.

تابع حامد الشيخ محموداً من بعيد، أراد أن يسرع ليصافحه، لكنه فضل أن يبقى حتى ينتهي المقرئ من قراءته. بعدها أسرع إليه. قال الشيخ :

- كيف حالك يا حامد. والدك كان رجلا طيبا.

- أريد أن أتحدث إليك في أمر مهم.

- بشأن عمك زاهر. أليس كذلك ؟

- أربع سنوات في الإسكندرية ولم يقربني إليه. عماله كثيرون، كلهم أغراب.

- هل أنت فرح لأن عمك في هذه الحالة من الغنى؟

- تلعثم حامد، وأراد أن يقول أي شيء، فأسرع الشيخ مكملا:

- اصدقني القول، ولا تكذب.

لم يجبه حامد.

- هذه يا ابني المشكلة. مال عمك أقرب إليه منك لأنه جمعه بكده وتعبه، ولا يرضى أن يذهب إلى أحد يكره النعمة لصاحبه.

صمت حامد وأحنى رقبته كأنه يعتذر عن عمل كريه أتاه، ويخجل منه

ربت الشيخ على ظهره قائلا:

- اجعل قلبك صافيا واتجه إلى الله بصدق، وحينما تحس بأن عمك أحق بماله من غيره، سيأتي المال إليك دون أن تسعى إليه.

تركه الشيخ في حيرة، صافحه وهو شارد، وصافح عمه زاهرا وهو شارد أيضا، لا يدري ما الذي قاله عمه، هل دعاه إلى البيت ككل مرة أم لا.

عاد حامد إلى بيته، شقته متواضعة، يعيش فيها وحده منذ أن جاء إلى الإسكندرية.

أحس برغبة في البكاء. إنه لم يسأل نفسه ذلك السؤال الذي باغته به الشيخ محمود، ماذا، أيكره النعمة لعمه، ألا يريده أن يكون غنيا، أيحسده على ماله ؟!

كان - هو - وأمه يتحدثان عن ذلك - قبل أن يأتي إلى الإسكندرية - يتحدثان عن الثروة التي نزلت على عمه دون رضى منه ومن أمه.

بكى حامد: عمي في منزلة والدي، فلماذا أحس حياله بذلك الإحساس الغريب، إنه يعرف حدود الله.. لم يسرق، لم يأت بماله عن طريق غير شريف، كما أنه ليس بخيلا، وإن كان لا يحب لأحد أن ينام في بيته، فهذا حقه، فلديه زوجة، وعالمه الخاص الذي لا يريد أن يشاركه فيه أحد، ولا يستطيع أحد أن يلومه على ذلك.

قام حامد وصلى العشاء. ظل فوق سجادة الصلاة إلى وقت متأخر دون صلاة، أحس بالخجل من نفسه، لا شك أن عمي كان محقا في عدم عرض العمل علي. فقد كان يقرأ الحسد في عيني، إنني الآن لا أريد أن أعمل لديه، ولن أسعى إلى ذلك، من الغد سأعود إلى قريتي، أبقى إلى جوار أمي، فمن الممكن أن يلمح عمي ذلك الحسد في عيني ثانية لو بقيت في الإسكندرية.

نام فوق سريره حزينا، سيكتب رسالة إلى أمه في الغد «إنني لا أريد شيئا من عمي، ولا من غيره وأنا قانع بما قسمه الله لي من رزق».

لا يدري حامد متى نام، استيقظ على دقات عنيفة على الباب، فأسرع فزعا لفتحه:

- اللهم اجعله خيرا.

- وجد عمه أمامه، ظنه آتيا ليلومه: «كيف يا ابن أخي تكره النعمة لي ؟!».

- أما زلت نائما؟!

- نعم.

- لم تصل الفجر؟!

- كنت متعبا ليلة أمس.

- ارتد ملابسك مسرعا، وتعال معي إلى متجري. أموالي في يد الأغراب وأنت ابن أخي - أقرب مَنْ لي، وبعيد عني، لم تفكر يوما في الوقوف بجوار عمك، البعض يسرقني.

ظن حامد أنه يحلم، وأن ما يحدث - الآن- نتيجة لتفكيره فيما حدث بالأمس، لكن عمه صاح فيه:

- أسرع يا حامد، وارتد ملابسك، سنتناول الإفطار في مطعم شركتي. فلا بد أن أستلم عربة كبيرة محملة بالبضائع بعد ساعات قليلة.

- حاضر يا عمي!.

وأسرع حامد بارتداء ملابسه غير مصدق لما يحدث. ■

صورة المرأة العاملة في أدب نجيب الكيلاني الروائي

بقلم: محمد أبو المعاطي
ماليزيا

لقد عرض الكيلاني نماذج متعددة للمرأة العاملة في رواياته، فالمرأة عنده عملت في مجال الصحافة فكانت خير معبر عن قضايا الأمة، كصفاء في (رأس الشيطان)، وفاطمة في (عذراء جاكرتا)، ونبيلة في (رحلة إلى الله)، وعملت المرأة في التجارة حتى صارت سيدة أعمال تملك الملايين، كأم صابرين في روايتي (اعترافات عبد المتجلي)، و(امرأة عبد المتجلي)، وكانت المرأة مالكة للأراضي الزراعية، وعملت بالزراعة حتى صارت ملكة متوجة في مجال عملها كبراعم في (ملكة العنب)، وعملت المرأة طبيبة كالدكتورة فضيلة في (رجال وذئاب)، والدكتورة رباب في (أهل الحميدية)، وممرضة كمنال في (الربيع العاصف)، وجاماكا في (عمالقة الشمال)، والمرأة التي تعمل عند الكيلاني كانت تعمل لتعول أسرة كاملة، فصفاء في (رأس الشيطان) كانت تعمل لتنفق على أسرتها، وبراعم كانت تعمل لتعول أمها وأختيها، وامرأة عبد المتجلي كانت تساعد زوجها الفقير، وفاطمة اضطرت إلى العمل بعد اختفاء والدها، ومنال كانت تنفق على أسرتها بعد وفاة والدها، وبدرية في (ليالي السهاد) عملت بعد اعتقال زوجها.

وهذه صفاء بطلة رواية رأس الشيطان اختار لها الكيلاني مهنة الصحافة، وأعطاها دورا موازيا لدور بطل الرواية، مع أن الصحفيات من النساء كن قلة قبل ثورة ١٩١٩م، وهي مهنة تتطلب درجة عالية من الذكاء والثقافة وقوة الشخصية والحس العام، وقد توافرت كل هذه الصفات في صفاء «فهي فتاة طيبة نبيلة مكافحة سبقت عصرها، وحملت عبء النضال كإنسانة شريفة، وسجلت بكل فخر أن المرأة جديرة بأن تفعل الكثير»[١].

وصفاء كانت تعمل لتنفق على أسرتها، وكانت هي العائل الوحيد للأسرة المكونة من الأب المحال على المعاش، والذي لا يغادر البيت إلا نادرا، وأمها، وعمتها التي تقيم معهم من زمن بعيد بعد أن مات زوجها دون أن ينجب لها، وأخيها الصغير، عندما فكرت صفاء في الاستقالة مع الدكتور ضياء بسبب انحراف خط الصحيفة، واتجاهها إلى تمجيد عثمان باشا وزوجته، وبسبب المقالب التي دبرها لهمابركات زميلهما في الصحيفة وسكرتير عثمان باشا، قال الدكتور ضياء لصفاء:

« - إنها مغامرة

- لكننا مرغمون..

- والأسرة التي تعولينها؟

وصحت صفاء من أحلامها الثائرة على الحقيقة التعسة، في أول الشهر يجب أن تدفع إيجار الشقة، وحساب البقال والجزار والكواء والنور، وتشتري لأبيها القهوة والدخان وبعض العقاقير»[٢].

وبدرية في ليالي السهاد بعد اعتقال زوجها أخذت تنتقل من شارع إلى شارع.. ومن مكتب إلى مكتب، حتى كلت قدماها، وأخيرا عثرت على وظيفة بسيطة، في مكتب للآلة الكاتبة، ولم يتجاوز أجرها الخمسة عشر جنيها تدفع منها سبعة إيجارا للشقة التي تعيش بها في شبرا، والباقي للطعام والشراب والكهرباء والكساء والمواصلات في الترام[٣].

وفي روايتي اعترافات عبد المتجلي وامرأة عبد المتجلي يقدم لنا الكيلاني نموذجا للمرأة بنت المدينة الجسور، أم صابرين زوجة عبدالمتجلي، التي تقوم بالإعداد لمشروع تجاري، وأقنعت زوجها بطريقة عملية، وسوقت تجارتها في البداية منزليا، وهذا الحوار يكشف حاجة الأسرة إلى عمل المرأة، يقول عبد المتجلي:

« إنك تضعينني أمام الأمر الواقع.

قالت باسمة : إن مرتبك لا يكفي لإطعام البقرة والحمار.

د. نجيب الكيلاني

- أدرك أنها على حق، فقال :

- ثم ماذا بعد ذلك؟

- بقي أن نعلن عن افتتاح المحل..

- ضحك وقال : ونطلق عليه (سوبر ماركت أم صابرين!!)

- ولِمَ لا .. أنت موظف ولا يحق لك التجارة ؟...»[٤].

وبحكم خبرتها أو حسها التجاري تنمو تجارتها وتتوسع، وتتعامل مع الناس بطريقة حسنة، وتكسبهم إلى جانبها مع التزامها بصورة المرأة المسلمة المحافظة، فقد منحتهم القروض والمساعدات، وجاملتهم في المناسبات، وشاركتهم في البهائم، وماكينات الري والزراعة، وساهمت في ترميم المدارس والمساجد، ووفرت حافلة للنقل من القرية إلى المدينة والقرى المجاورة، وبنت مقابر للصدقة، ورصدت جوائز للمتفوقين في المدارس وحفظ القرآن الكريم، وقدمت معونات لأصحاب الكتاتيب.

ويقدم لنا الكيلاني في رواية ملكة العنب أنموذجا للمرأة في أقصى حالات الإيجابية البشرية، والنزوع إلى الخير، والعمل من أجل الصالح العام. لقد جعل ملكة العنب امرأة عاملة تؤدي عملها بطريقة مثالية فهي :

« لم تتلق من التعليم إلا الإعدادية... حين مات أبوها خرجت إلى الحقل تزرع وتحصد، كانت أمها معتلة الصحة، وكانت لها أختان صغيرتان. وكانت أول من أدخل زراعة العنب في القرية على نطاق واسع، فقد نقلت ذلك عن أخوالها في قرية مجاورة اسمها شنراق حتى أصبحت لديها خبرة طويلة في ذلك... وبدأت بزراعة أفدنتها الأربعة

التي تركها أبوها، وبعد أن نجحت أخذت في استئجار المزيد من الأفدنة بأثمان مغرية، حتى أصبح ما تزرعه يزيد على ثلاثين فدانا، وكان من الطبيعي أن يسمى نقابة «زراع العنب» فهي التي تختار *المبيدات الحشرية* والأسمدة المناسبة، وهي التي تحدد مواعيد الحصاد، وتتفاهم مع كبار التجار للحصول على أعلى سعر، ومن هنا أطلقوا عليها «ملكة العنب»، كل رجال القرية وأطفالها ونسائها يعرفون براعم.. يحبونها، ولم يعرف عنها قط ما يشين سلوكها»[٥].

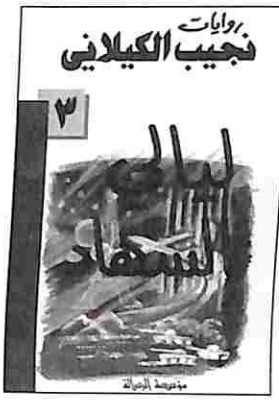

إن عمل المرأة في الزراعة في ريف مصر أمر طبيعي ومنتشر بشكل واسع، لكنها تقوم دائما بمساعدة أهلها أو زوجها، ولا تملك الأرض التي تعمل فيها، بل يملكها زوجها أو الرجال من أهلها. لكنها في ملكة العنب هي صاحبة الأرض ورثتها مع أمها وأختيها عن أبيها، والكيلاني يجعل المرأة في ملكة العنب ولية أمر نفسها وأمر أسرتها الصغيرة المكونة من النساء، والكيلاني أثبت في ملكة العنب أن المرأة تملك قدرات عملية وعقلية وخلقية تؤهلها للقيام بمبادرات جريئة في عالم الاقتصاد والإنتاج، وكذلك في السعي لحل المشكلات التي تطرأ على مجتمعها.

ولم تسلم المرأة العاملة من مخاطر العمل واختلاطها بالمجتمع، فصفاء في رأس الشيطان لم تسلم من المخاطر خلال عملها، فرئيس التحرير الذي لا يقل عن والدها في السن، طلب منها الزواج يوما، وعندما سمعته « انفجرت باكية، وكتمت شهقاتها ودموعها التي أفلتت منها»[٦]. ولكن تصرفات رئيس التحرير مع سكرتيرته صفاء كانت غريبة لحد ما، فكان أحيانا يجلسها قبالته دون أن يطلب منها عمل شيء بعينه، ويتكلم في أشياء لا رباط بينها ولا صلة لها بالعمل المنوط بها، وبعد أن فشلت محاولاته للزواج منها حاول اغتصابها، ولكن إرادة الله حالت دون هذا في أمر يشبه كرامات الأولياء الصالحين عندما اقترب منها وهم باغتصابها «تمتمت يا رب » وهمت بأن تدفعه لكنها أحست بقبضته تتراخى، ووجهه يشحب، وجفونه ترتخي.. ثم.. ارتمى على أرض الغرفة عاجزا مقهورا لا يستطيع أن ينطق، وصدره يعلو ويهبط »[٧]. وكذلك لم تسلم من المحاولات العابثة التي لاقتها أثناء بحثها عن عمل جديد [٨].

وبدرية في ليالي السهاد قد أوعز أحد رجال المباحث إليها بأن تطلب الطلاق من زوجها المعتقل، وأفهمها أنه ربما لا يخرج أبدا، وأنه سيظل مهددا طول حياته، ووعدها بوظيفة محترمة إذا هي فعلت ذلك، بل حاول هذا النذل مغازلتها لعله يستطيع أن يصل إلى شيء فيهدم كبرياءها ويلوث شرفها، لكنها وهي عزلاء، كانت أقوى من المكر والدهاء والإغراء [٩]. فحفظت غيبة زوجها، وكانت رمزا للصبر والتضحية.

وأم صابرين في رواية امرأة عبد المتجلي كانت ألسنة الناس تذكرها دائما. فطبيعة نجاح أم صابرين تضاربت حوله الآراء : أهو من طريق مشروع، أم غير مشروع؟ يقول شيخ الجامع لعبد المتجلي : « زوجتك أقامت إمبراطورية للشر... إن السوق السوداء طريق إلى جهنم، والاحتكار ملعون في الكتاب والسنة، والعمل على رفع الأسعار إجحاف بحق الفقراء وشعبنا المسكين»[١٠].

ولم تسلم أم صابرين من المخاطر، لأنها لم تخضع لإرادة زعمائها، وكانت نهايتها المأساوية الدامية، حيث قتلت في عقر دارها، وتركت أطفالها وزوجها يحصدون المرارة والأسى، فهل صارت ضحية سهلة لأنها صارت وحيدة بتخلي زوجها عنها، فلم يقف معها، بل ظل متشككا فيها حائرا تجاهها.

أما براعم في ملكة العنب فقد أجاب الدكتور الكيلاني من خلالها على التساؤلات والادعاءات والاتهامات التي كانت تدور حول دور المرأة في المجتمع، وحول موقف الإسلام

من المرأة عموما، فالمرأة في ملكة العنب نجحت في أعمال الزراعة والاقتصاد والسياسة، وترؤس الأسرة، وفعل الخير من خلال الأعمال التطوعية، دون أن تتسبب بالأذى لنفسها أو لمن حولها.

وقد قدم الكيلاني استراتيجيته لإقامة المجتمع الإسلامي من خلال المرأة، وفي أسلوب خطابي صريح يقدم الكيلاني احترامه للمرأة، وتأكيده على دورها في بناء المجتمع، فهذا الشيخ محمد حسب الله وقف في المسجد بعد صلاة الجمعة وقال : « أحدثكم اليوم عن ابنة الربايعة الشريفة العفيفة... الخيرة.. النيرة : الآنسة براعم»[11]. ثم تحدث عن حبها للناس وتفانيها في خدمتهم إرضاء لله... ثم كشف لأول مرة الدور البطولي الذي قامت به براعم تفصيليا لدى المحافظ، وفي أمن الدولة. والقيام بكثير من الجهود والتضحيات حتى يفرج عن أبناء الربايعة، ثم مشروع زكاة العنب الذي كونت له لجنة من أفاضل الناس، فعم الخير والرخاء البلدة بأسرها، بل إنها رصدت ميزانية لرعاية أطفال السلاموني وزوجه حتى لا يضيعوا، أو يودعوا في الملاجئ، وساعدت الطلبة الفقراء بجعل مالي شهري حتى يستطيعوا مواصلة تعليمهم، ثم يقول : « هذا - أيها الإنسان - هو الإسلام الحقيقي، فإذا أردنا أن نحقق مبادئ الإسلام في الدولة، فلنبدأ بأنفسنا وأسرنا، ثم إلى قرانا الصغيرة، ولا ننتظر انقلابا مفاجئا يطبق شريعة الله [12].

ولم تكن براعم هي المرأة المثالية الوحيدة في روايات الكيلاني ولكنها المرأة العاملة في أنضج صورها، ولم يحرمنا الكيلاني من النماذج التي تعد مثالية، وتمثل المرأة في أروع صورها، سواء كانت هذه المرأة عاملة، أو ربة بيت، أو فلاحة أمية، أو امرأة متعلمة، أو طالبة جامعية، كما نجد المرأة ممثلة في الأم، والزوجة، والمرأة الملتزمة المسلمة الصالحة التي تمثل أرفع صور الالتزام، ففي أدبه الروائي نماذج مثالية للمرأة في الريف كقطيفة في رواية أبو الفتوح الشرقاوي التي وقفت بجوار زوجها في محنته وضحت بالقراريط التي ورثتها من أجل مساعدة زوجها، والمرأة النموذجية في المدينة كما رأينا بدرية في ليالي السهاد، والدكتورة فضيلة في رجال وذئاب، والمرأة المثالية في المجتمع التي شغلت نفسها بقضايا الأمة كما رأينا صفاء في رأس الشيطان، ونبيلة عبد السلام في رحلة إلى الله، وسكينة في حمامة سلام، وصابرين في النداء الخالد، وفاطمة في عذراء جاكرتا الفتاة الشابة التي واجهت الشيوعية في بلدها من خلال الكلمة بالعمل في الصحافة، ومن خلال الجهاد في ساحات المعارك، وجاماكا في عمالقة الشمال التي عانت من التنصير في بلدها نيجيريا وواجهته من خلال عملها في التمريض وإسعافها للجرحى في ساحات الجهاد، وبهذا يكون الكيلاني قد نجح في رسم صورة متكاملة للمرأة المثالية في أدبه الروائي، توافق صورتها في الإسلام. ■

الهوامش:

(١) نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٣٠.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٣) نجيب الكيلاني، ليالي السهاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٩٣ م، ص٦، ٧.
(٤) نجيب الكيلاني، امرأة عبدالمتجلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص٧.
(٥) نجيب الكيلاني، ملكة العنب، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١.
(٦) نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، ص٦٢.
(٧) المرجع السابق، ص١١٢.
(٨) المرجع السابق، ص ٢٥١.
(٩) نجيب الكيلاني، ليالي السهاد، ص ١٠، ١١.
(١٠) نجيب الكيلاني، امرأة عبدالمتجلي، ص٨٢.
(١١) نجيب الكيلاني، ملكة العنب، ص ١٣٣، ١٣٤.
(١٢) المرجع السابق، ص١٣٤، ١٣٥.

قصة قصيرة

أم صابر.. والليدي ديانا

بقلم: نافذة الحنبلي
الأردن

لفيف من النساء يتحلقن حول برنامج تلفزيوني يعرض فيلما وثائقيا عن حياة الليدي ديانا... ومن منا لا يعرفها؟! فهي الأميرة البريطانية البارعة الجمال التي لاحقتها كاميرات الصحفيين وتقارير المحررين والمبرمجين..

النساء تركن كل ما بأيديهن من فناجين قهوة ومجلات عن الليدي ديانا ليشاهدنها ويرصدن حركاتها..

أم صابر امرأة في منتصف العمر لا زال في وجهها ملامح جمال باهتة، اختفت من عناء التعب والعمل.. تلف شعرها بوشاح أخضر، وتلبس ثوبا فضفاضا يغطي جسدها النحيل.. تسأل جماعة النسوة: أأحضر الفطور أم لا...؟

النساء يسكتنها بـ هش... هش... س... س...، إحداهن تلوح لها بيدها بأن تذهب، وأخرى تضع كفها على فمها قائلة لها اصمتي...

أم صابر وقفت مشدوهة لترى ماذا يحدث.. فوقفت تنظر إلى ما ينظر إليه النسوة، فشاهدت امرأة شقراء ممشوقة القوام تتبختر بفستان سهرة شبه عار مع ابتسامة مثيرة..

أشاحت أم صابر بوجهها، وذهبت إلى المطبخ لتعد ما تبقى إعداده من أصناف الطعام الكثيرة..

وصورة الشقراء في مخيلتها.. تحدث نفسها.. الحمدلله الذي خلقني أم صابر.. ثم تخرج بعد فترة لتستطلع الوضع.. فتراه على نفس الوتيرة، اللهم إلا من بعض التعليقات من هذه وتلك..

سوزي : (تعلق).. فستانها يأخذ الألباب..

لينا : لا .. تسريحة شعرها أجمل، فعندما أسافر إلى لندن في الصيف سأذهب إلى نفس صالون الحلاقة الذي تذهب إليه..

فيفي : إن فستان سهرتها الأزرق الذي قابلت فيه الرئيس الأمريكي سأشتري مثله في عرس أختي (جيجي).

انتهى الفيلم وبدأت النسوة بمناقشة أمور الليدي ديانا وآخر أخبارها العاطفية والنفسية و... و...

أم صابر تقتحم ثانية الصالة، وتحاول فتح فيها، ولكنها تفضل الصمت لأنها عرفت أن الوضع لا يسمح بقطع حديثهن المهم.. إذ سيصرفنها ثانية إلى المطبخ ، وهي قد أعدت كل شيء منذ ساعة..

تجلس أم صابر على كرسي صغير محفور من خشب الزان حيث وضع خلف عمود الرخام الذي يفصل صالة الطعام عن صالة الجلوس.. وأخذ كلامهن باقتحام سمعها...

إحداهن تقطع حديثهن.. آه .. إن آخر ما قرأته مترجما عن الصحف البريطانية أن الليدي المسكينة تتعرض لأزمات نفسية كبيرة فهي تذهب أسبوعيا إلى الطبيب النفسي من أجل جلسات نفسية.. وجلسات أخرى عند ناد رياضي لتهدئة الأعصاب.. وجلسات أخرى لأشهر المنجمين والفلكيين لمعرفة طالعها ومستقبلها.. وجلسات لـ... ولـ.. وهذا يكلفها آلاف الجنيهات الإسترلينية كي تسيطر على هذه الأزمات النفسية..

الجميع (بصوت واحد).. مسكينة كل هذا الجمال يتعرض لهذه الأزمات..

أم صابر تسرح بعيدا بتفكيرها فهي تفكر بأطفالها الذين ينتظرون عودتها لتأتي لهم بما يتبقى من الطعام الزائد، وهي تفكر بزوجها المريض الذي أقعده حادث عمل مؤلم... ينتهي الفيلم وتأتي الأخبار والصور عن البوسنة والهرسك.. و.. و... تطفئ سيدة البيت التلفزيون (بالريموت كونترول) الذي بيدها بتأفف (وهي تتمتم).. أخبار.. أخبار.

يرتفع صوت آذان الظهر من مئذنة المسجد البعيد قليلا عن البيت.. تنتفض أم صابر وتقوم مسرعة لتتوضأ من أجل الصلاة، وما كادت تصل باب الحمام.. إلا وصوت صاحبة البيت يناديها : أين الفطور يا أم صابر.. ماذا تفعلين منذ الصباح.. إنك أصبحت امرأة كسولة وكبرت بالسن..... و.... و.... ■

عنق الزجاجة

بقلم: مروان المريسي
اليمن

زميلي محمد .. كان أول طلاب دفعتنا خروجا من عنق الزجاجة .. إليكم قصته ..

كان ذلك اليوم هو السبت، غير أنه كان مختلفًا يومها نوعا ما .. فهو أول أيام الحصار لآخر سنوات المرحلة الدراسية الثانوية، أو سنة عنق الزجاجة كما يسميها بعضهم.. كثيرا تساءلت : لماذا يطلقون عليها هذا الاسم ؟! وذات مرة قيل لي: لأنك إما أن تتجاوزها بنسبة مئوية عالية وإلا فأنت والبقية في القاع سواسية..

من حينها وأنا أتساءل : ترى .. من سيبقى في القاع؟ من سيخرج من العنق بأقل الخسائر ؟؟ وها نحن جميعا خرجنا.. خرجنا من قاعات الاختبار .. كان المنظر رائعا .. فالشباب يبعثون على الضحك .. يغادرون القاعات بأشكال مختلفة، وفريدة .. أما عني فحدث ولا ..!! ها هو ذا صديقي (أبو بكر)... آخر الخارجين كالمعتاد .. كيف الاختبار ؟ الحمدلله، ولا تحدثني حول الاختبار، قد أمر الله بالستر .. هكذا كان دوما يتغابى ولا زال .. غادرنا المدرسة معا .. وأخذ كل منا يتندر على الآخر غير أن احمرار العينين من السهر المفرط مثّل نقطة الضعف المشتركة بيننا .. يا الله .. ما أجمل أن يكون المرء مسرورا وإن كان سروره ذاك مجنيا من بستان السخرية منه.. لكنها الدنيا .. لا تدوم على حال .. في طريق العودة التقينا بأناس يشيعون جنازة .. كانت وجوههم مألوفة بالنسبة لي .. بدأ الشك يتسرب إليّ .. لكنه ليس إلى درجة .. فجأة .. عظم الله أجرك(!!) نعم .. لقد مات محمد .. نائب الفصل.. محمد ذاك.. كان قلبه مفتوحا للجميع .. الجميع.. وبدون استثناء، فاستغل ذلك الداء الخبيث تلك الصفة .. ودخل قلبه .. وأقام فيه ضيفا ثقيلا .. ثم لم يغادره إلا ميتا .. لم يمهله حتى يختبر معنا أول مادة، بل نقله على الفور إلى الاختبار الأخير.. رحم الله محمدا .. كان أول طلاب دفعتنا خروجا من عنق الزجاجة.. الزجاجة الكبرى! وكان ذلك اليوم هو السبت، غير أنه كان مختلفا .. مختلفا جدا.

ابتلاء اليتيم

أصغوا أحبائي أحدثكم بما سرد الرواةْ
طفل يتيم مات في حرب ضروس والداهْ
طردته قاذفة القنابل دونما ذنب جناهْ
فمضى وحيدا بائسا في الليل قد تاهت خطاهْ
يبكي ولا قلب يحن ولا يد تمحو أساهْ
والصمت قد سكن الديار فلا خوف في مداهْ
سجن الظلام أمامه .. ووراءه سجن الطغاةْ
آه من الهم الثقيل .. وهل تزيح الهم آهْ؟
فأوى لجذع شجيرة .. واليأس يعبث في رجاهْ
وشكت بدمع خاشع لله حزنا مقلتاهْ
هو أمر (كن) وإذا بقطف الكرم تثقله يداهْ
والنهر يزحف نحوه ليضخ معسول المياهْ
والطفل مسلوب الجنان .. مروع مما يراهْ!
من لملم الطفل اليتيم ! أقلبُ كون قد حواهْ؟
لما اطمأن تبسمت في أفقه شمس الشفاهْ
وتدفقت نعم الكريم .. فكلل العرفان فاهْ
قد أدرك الطفل اليتيم بأن مولاه ابتلاهْ
سبحانه ينجي من الكرب المحكم من دعاهْ
وبذا البلاء تكشفت للطفل أسرار الحياةْ
من كان يحفظ ربه حتما سيحفظه الإلهْ

شعر : رهف المبارك
الإمارات

من محنة التنوير .. إلى م

بقلم: محمود سلطان
مصر

بات من الأهمية بمكان أن نضع حدودا وفواصل بين مفهومي «التحديث» و «الحداثة»، إذ إن الخلط بينهما أصبح أمرا شائعا، ويكاد يكون مسلما به أيضا، رغم أن هذا الخلط لم يكن عفويا أو بريئا أو بحسن نية، وإنما كان من قبيل «استغفال» العقل العربي والعقل الإسلامي على وجه الخصوص . بل إن الأمر تجاوز الخلط إلى ما يشبه الاستقرار على إحلال كلمة «حداثة» محل كلمة «تحديث»، لا سيما كلما تطرق الحديث إلى مشاكل العالم الإسلامي تحديدا ! كأن يقال مثلا : إن المجتمع العربي أو الإسلامي لن يرتاد آفاق النهضة إلا إذا أخذ بكل أسباب «الحداثة» ! فيما توارى تقريبا السؤال حول ما إذا كانت الحاجة، هي في حقيقتها، إلى «الحداثة أم إلى التحديث ؟!.

قد يرى البعض أنه ليس ثمة ما يستحق تكبد مشقة بيان ما بين هذين المصطلحين من تباين على صعيدي المضمون والدلالة، وهو رأي - حال الاطمئنان إليه - يعني إرساء لهذه «القابلية للاستغفال» والتي نربأ بالمسلم « الكيس .. الفطن » من الوقوع في حبالها : لقد كتب مؤخرا كاتب عربي متسائلا :« لماذا تقدم الغرب وليس معه كتاب وسنة ؟ ولماذا تخلف المسلمون ؟» [1] .

إن غياب الوعي بالتباينات والتمايزات بين الحداثة والتحديث يجعلنا وعلى غير علم نقر بالتسليم بالنتيجة التي يريد الكاتب إيصالها إلينا وهي « أن المسلم متخلف بإسلامه، وأن الغرب متقدم بنصرانيته! « رغم أنه لم يثبت أن ثمة علاقة بين الدين والتقدم - باعتباره «تحديثا» و ليس حداثة كما سيأتي بيانه تفصيليا لاحقا - : فعبادة البقر لم تعق الهنود من صناعة القنبلة النووية، ومن التفوق في قطاع إنتاج البرمجيات على العديد من الدول التي توصف بالمتقدمة . وبالمثل فإن عبادة «بوذا» لم يمنع اليابان من تحولها إلى عملاق، تجاوزت قامته الاقتصادية، القوة الاقتصادية الأمريكية التي لا تقهر .

لا يجرؤ عاقل على الادعاء بأن التقدم النووي الهندي، والاقتصادي الياباني قد خرج من عباءة الثقافة الوثنية الجاهلية المتخلفة في كلا البلدين .

إن ضبط المصطلحات المستخدمة في توصيف «واقعنا الحضاري» بات - في تقديري - درجة من

* مجلة «المنار الجديد» السنة السادسة، العدد ٢٣، صيف ٢٠٠٣م .

فتنة الحداثة*

درجات الواجب الشرعي، إذ إن فوضى الاستخدام في هذا الإطار قد يحمل عوام الناس على اتباع الضلالات، بل قد يقع في هذا الضلال ذاته، من يدرجون فيمن يوصفون بـ «النخبة المثقفة»، هذا إذا افترضنا حسن الظن بهم، أو أن «الزيغ» لم يدلف بعد إلى صدورهم، ولعلنا نتذكر ما كتبه قاسم أمين في بداية القرن الماضي، عندما تساءل قائلا « هل يظن المصريون .. أن أولئك القوم - يقصد الأوربيين - بعد أن بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغا مكنهم من اكتشاف قوة البخار، والكهرباء، يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم، لو رأوا فيه خيرا ؟ كلا !»[٢] .

ولا ندري إزاء هذه «الخفة» أو هذه «العجلة » في تأمل التجربة الغربية ما إذ كان العري و السفور وتخلي المرأة عن عفتها (بخلع الحجاب) قد بات شرطا من شروط التقدم العلمي ؟!

ومن هنا نعيد مجددا تأكيدنا على أن «التحديث» لا يعني «الحداثة»، بل ينبغي أن نكون أكثر حذرا، كلما عرض علينا هذا المصطلح «الأخير»، فالأول يعني معايشة المجتمع روح العصر تكنولوجيا، ونقل ما ينقصه من خبرات علمية لإنعاش إمكاناته الصناعية والاقتصادية والإدارية وتطويرها من خلال مشروع يتيح لهذه «المعايشة» أن تؤتي ثمارها التنموية، وفي الوقت ذاته تتمتع بالحماية من السقوط في التبعية .

والتحديث على هذا النحو لا يثير ريبة أحد، ولا يستفز أية قوى اجتماعية، بل إن النظم السياسية عادة ما تستقي مشروعيتها، من رفع شعار « التحديث» لعلمها المسبق بأنه ذو قابلية وجاذبية لا تقاوم لدى الرأي العام .

المشكلة - إذن - ليست في التحديث بهذا المضمون وبهذه الدلالة، إنما في التغرير بالعقل المسلم، واستدراجه إلى التساهل، في تداول مصطلح «الحداثة» عوضا عن «التحديث» إما صراحة وإما ضمنا كما سيأتي بيانه لاحقا، وفي هذا الإطار نشير إلى أن «الحداثة» - وكما أورده واحد من أبرز نقاد الحداثة في العالم العربي وهو د عبد العزيز حمودة - تعني باختصار:«تدمير عمد النظام القديم».[٣]

وبمعنى آخر وكما هو ثابت في أدبيات الحداثيين العرب فإنها تعني« القطيعة مع الماضي».

ويرى حداثي غربي آخر وهو«س.م بورا» أن الحداثة لم تعد تكتفي بمقولة «تجاوز الماضي»، وإنما باتت تذهب إلى القول بأن الماضي خانق، و لا بد أن يقذف به من فوق باخرة الحداثة».[٤]

وفي دراسته حول« الإبهام في شعر الحداثة» وفي سياق مقاربته بين مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، يقول د.عبدالرحمن محمد القاعود«ما بعد الحداثة، مثل الحداثة، لا تعف عن محاولة تدمير الماضي، وإذا تعذر هذا اقترحت زيارته بسخرية».[٥]

وبتحليل مضمون هذه المقولات نلحظ أنها، تحمل مفردات دالة على أن الحداثة تيار يدعو إلى ممارسة العنف والعداء والكراهية(لا حظ كلمات مثل تدمير، قطيعة، يقذف، خانق، سخرية..)ضد هوية الأمة وتراثها الديني والثقافي، وبكل ما يربطها بأصولها الحضارية(لاحظ كلمات مثل النظام القديم،الماضي..)!

وفي هذا السياق أيضا نستعير هذه الشهادة من الحداثي الغربي«كريستوفر بتلر» عندما يلخص الحداثة بقوله:أنها تضع «ماهو وهم وما هو حقيقة على قدم المساواة» وأنها تفقد «الثقة في كل نظام أو فلسفة أو مبدأ أخلاقي أو عقيدة دينية»..«ولا تقيم وزنا لتقاليد سابقة..أو لأعراف أدبية قارة.. ولا تلبي رغبات فطرية متواترة».[٦]

فالحداثة لا تعترف بأية اعتبارات تميز «الحقائق»عن «الأساطير»، وهي نقطة ارتكاز ثابتة ترتب عليها سلسة

من المواقف المبدئية تتمحور - في مجملها - حول تقديم تفسيرات لا غاية لها إلا إهدار أية هيبة أو وقار أو قداسة للعقيدة الدينية، ومطاردة تجلياتها الروحية والأخلاقية، باعتبارها معطى (إنساني . خرافي) يجب مجابهته كأي اختراع إنساني!

ولعل ذلك هو ماأفصح عنه «شكري عياد»، عندما لفت إلا «أن الحداثة تستهدف أنسنة الدين.. أي إرجاع الدين إلى الإنسان وإحلال الأساطير محل الدين.. وإرجاع المقدسات والغيبيات إلى جسم الإنسان».(٧)

وهو نفس المعنى الذي تؤكده الحداثية العربية«خالدة سعيد» في مقال لها قالت فيه: «إذا كانت الحداثة حركة تصدعات وانزياحات معرفية قيمية فإن واحدا من أهم الانزياحات وأبلغها هو نقل حقل المقدس والأسراري في مجال العلاقات والقيم الدينية والماضوية إلى مجال الإنسان والتجربة والمعيش».(٨)

د . شكري عياد

ربما يوحي هذا الكلام - الذي كتبته «خالدة سعيد »في مطلع عقد التسعينات من القرن الماضي (العشرين) - إلى أن «أنسنة الدين »في العالم العربي، بدأت مع هذا التاريخ، أو مع تعلق بعض النخب الثقافية العربية، بمفاهيم الحداثة الغربية، والاعتقاد بـ «وحدانيتها» واتخاذها «صنما»،والشهادة بأنه «لاشريك له»، في إعادة بناء الأمة، بعد فترة الانكسار التي تلت هزيمة عام ١٩٦٧،وسقوط الحلم العربي، وإنما أنسنة الدين والقرآن الكريم تحديدا، بدأ قبل تداول مصطلح الحداثة، بخمسة عقود على الأقل، بدأ مع «في الشعر الجاهلي «لطه حسين عام١٩٢٦، و«الفن القصصي في القرآن الكريم»لمحمد خلف الله عام ١٩٤٦، و«أصوات المد في التجويد القرآني»لتغريد عنبر عام١٩٦٥..وعندما انحسر هذا الاتجاه، مع صعود وتنامي المد الإسلامي الحركي،منذ منتصف السبعينات، أعيد إحياؤه تحت لافتات أخرى، كانت «الحداثة» أكثرها تداولا، لقمع أية قوى أو تيارات مناهضة لها، لا سيما بعد أن نظمت حملات إعلامية ضخمة، استهدفت شطر الناس في العالم العربي إلى فريقين:«حداثي» و«ظلامي»، وهي قسمة كان الهدف منها إرهاب خصوم «الحداثة»، بنسختها التخريبية لكل ماهو إسلامي..وكان أبرز تجليات تجديد فكرة «أنسنة الدين» وباسم هذا المصطلح الجديد(الحداثة)- بعد انقضاء مايزيد عن ثلاثة عقود من توقفها المؤقت عند بعض المحطات - كانت مجموعة دراسات د. نصر حامد أبو زيد، المدرس بكلية آداب القاهرة، التي تقدم بها في مايو من عام ١٩٩٢، لـ«اللجنة العلمية الدائمة» بالجامعة لنيل درجة«الأستاذ»، وآثارت في حينها معركة كبيرة امتدت من عام ١٩٩٢إلى عام١٩٩٥. وزعم أبو زيد في إحدى دراساته بأن:الإمام الشافعي هو الذي أسس الأنسنة..أنه - أي الشافعي - أسس لعروبة القرآن وأسبغ صفة البشرية على القرآن الكريم، ووصفه بأنه منتج ثقافي..وليس وحيا!!واتهم علوم القرآن بالرجعية، ودعا إلى ماأسماه تحرير الإنسان من عبودية الله تعالى».(٩)

ولعله من الأهمية هنا الإشارة إلى أن مصطلح «الحداثة» - في المشهد الثقافي العربي - هو امتداد لمصطلح آخر ساد تسويقه بلا منازع له، حتى أواخر ثمانينيات القرن الماضي،وهو مصطلح «التنوير». وواقع الحال أن الحداثة حلت محل التنوير، منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين، بعد أن أفرزت المواجهات الفكرية بين الإسلاميين والعلمانيين في عقدي السبعينيات والثمانينيات من نفس هذا القرن الأخير، عددا من الحقائق بشأن «التنوير»، وانتهت بإحالته إلى سلسلة المصطلحات،التي استقرت في الضمير والوعي العربيين، على أنها مصطلحات «سيئة السمعة».

لقد استشعر العلمانيون العرب - بعد ما أصاب مصطلح «حركة التنوير العربي »ما أصابه من تشكيك

في نواياه الحقيقية - بأن ثمة ما يتهدد «شرعية» حضورهم كـ «نخبة» تتصدر النشاط الثقافي العام، فنظموا في مطلع التسعينيات، عددا من الاحتفاليات المتباينة في آليات وطريقة التعبير عن أهدافها، لإعادة الهيبة والاعتبار لمصطلح «التنوير»: ففي عام ١٩٩٠ نظم «معرض القاهرة الدولي للكتاب» وعقدت ندواته ومؤتمراته، تحت شعار «مئة عام على التنوير». وفي عام ١٩٩٢م احتفلت دار الهلال - كذلك - بمرور مئة عام على ظهور مجلة الهلال، وتم الاحتفال تحت شعار « مئة عام على التنوير»، وفي عام ١٩٩٣ كثر الكلام في وسائل الإعلام المصري - وبشكل لافت وغير مسبوق - عن قضية التنوير، ولأول مرة في تاريخ دور النشر في العالم، بادرت الهيئة العامة للكتاب بإصدار سلسلة من الكتب - كل يوم كان يصدر منها كتاب - وبثمن زهيد (٢٥ قرشا مصريا).

كانت جميعها تحمل عنوانا واحدا «التنوير».. وتحدثت في جلها عما أطلقوا عليه «محنة التنوير»، وأجمعوا جميعا على «أن مشروع التنوير تحول على يد المد الإسلامي واليقظة الإسلامية إلى «محنة للتنوير!!» واللافت أيضا أن غلاف الكتب كان يحمل - بجانب كلمة «التنوير» التي كانت ترد في مربع أسفل الغلاف وعلى يمينه - لافتة كبيرة تمتد بعرض الغلاف كله من يمينه إلى يساره، مكتوب عليها كلمة «المواجهة»، في إشارة منها إلى مواجهة التيار الإسلامي الذي اتخذته «عدوا» لـ «التنوير».

فالحداثة، هي في واقع الحال، سليلة عائلة «التنوير»، من حيث البيئة التي أفرزتهما وهي أوربا، أو من حيث الإيحاءات والمضمون المعرفي وهو العداء لأية سلطة لله - سبحانه وتعالى - على عباده. وبالنسبة لهذا العداء تحديدا فليس ثمة فارق بينهما: فالتنوير منذ ظهور «فرنسيس بيكون»، الذي تعود إليه جذور التنوير في القرن السابع عشر، إلى ظهور مفكري عصر التنوير في القرن الثامن عشر (فولتير، روسو، مونتسكيو، هيردر، ليسنج، شيلر، جوته، كانت) وهو يحمل معنى واحداً: أن يحل آلهة التنوير وهي (العقل والعلم والفلسفة) محل الله والدين.

إنكار الغيب والبعث والجزاء الأخروي.. والنفس ليست إلا حياة الجسم، تفنى بفنائه.. وليس هناك وحي مقدس سوى الطبيعة، ولقد انتزعت هذه الحركة من صدور الناس توقير مقام الألوهية، وعندما قامت الثورة الفرنسية على مبادئها قالوا آنذاك « إنهم أنزلوا الله من ملكوته مع إنزال أسرة البربون عن العرش »[١٠].

جوته

فولتير

والذين يكتبون عن التنوير في عالمنا العربي فإنهم يقصدون هذا المضمون، يقول د. مراد وهبة - وهو واحد من أبرز المدافعين عن التنوير «التنوير يعني أنه لا سلطان على العقل إلا العقل » إذن لا غيب، ولا وحي، ولا شريعة، ولا إله ولا دين فكل هذه السلطات لا يعترف بها هذا المضمون، الذي كتبه وهبة عن التنوير»[١١].

ولعل هذا التطابق بين المفهومين هو الذي حمل العلمانيين العرب على تجريب مصطلح «الحداثة» لتعويض خسارتهم الكبيرة فيما اعتبروه «محنة التنوير»، بيد أن الأول أصيب هو الآخر بمحنة أشد قسوة من تلك التي أصابت الثاني، مع أول صدام مباشر له مع الرأي العام، عام ١٩٩٢، عندما أخضع د. نصر حامد أبو زيد، القرآن الكريم، لمناهج النقد الأدبي الحداثية (البنيوية والتفكيك)، في بعض دراساته التي تقدم بها لجامعة القاهرة، لنيل درجة «الأستاذية». والمحنة لم تأت فقط من هذه الجرأة، التي جعلت محكمة النقض المصرية، وهي أعلى هيئة قضائية في مصر، تقر حكما سابقا بردته، والتفريق بينه وبين زوجته، وإنما أيضا جاءت من حجم

«الجهالات»، التي تضمنتها دراساته، والتي اعتبرت - في حينها - أكبر فضيحة علمية تعرفها الجامعات المصرية منذ نشأتها عام ١٩٢٤، لقد أحصى له - على سبيل المثال- د. محمد عمارة،،ما يزيد عن ثلاثين خطأ تاريخيا وعلميا، أدرجها تحت عنوان «قلة علم» ووصفها « بأنها لا تليق بأستاذ متخصص في دراسة وتدريس الإسلاميات »، وكان لافتا أن بعضها لا يقع فيها طالب علم مبتدئ (كان أكثرها إثارة للسخرية أنه - أي أبو زيد - استولد الإمام الشافعي في العصر الأموي، رغم أنه رحمه الله، ولد بعد نهاية الدولة الأموية بـ ١٨ عاما!!)[١٢]. فضلا عن قيامه بعملية تزوير فاضحة لنصوص، اقتبسها من دراسة سابقة للشيخ محمد أبو زهرة، صدرت عام ١٩٤٨ عن «أبي حنيفة» [١٣].

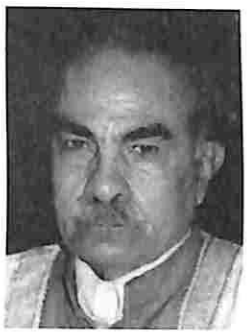
د. محمد عمارة

كانت الحركة الحداثية العربية، حتى ذلك الحين تنأى بنفسها بعيدا عن أي صدام (أو تواصل) مع محيطها السياسي أو الاجتماعي، كانت محض فعل نخبوي استعلائي، كانت تتعمد بناء قطيعة جذرية مع الجماهير والرأي العام، إذ يقرر ذلك أدونيس - وهو أعلى الأصوات الحداثية العربية صخبا - بقوله: « ليس لي جمهور، ولا أريد جمهورا»[١٤]، وفي هذا الإطار يقول حداثي عربي آخر - وهو محمد عفيفي مطر- متسائلا: « من القارئ ! أهو من يعرف القراءة والكتابة ؟ أم طالب الجامعة ؟ أم المثقف ؟ أنا لا أعرف القارئ إنما أعرف ما أقوله أنا » [١٥].

وفي تقدير محمد عبدالمطلب - وهو بالمناسبة أديب معروف وقريب من الأوساط الحداثية العربية- أن هذا الاستعلاء «تضليل.. يستهدفه الحداثيون ويمارسونه عن اقتناع كامل بسبب كفرهم بمبدأ التوصيل أساسا » [١٦].

بيد أن ما عرف بـ«أزمة نصر حامد أبو زيد» أنزلت الحداثة من عليائها، واشتبكت لأول مرة، مع الرأي العام من جهة، ومع مؤسسات الدولة (الرسمية والأهلية) من جهة أخرى، و شكلت في محصلتها النهائية، أولى بدايات «محنة الحداثة» بالعالم العربي، إذ أنارت هذه الأزمة ثلاث مساحات كانت تمثل - بالنسبة للرأي العام - مناطق مظلمة (أو غامضة)، في التعريف بأهداف وغايات الاتجاهات الحداثية العربية.

أولها موقف الحداثة من الدين (إنكارها للوحي والنبوة)...

ثانيها الوزن العلمي لروادها والداعين لها (جهلهم بالحقائق العلمية والتاريخية الثابتة).

ثالثها تخيلهم عما تواضع عليه البحث العلمي من أخلاقيات (تعمد التدليس وتزوير النصوص لاستغفال عوام الناس وغيرهم من أنصاف المثقفين).

كان من أبرز النتائج المترتبة على هذه الأزمة، أن فقد مصطلح الحداثة صدقيته، بعد أن اتُّهِمَ أبو زيد أكاديمياً بـ « الجهل وتزوير النصوص » وقضائيا بـ «الردة»، وأكدت ما ذكره «أدونيس» وهو واحد من أكثر الحداثيين العرب تطرفا، عندما قال: « إن الحركة الحداثية، تمتلئ بالحواة والمهرجين»[١٧]... بيد أن اكتمال المحنة التي أجهزت على الحداثة، في عالمنا العربي تقريبا، جاءت بعد إسدال الستار على قضية «أبو زيد»، بخمس سنوات، عندما أصدرت وزارة الثقافة المصرية، رواية «وليمة لأعشاب البحر» للسوري «حيدر حيدر»، وهي من النوع الذي ينتمي فنيا إلى ما يسمى ب «أدب الجسد»، والأخير يمثل رافدا من روافد الحداثة، في الشعر والرواية، والمسرح، والسينما. ويرجع هذا النوع إلى أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، عندما ظهرت مجموعة من الأعمال تناولت حياة «البغايا» وطقوسهن في العوالم السفلية والمخملية، ابتداء من اللبناني «توفيق يوسف عواد» في روايته «الرغيف» عام ١٩٣٩، ومرورا بالشاعر العراقي «بدر شاكر السياب »

في قصيدته «المومس العمياء» عام ١٩٥٣، وصولا إلى المصري «نجيب محفوظ» في ثلاثيته «بين القصرين» عام ١٩٥٦، و« قصر الشوق » و «السكرية» عام ١٩٥٧.

كان هذا المنحى - في بداياته الأولى - يتحفظ في الولوج إلى وصف « تضاريس الجسد »، بشكل مبتذل ورخيص ومسموم، على النحو الذي بلغه في ثلاثة العقود الأخيرة من القرن الماضي باسم «الحداثة».

مع ذلك فإن هذا «التحفظ» الذي ميز جيل خمسينيات القرن الماضي - لم يعفه من مسؤولية التأسيس، لنوع من الكتابات تعتمد على «لغة الجسد» وإطلاق حريته في تلبية شهواته، ووصف مواقعة الذكر للأنثى من جهة، ومواضع العفة لديهما من جهة أخرى بلا حياء، وهو منحى يترتب عليه بالتبعية، الاستهزاء والاستخفاف بكل ما يعتبره معوقا من معوقات التعبير عنه، وعلى رأسها التقاليد الاجتماعية المحافظة، والثقافة الدينية الحاضنة لها.

ورغم أنه في سبعينيات القرن الماضي، ومع ما لاقته الحداثة من تبنٍ وترحاب ودعاية،قد تنامت النظرة إلى هذه«القوالب الفنية»، باعتبارها أنساقا فنية تنتمي إلى منظومة التقاليد القديمة،التي تقتضي الحداثة تجاوزها بل وتدميرها،إلا أن الأعمال الروائية التي رضعت من ثدي الحداثة،واتخذت من «الجسد» قوام موضوعها الأساسي - أبقت على هذه الكراهية لـ«الشرعية الدينية»،بل واتخذتها هدفا انتوت إنجازه كما فعلت القاصة الكويتية «عالية شعيب»، في قصتها القصيرة«ملح على ثدي يرتعش»،...

إن الفارق بين الجيلين(الذي عاش وكتب في النصف الأول من القرن الماضي، ونظيره الذي مارس الكتابة في النصف الثاني)، كان في تمترس الأخير بـ«المجاهرة بالمعاصي»، باعتبارها«فعلا حداثيا»!، فيما بينت التجربة، أنها كانت لإخفاء الضعف المهني والفني، الذي كان قاسما مشتركا لجُلِّ هذا الجيل. يقول الشاعر المصري فاروق جويدة:«منذ شهور تلقيت مجموعة قصصية لكاتبة..وعندما بدأت أقرأ فيها،اكتشفت أن الكاتبة غير قادرة على صياغة جملة عربية سليمة وكانت أفكارها مشوشة، القصص جميعها تنحصر في تجربة امرأة تمارس الجنس مع نفسها».(٢١)

ثم إنه كان هناك بعد «تبشيري غربي»، ساعد على إنعاش مثل هذه«المجاهرة»،يفسر ذلك فاروق جويدة بقوله:«إن هذه الكتابات تجد صدى واسعا في الدوائر الغربية حيث تترجم كل يوم، ويتلقى أصحابها التهاني والورود والدعوات، ويشاركون في المؤتمرات، والسبب في ذلك أن هناك تجارة رابحة في الغرب الآن، ويستطيع أي كاتب عديم الموهبة،أن يقدم نفسه من خلالها، أن يكتب في الجنس ولغة الجسد..أو يهاجم الإسلام».(٢٢)

فاروق جويدة

ففي وقت مبكر من سبعينيات القرن الماضي، كتب المغربي«محمد شكري» روايته «الخبز الحافي» سجل فيها المؤلف «سيرته الذاتية»، وتجربته في ممارسة الجنس مع البغايا وغيرهن، وحياة التشرد التي عاشها، وكيف انخرط خلالها في معايشة كل طقوسها ومفردات حياتها اليومية،من جنس وشذوذ ومخدرات وغيرها، والرواية بالمعايير الأدبية ضعيفة فنيا، ومبلغ القول فيها أنها«رواية ساقطة»،تحكي ذكريات رجل شاذ جنسيا، ولأنها كانت صادمة لمشاعر المسلمين، رفضت معظم دور النشر العربية نشرها، فيما وجد فيها الغرب«صيدا ثمينا»، يمكن توظيفه بوصفها «شهادة إدانة» عربية لما يعتبره الغرب «تقاليد إسلامية»، حيث ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية، فيما تكبد المستشرق الياباني«نوتوهارا»، مشقة السفر من اليابان إلى المغرب،لزيارة «محمد شكري»عام١٩٩٥،ليعمل على ترجمة الرواية، ويطلب إليه أن يرافقه في زيارة الأماكن التي وصفها في «الخبز الحافي»!! في الوقت ذاته يسارع الإسرائيليون

إلى الالتحاق بطابور المهتمين بالرواية ومؤلفها ممثلين في «دار الأندلس» الإسرائيلية التي ترجمتها إلى العبرية، بل إن الجامعة الأمريكية بالقاهرة قبل منع تدريسها إثر احتجاجات طلابية واسعة في العام الدراسي٩٨/٩٩. أدرجتها بين المناهج المقررة على طلابها (مادة الأدب العربي)!

صدام مروع مع الرأي العام:

بيد أن الحادثة كانت بـ«برج عاجيتها»، بعيدة عن أي صدام مباشر مع الرأي العام، ما أتاح لها تداول هذا النوع من الأدب، في دائرة ضيقة (بين النخبة الحداثية فقط)، حتى عام٢٠٠٠عندما أصدرت وزارة الثقافة المصرية، رواية من هذا النوع وهي«وليمة لأعشاب البحر». ويعتبر صدور الرواية - وبسعر زهيد، وفي أكبر سوق عربي (مصر)، وتولي السلطات الرسمية (وزارة الثقافة)طبعها ونشرها - منعطفا فاصلا، في مسيرة الحداثة في العالم العربي.

حتى قبيل هذا الحدث، لم يكد أحد من العامة يعرف شيئا عن الحداثة، في تجلياتها الفكرية والثقافية والسياسية، كانت هناك مياه كثيرة مرت تحت الجسر، ونعني بها بعض الاشتباكات«العارضة» التي وقعت في الظل،انحسرت بالمصادرة السريعة مثل «الخبز الحافي، وبيضة نعامة» في مصر، و«الرحيل» و«في ليل تأتي العيون» ليلى العثمان و«عناكب ترثي جرحا» لعالية شعيب بالكويت، وبعضها خرج إلى العلن، وانتظمت مؤسسات أهلية رسمية وإعلامية في الجدل الواسع والعنيف الذي احتدم بشأنها. بيد أنها شكلت وعيا أوسع بالبعد الأكاديمي والمنهجي للحداثة، وكان أبرزها أزمة «نصر حامد أبو زيد » إذا إن الأخير استخدم «البنيوية الماركسية » في تأويل «النص القرآني» الأمر الذي أفضى به في النهاية، إلى شكل من أشكال النكوص العقائدي، وإعادة إنتاج الأشكال القرشية «الجاهلية» القديمة، من النبوة والوحي، على نحو ما أسلفنا فيما تقدم، هذا النكوص سدد «أبو زيد» فاتورته بالكامل من جهة، وشكلت محطة متقدمة، في مشوار الحداثة نحو «مواتها»، المهين والمذل، في بلاد العرب من جهة أخرى. غير أنه من المؤكد، أن أزمة «وليمة لأعشاب البحر » كانت هي المحطة اللاحقة والأخيرة في هذا المشوار.

فإذا كانت الأولى بما خلفته من أدبيات حتى في أشكالها القانونية التي صيغت في صورة مذكرات ادعاء أمام المحاكم، أو حيثيات ما أصدرته الأخيرة من أحكام بشأن الأزمة - قد مثلت موت الحداثة العربية أكاديميا، لا سيما بعد ظهور كتابي د. عبدالعزيز حمودة: «المرايا المحدبة » و «المرايا المقعرة»، رغم صدورهما في مرحلة متأخرة من الأزمة، فإن الأخيرة أي رواية وليمة ..) أشعلت الحرائق، فيما تبقى من «مصداقية» أو «نجومية» لرموز حداثية كبيرة، ظلت ولعدة عقود تمثل «المخزون اللوجستي»، الذي تعهد النشاط الحداثي العربي (السري منه والعلني) بالحماية والدعم (بنوعيه المادي والمعنوي). أي أنها حرمت الحداثيين العرب الأقل والأقصر قامة، من مرجعيات كانت تفتح لها أبواب «أنشطة» من «النوع» الذي يتحول إلى دولارات وشيكات وحسابات في البنوك من جهة، وتتعهدها بالتلميع الإعلامي الواسع وغير المحدود من جهة أخرى: فمن المعروف أن رواية حيدر حيدر، كانت من النوع الذي لا يقترب فحسب - في توصيفه - إلى ما يشبه أفلام البورنو الجنسية » ولكنها نالت من (القرآن والسنة) بلغة مبتذلة ورخيصة، وبمفردات وخطاب تهكمي ساخر... ويكفي هنا أن نستعرض خلاصة رأي مجمع البحوث الإسلامية، التابع لمشيخة الأزهر في الرواية، إذ يقول البيان:

- إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

- إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجا فاضحا وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع

واستعمال الألفاظ في الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء، مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها، حفاظا على الحياء العام الذي انتهكته الرواية إلى آخر ما ورد في التقرير المشهور والمنشور.

ويكتسب ظهور رواية «وليمة»، بعد أزمة أبحاث نصر حامد أبو زيد، أهميته من دورها في استكمال النصف الآخر من صورة «الحداثة». فإذا كانت أزمة أبو زيد، قد انتهت بتوثيق تهافت الحداثة «أكاديميا»، فإن «وليمة» أماطت الستار عن وجهها «السوقي» والمبتذل، وشاءت الأقدار أن تأتي هذه «السوقية»، في المشهد الأخير من مشوار الحداثة العربية نحو نهايتها المخزية، ليظل هذا المشهد عالقا في وجدان الأمة ووعيها الجمعي، ولتختم لكل من دافع عن الرواية، وعن مؤلفها أو اعتبرها إبداعا، بسوء الخاتمة. ولعل هذه الخاتمة كانت هي الأخطر في مجمل نتائج هذا المشوار، إذ إن أسماء حداثية كبيرة خرجت من هذه المعركة، وقد فقدت سلطتها الأبوية بالكامل، التي كانت تمارسها على السلطات الثقافية الرسمية، ولعدة عقود مضت، وباتت تشبه «خيول الحكومة العجوزة»، ولم يمهلها وزير الثقافة المصري فاروق حسني - الذي كاد أن يفقد منصبه الوزاري بسبب الأزمة - أن تظل عبئا عليه وعلى حكومته بعد أن احترقت (تلك الأسماء)، وكادت تحرق النظام السياسي بكامله.

بعد أزمة «وليمة» بدأت ملامح وتضاريس جديدة تتبلور، تشير في تدافعها وتلاحقها، إلى ما يمكن تسميته مرحلة «نهاية الحداثة» في عالمنا العربي،

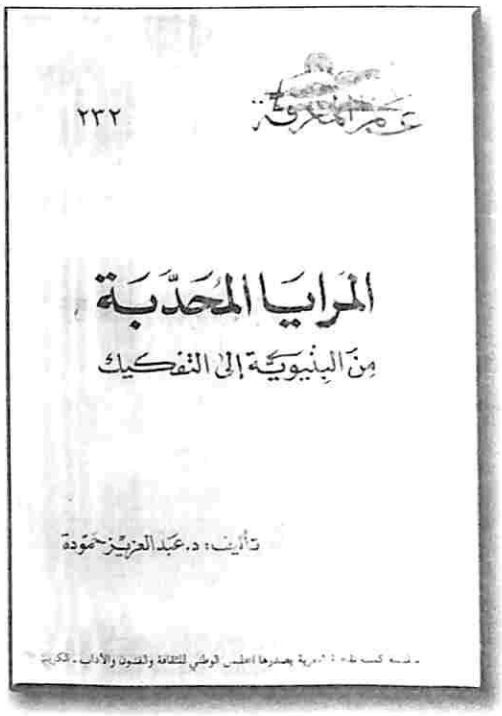

وهي مرحلة يمكن الاستدلال على تشكلها بعدة علامات: ففي شهر مارس من عام ٢٠٠٠ أي قبل صدور رواية «وليمة» بنحو شهرين، ألقت سلطات الأمن المصرية القبض على صلاح الدين محسن، بعد نشره رواية وصف فيها القرآن الكريم بأنه «كتاب الجهل البدوي المقدس» وجرت محاكمة المؤلف متزامنة مع أجواء أزمة «وليمة». وفي شهر يوليو من نفس العام، قضت محكمة أمن الدولة، بحبس صلاح الدين محسن «ستة أشهر مع وقف التنفيذ».

وبادر البعض بتفسير هذا الحكم «المخفف» بأنه «انتصار» للحداثة، و «هزيمة» لأعدائها، وأنه دلالة على قوة الحداثيين وقدرتهم على التأثير، وأن الحكم جاء ثمرة خطابهم المدافع عن «حرية» التعبير وعن «الإبداع»، وأن منصة القضاء تأثرت (أو استجابت) لهذا الخطاب الحداثي.

وواقع الحال أن رد الفعل الرسمي من الدولة، لتبرير موقفها من نشر الرواية، كان مرعبا ومخيفا ومدعوما بالمؤسسة الإعلامية الرسمية الضخمة والعاتية، وكانت شهادات الاتهام بـ «الظلامية» جاهزة لكل من هاجم الرواية أو اعتبرها إسفافا لا إبداعا.. حتى إن بعض من هاجموا الرواية في مستهل الأزمة، استجابوا للابتزاز الحداثي، وانقلبوا على أدبارهم في منتصف الطريق، خوفا من أن ينالهم العلمانيون بأذى، وطمعا في الإنعام الحداثي عليهم بلقب «المفكر المستنير»، وربما قد تأثر الحكم على «صلاح الدين محسن» بهذا المناخ، وبكل تفاصيله التي هدفت إلى ترويع النفوس والأفئدة، غير أن هذا المشهد على الجهة الأخرى كان أشد رعبا للدولة،

فالذي حدث كان أشبه ما يكون بـ «الاستفتاء العفوي» على شرعيتها، أي أن الأزمة وضعت «شرعية السلطة» على محك حقيقي، ونقلتها إلى اختبار بالغ الصعوبة، وأن عليها أن تختار، إما أن تستمد شرعيتها من «الحداثة» بنسختها المعادية للدين وللنسق القيمي العام للمجتمع، وإما أن تستمدها من دين الدولة الرسمي، والحاضن في الوقت ذاته، للمنظومة الأخلاقية والقيمية السائدة.

كانت قضية «صلاح الدين محسن»، هي المفصل الذي حسمت عنده الدولة خياراتها، حيث اعترضت النيابة العامة على الحكم (ستة أشهر مع وقف التنفيذ)، واعتبرته في «غاية الرأفة»، فيما رفض رئيس الوزراء د.عاطف عبيد المصادقة عليه، وقرر إعادة محاكمته، وقالت النيابة إن «كتبه تضمنت ازدراء للإسلام وإثارة للنقمة، ومسا بالذات الإلهية، وإنه زعم أن الدين الإسلامي هو السبب في تخلف الدول العربية، ودعا إلى قيام رابطة للملحدين»[٢٩]، وعلى إثره ألقي القبض عليه، وصدر في حقه حكم قضائي، بحبسه ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ. ومن اللافت أن رد فعل دعاة الحداثة العلمانية على الحكم، كان خافتا ضعيفا يكاد لا يسمعه أحد، بل إن اتحاد الكتاب المصريين، قرر فصل «الكاتب» من عضويته، وتبرأ «الجميع» منه، رغم أن ما حدث، لو قدر له أن يقع، قبل أزمة «وليمة لأعشاب البحر» لأقام الحداثيون الدنيا وما أقعدوها.. وهو ما يعني أن ثمة واقعا جديدا، أفرزته تلك الأزمة. ■

الهوامش:

(❖) تنبه هيئة التحرير إلى أنها حذفت من الدراسة نصوصا طويلة من الروايات التي تعرضت لها حماية للذوق العام، وقيم تحافظ عليها المنار الجديد، وتعتذر المجلة للكاتب عن هذا الإجراء الاضطراري.

(١) خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط، لندن، ٢٠٠٢/٩/١٨.

(٢) نقلا عن جمال سلطان، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، ط١ عام ١٩٩١، ص ص ٥٨، ٥٩.

(٣) د. عبدالعزيز حمودة، المرايا المقعرة المحدبة (من البنيوية إلى التفكيكية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، طبعة ١٩٠٨، ص٢٩.

(٤) س. م بورا، التجربة الخلاقة، ترجمة سلافة حجازي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، عام ١٩٨٦م، ص١١٢.

(٥) د. عبدالرحمن محمد القاعود، الإبهام في شعر الحداثة (العوامل والمظاهر وآليات التأويل) عالم المعرفة، الكويت، ط٢٠٠٢، ص٨٨.

(٦) نص ترجمة: عزالدين إسماعيل، في «جدلية الإبداع والموقف النقدي»، فصول، المجلد العاشر، العددان الأول، الثاني (يوليو / أغسطس ١٩٩١) ص ١٤٧.

(٧) شكري عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣، ص ص ٦٦، ٧٦.

(٨) خالدة سعيد، «الحداثة وعقدة جلجامش»، قضايا وشهادات، نيقوسيا، شتاء ١٩٩١، ص ٢٧٣.

(٩) راجع دراسته «الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية»، دار سيناء للنشر، القاهرة، ط ١٩٩٢.

(١٠) راجع د. محمد عمارة، فكر التنوير بين العلمانيين و الإسلاميين، دار الوفاء، القاهرة، ط١٩٩٥، ص ١٧.

(١١) المصدر نفسه، ص١٦.

(١٢) راجع د. محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢، من ص ٧٦ إلى ٨٩.

(١٣) راجع محمد جلال كشك، مجلة أكتوبر القاهرية، عدد ١٩٩٣/١١/١٤.

(١٤) حوار مع أدونيس بمجلة الشروق، ع١١، في ١٩٩٢/٦/٢٤.

(١٥) في مقابلة معه بقناة «الجزيرة» الفضائية، برنامج «المشهد الثقافي»، الاثنين ٢٠٠٠/٣/٦.

(١٦) د. محمد عبدالمطلب، «مناورات الشعرية» دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦، ص ص ٦٤، ٦٥.

(١٧) ذكر هذا النص إدوارد الخراط في كتابه «شعر الحداثة في مصر» دراسات وتأويلات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، القاهرة، ط١٩٩٩، ص٦٦٢.

(١٨) بين القصرين، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، د. ت، ص ص ٧٠، ٧١.

(١٩) نشر على موقع «النفزاوي نت» وهو موقع متخصص في نشر الأعمال الأدبية الجنسية للأدباء العرب.

(٢٠) نفس المصدر.

(٢١) الأهرام المصرية، ٢٠٠٠/٥/٧.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) موقع الجزيرة نت، الثقافة والفن، في ٢٨/ ٢٠٠١/١.

(٢٤) راجع مقدمة حوار أجرته معه صحيفة البيان الإماراتية في ٢٠٠١/٩/٩.

(٢٥) هذه الفقرات مختارة من دراسة له بعنوان «السيرة الروائية: إشكالية النوع والتهجين السردي»، منشورة على موقعه على الإنترنت (مفكرة عبدالله إبراهيم).

(٢٦) وجه هذا الاتهام للرواية «دينيس جونسون ديفز»، في مقابلة له مع فصلية «نزوى»، عمان، ع١١، ص١٥٩.

(٢٧) الجارديان البريطانية في ٢٠٠٢/١٠/٢٢.

(٢٨) صدر هذا البيان في ٢٠٠٠/٥/٧.

(٢٩) جاء ذلك في تقرير نشره موقع «الجزيرة الفضائية» على الإنترنت في ٢٠٠٠/١٢/٢٧.

فلسطيني

شعر: يحيى صديق حكمي
السعودية

فلسطيني
وألمح فوق هام النصر ...
تمكيني
وفي قلبي .. نداء الحق والدينِ
فلسطيني
وأرضي موطن الشهداء
والأنداءِ
والزيتون والتينِ
ولي في نبض خارطتي رؤى من
صوت حطينِ
فلسطيني
أُترجم قصة التاريخ داميةً
مضمخةً بآهاتِ
ومن مهد البطولاتِ
ومن حولي .. سطور من كتاب
العز مرويَةْ

وبالأمجاد عُلْويةُ
فلسطيني
سأسحق ما بدا من ظلم
صهيونِ
وإن سلبوا .. وإن ضربوا ..
وإن قطعوا شراييني
تنزى الحرف في الأعماقِ
يكويني
بني قومي
أما يهتز في روح الملايينِ
نداء المسجد الأقصى؟
أيبقى ثالث الحرمينِ
في أغلال صهيونِ
وبيت من بيوت الله تحت القهرِ
والهونِ
سأرويها ...

وأحمل راية الإسلام للنصرِ
سأنفثها ...
وتبقى شعلة القسَّام قائمةً
مدى الدهرِ
وإن ورمت أنوف الكفرِ
والدونِ
فلسطيني
ونصر الله بين الكاف والنونِ

الدكتور محمد علي داود

(١٩٤٤ - ١٩٩٨م)

في ١٨ من مايو ١٩٩٨ م رحل عن دنيانا الدكتور محمد علي سيد أحمد داود المولود سنة ١٩٤٤ في «لقانة» من أعمال محافظة البحيرة، وقد مات والده وهو صغير فوجهته أمه إلى التعلم بالأزهر الشريف، حتى حصل على الدكتوراه عام ١٩٨١ م من قسم الأدب والنقد عن «الاتجاهات الفنية في شعر إيليا أبي ماضي».

وقد عمل بعد حصوله على الدكتوراه مدرسا بكلية اللغة العربية بالزقازيق، ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية بدمنهور، وقد حصل على درجة الأستاذية عام ١٩٩٣ م. وفي العام نفسه أعير إلى كلية اللغة العربية بالرياض (جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية) وظل يعمل فيها إلى أن اشتد عليه المرض، فعاد إلى مصر في مارس ١٩٩٨ م، وظل يعالج في القصر العيني بالقاهرة حتى وافته المنية.

ومن كتبه المطبوعة :

١ - اتجاهات فنية في شعر النابغة الذبياني : مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، (١٥٤ صفحة من القطع المتوسط).

٢ - الشكل والمضمون في شعر الشيخ إبراهيم بديوي، مطبعة الأمانة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م (٢٣٨ صفحة من القطع المتوسط).

٣ - المفاخر العربية بين مذهبتين : مطبعة الأمانة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م (٦٤ صفحة من القطع المتوسط).

٤ - الشاعر هاشم الرفاعي : اغتراب وألم : مطبعة الأمانة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، (١٢٨ صفحة من القطع المتوسط).

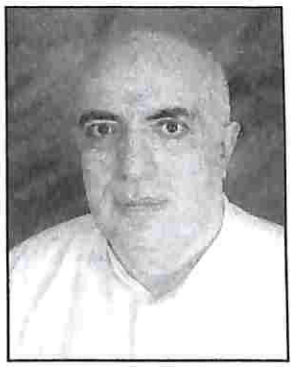

بقلم: د. حسين علي محمد

ومن كتبه بالاشتراك :

١ - فن المقال والبحث الأدبي، ط٢، مطبعة الأمانة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م، (بالاشتراك مع الدكتور صابر عبدالدايم) ويقع في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط.

٢ - تاريخ الأدب في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، د. م، (مع الدكتور محمود السمان الذي كتب عن الأدب الجاهلي ص ص ٥ - ١٥٦، وكتب داود عن عصر صدر الإسلام، ص ص ١٥٧ - ٢١٤) ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، (٢١٦ صفحة من القطع المتوسط).

٣ - دراسات في النقد الأدبي، (مع الدكتور صفوت زيد)، د. م، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، (١٦١ صفحة من القطع المتوسط).

ومن مقالاته المنشورة :

١ - الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، للطاهر محمد علي - مجلة الأدب الإسلامي - العدد ١٥، ص ٥٩ .

٢ - من قضايا « الأدب الإسلامي لصالح آدم بيلو، مجلة الأدب الإسلامي - العدد ١٣، ص ٤٩ .

٣ - قضايا في الأدب الإسلامي - لمحمد ابن سعد بن حسين، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٢، ص ٧٧ .

٤ - في الأدب الإسلامي : قضاياه وفنونه ونماذج منه - لمحمد صالح الشنطي، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٨، ص ٦١ .

٥ - أدب الرسائل في صدر الإسلام - لجابر قميحة، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١١، ص ٩٤ .

وقد كتب هذه المقالات بطلب مني حيث كنت مشرفا على باب المكتبة في مجلة الأدب الإسلامي، وقد طلبت منه مقالين آخرين، فاستجاب وكتب مقالة للعدد الخاص الذي أصدرته مجلة الأدب الإسلامي عن « نجيب الكيلاني » عن رواية « قاتل حمزة »، ودراسة عن رواية لعلي أحمد باكثير نشرت في العدد الخاص من ملحق الأربعاء .

كما كتب دراستين أخريين عن غازي القصيبي نشرت إحداهما في العدد الخاص الذي أصدرته مجلة «المنتدى » عن الشاعر السعودي الكبير . وله عدة مقالات مخطوطة لم تنشر، منها :

-١ مقالة في عرض كتاب « محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته للدكتور رزق داود .

-٢ مقالة في عرض كتاب « الحداثة ».

٣ - مقالة في عرض كتاب «اختصار الزمن » للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، وكانت آخر ما كتب .

وللدكتور محمد علي داود شعر قليل، لم ينشر منه شيء على الإطلاق، ومنه هذان النصان اللذان كتبهما، وهو يعاني من وطأة المرض الذي أودى به .

القصيدة الأولى بعنوان « ثورة التراب »، وقد كتبها في ١٣ / ٧ / ١٤١٦ هـ، ٥ / ١٢ / ١٩٩٥ م، ويقول في مطلعها :

تزمجر مثل الرياح
تخط الأقاويل ثرثارة
تصور كيف الحياة اللئيمة
تروح، وتغدو .. إليك
تظل الأفاعي تلوح
وتكثر في ناظريك

ويقول في القصيدة الثانية، وهي آخر ما كتبه في الرياض(*)، وهي بعنوان « رحلة النهاية » (وكتبها في ٢٥ / ٢ / ١٩٩٨م)، وهذا نصها :

أضيق مرة برحلة الجفاف
هل تذل النضارة التي جنيتها
في روضة العفاف؟
هل يذهب الرواء والنضارة ؟
هل تصدح الورود والزهور ؟ يا لحسرتي
هل تنتهي الأرياح والأرواح فوق قمتي
وتعبث الرياح عندها شديدة بذرتي .. بجثتي
يا حسرتي

❖❖❖

بالأمس كنت أقرأ الحنان في الجنان
وكانت الضلوع حانية
يزاحم الحياة فيض عطرها الشهي
وكان كل الأهل يهتفون صائحين
يهللون
ويهتفون صائحين : جاءنا الربيع
يباركون رجعتي
يرددون عودتي
أما أنا فكنت مثل زهرة في كأسها
تشارك الربيع، تحتفي بعطرها
والآن يرحل الربيع قبل عرسنا
وبغتة يذوب كل شيء .. والخريف
يصوح الزهور
يقوض البناء
وينزل الخريف
يدق بابنا

❖❖❖

هل تكشف الأيام زيف حبنا ؟
وتنثر العذال كل قصتي؟
يا حسرتي
ويذهب الجميع نحو بيتي الأخير
فيقرؤون الفاتحة
في مشهدي المرير
يا حسرتي .. يا حسرتي

❖❖❖

بالأمس كان قولكم : عد مسرعا
مزق حبال الأسر، وانتظم هنا
الجمع يرجو أن تكون بيننا
يا حبنا
تحبهم .. تعزهم .. تعيش عندنا
واليوم يهتف الكبير عندهم مجاهرا
إن الطبيب لم يقل ولم يشر
برجعة .. يا سيدي !

❖ حينما زرته بعد عودته للعلاج في مصر، في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى (١٢ من ذي الحجة ١٤١٨ هـ - ٩ / ٤ / ١٩٩٨م) وكان معي الصديق د . أحمد زلط، أطلعنا على نصوص أخرى كتبها بعد عودته إلى دمنهور.

مسرحية شعرية تاريخية

مالي وسعيد بن جبير

بقلم: د . غازي مختار طليمات
سورية

المشهد الأول

«ساحة رحبة أضيء جانبها الأيمن، فظهرت فيه صومعة رسم على بابها صليب.

يدخل من باب جانبي أربعة جنود في زي عربي قديم».

أحد الجند متثاقلا: أوشكت تلوي خطاي السُّبُلُ.

الجندي الآخر: وثنى عزمي السُّرى والملل

الجندي الثالث: فلنرح أجسامنا.

الأول: أين؟

الثالث: هنا.

الأول «مشيرا إلى الصليب»: هذه صومعة لا نزُلُ.

الثاني «مشيرا إلى الرابع»: نسأل القائد عما يرتئي

فهو المسؤول عما نعمل

الأول: ما يرى القائدُ؟

القائد: بيتوا ههنا علَّه يرحل عنا الكسلُ.

الثاني «وهو يقرع باب الصومعة»: راهب الصومعة افتحْ.

«ثم يكرر القرع»: إنا رسل الحجاج.

الراهب «وقد فتح الباب وخرج»: نِعم الرُّسُلُ.

مرحبا بالضيف، ما بغيتكم؟

القائد: رجل عاص

الراهب: ومن ذا الرجلُ؟

القائد: إنه يدعى (سعيدا)

الراهب: مربِّي، وهو مثلي راهب معتزِلُ.

القائد: أسعيد بن جبيرٍ؟

الراهب: ما انتمى.

القائد: أفتيٌّ هو أم مكتهلُ؟

الراهب: قارب الستينَ.

القائد: هذا صيدنا، فلنصده قبلما يرتحلُ

أين يثوي؟

الراهب: جانب الدير ابتنى دارةً، ليس عليها قُفُلُ.

«يضاء الجانب الأيسر من الساحة، فيظهر فيه كوخ، يتجه إليه الشرطة ويبقى الراهب أمام ديره يراقب الشرطة».

أحد الشرطة «وهو يقرع الباب»: يا سعيد بن جبيرْ

يا سعيد بن جبيرْ.

الشرطي نفسه «متجها إلى القائد»: ليس في الكوخ مجيبْ.

القائد: هو في الكوخ، ولكن

يحذر الصوت الغريبْ.

الشرطي «مكررا النداء»: ياسعيد بن جبيرْ.

الشرطي «واضعا أذنه على الباب»: أنا لا أسمع غير الصمتِ

والصمت مريبْ.

ندخل الكوخ، فلن يخرج، لن نحظى بردْ

شرطة الحجاج لا تطلب إذنا من أحدْ

اكسر الباب، فما في الكسر ضيرْ

«الشرطي يدفع الباب فيفتح، ويبدو ابن جبير قاعدا يصلي».

ابن جبير «بعد فراغه من الصلاة»: مرحبا بالضيفِ

القائد: ما نحن ضيوفْ.

إننا من شرطة الحجاج

والشرطة في الليل تطوفْ

تعقل الشطار والأشرار من كل الصنوفْ

أغسل الذنب بماء التوب، بالدمع السخيّ.

«ابن جبير يبدأ صلاته، وابن أحوص يكاد يتمزق من الغيظ».

ابن أحوص: أدخلوا هذا الغبيّ.

أحد الشرطة: أينا يجرؤ أن يخرج والزأر يدويّ

هادرا كالرعد من جوٍّ لجوّ.

الشرطي الثاني: دعه للوحش طعاما

ابن أحوص: إن ندعه أطعم الحجاج أوصالي الحساما

إنه يطلبه حيًّا معافى لا عظاما.

«يدخل من جانب المسرح دميتان على هيئة أسد ولبوة»

الراهب من النافذة: أوتروا الأقواس حالا

ابن أحوص: سددوا منها السهاما

فإذا ما كشر الوحش رميتم بالقسيّ.

«تمتد الأقواس والسهام من النوافذ ويربض الأسد واللبوة حول ابن جبير بعد أن يتمسحا به، وهو يصلي»

الراهب: يا إلهي، أيُّ قدّيس سعيدْ؟

يا إلهي، إنه للبوة والليث قعيدْ

وهما كالأب والأمِّ يحوطان الوليدْ

ابن أحوص: أهو في أمنٍ؟ ومَنْ في الدير في روع شديدْ!؟

«يخرج الأسد واللبوة، ويبقى ابن جبير في مصلاه»

ابن أحوص: اهبطوا نلتمس الرضوان من هذا الوليّ.

«يهبط القوم ويقبلون رأس ابن جبير ويديه باكين، والراهب يودع الشرطة»

الراهب: أبلغوا الحجاج أن الأمن في الإيمان لا زحف الجيوشْ

إنني آمنت بالدين الذي راض الوحوشْ

فإذا الإنسان والذؤبان في أمن مديدْ.

ابن أحوص لابن جبير: كيف أمضي بك للحجاج والحجاج وحش مفترسْ

يفرس الرضوان بالطبع الشرسْ

ليس ينجو من أذاه مفصح أو محترسْ

أفينجو منه صدِّيقٌ تقيّْ؟

ابن جبير: امض، هذا قدري

إني بما قد قدّر الله رضيّ.

المشهد الثاني

«قاعة كبيرة، يتصدرها أمير، وحوله قادة وجند وابن أحوص إلى جانبه، وقرب الجدار معتقلون مقيدون بالأغلال».

الأمير: أين من جاء به اليوم ابن أحوصْ؟

ابن أحوص: ههنا في القيدِ

الأمير: خلّصه، عسى من شره يتخلصْ

الأمير «وهو يقترب من الأسير»: ما اسم هذا الخارج العاصي؟

ابن أحوص: سعيد بن جُبيرٍ.

الأمير: قل: شقيّ بن كُسيرٍ

ابن جبير: إن من سمّى لأدرى بالمسمّى أشقيّ أم سعيدٌ؟
وكسير أم جبير حينما يؤتى به يوم الوعيدْ
فاترك الأسماء يا حجاج لله، وسلني ما تريدْ

الحجاج: ما ترى يا ابن كسير في عليّ؟ يدخل الجنة أم يكويه في النار الصليّ؟

ابن جبير: أمره لله

الحجاج: قل لي قولة في الخلفاء الأربعةْ
أيهم أجدر بالحكم وأجدى منفعةْ؟

ابن جبير: ربهم أدرى بهم منك ومني فعلام الجعجعةْ؟

«الحجاج يشير إلى غلام، فيلقي بين يديه كومة من جواهر»

الحجاج: ما ترى فيما لدينا من ثراءْ؟

ابن جبير: صالح إن كان فيه لك يوم الحشر من ذنب فداءْ

الحجاج: أتراني مذنبا؟

ابن جبير: سل عن خطاياك دماء الأبرياءْ

الحجاج: أتراني سوف أجري دمك الآن كهاتيك الدماءْ؟
أم تراني غافرا ذنبكَ؟

ابن جبير: لا يغفرُ ذنبا مذنبُ
إنما الغفران شأن الله يمحو ذنبنا أو يكتبُ.

الحجاج: أسمعتمْ؟ إنه يرفض ما كان سواه يطلبُ
إنه يغلق باب العفو

ابن جبير: بل أفتح أبواب العقابْ

الحجاج: لك أم لي؟

ابن جبير: لي في الدنيا
وفي الأخرى لمن يردي الرقابْ

الحجاج: سوف أرديكَ

ابن جبير: وتُردي بعدُ نفسكْ
وغدا تعجز أن تطرد من عمرك أمسَكْ
حينما تغرق أمواج دمي المؤارُ حسَّكْ
راجيا أن يصبح العرش الذي تحتك رمسَكْ

الحجاج: اقتلوه شر قتلةْ
واجعلوه للذي يمكر بالحجاج مُثْلةْ
فمتى راوده الغدر ارعوى أو خاف فعلهْ

ابن جبير: يا لسخف الحكم، كم يغري الرجالْ
يقمعون الحق بالقتل، وهَم قتلى الضلالْ
يدّعون المجد والخلد، وتعلو هامهم هام الجبالْ
فإذا جاءت مناياهم غدا العملاق نملَهْ.

الحجاج: أيها الجند اركلوهْ
وعن الكعبة في القتل اعدلوهْ
ليرى الشيطان لا الرحمن إمّا تقتلوهْ.

ابن جبير «وهو خارج»: هادمُ الكعبة ينسى أن وجه الله في كل مكانِ
إنه يرنو بعينيه وأرنو بجناني
فأرى وجه إلهي مشرقا ملء كياني.

المشهد الثالث

«قاعة الإمارة نفسها، والحجاج على كرسيه بين النوم واليقظة، ورأسه يترنح، ثم يفتح عينيه فيرى حوله مجموعة من الأطباء»

الحجاج: كلما فتّحتُ جفنيَّ بدا قربي طبيبٌ يتربصْ
أبعدوا عني الأطباء وجيئوا بابن أحوصْ
أخرجوهم، وليبتْ قربي ابن أحوصْ

الحجاج: يا ابن أحوصْ.. يا ابن أحوصْ

ابن أحوص: أمر مولايَ

الحجاج: أجبني صادقا، لا تتملصْ
لمَ لمْ يأت سعيد بن جبير؟

ابن أحوص: كيف يأتي، وهو ميْتٌ؟

الحجاج: مات!؟

ابن أحوص: من خمس وعشر

الحجاج: لم يمت، بل مَر بي كَالنَّمر الغاضب يجري
فإذا جسمي من الخوف بجلدي يتقلصْ

ابن أحوص: ذاك طيف الشيخ وافاك وما ضل طريقهْ
صورة فاضت مع الأوهام من ذكرى عتيقةْ
رسمتها ريشة الروع بألوان الأحاسيس العميقةْ
مات يا مولاي ماتْ
مات.. والمرء إذا مات فاتْ.

الحجاج: تلك إحدى الترهاتْ

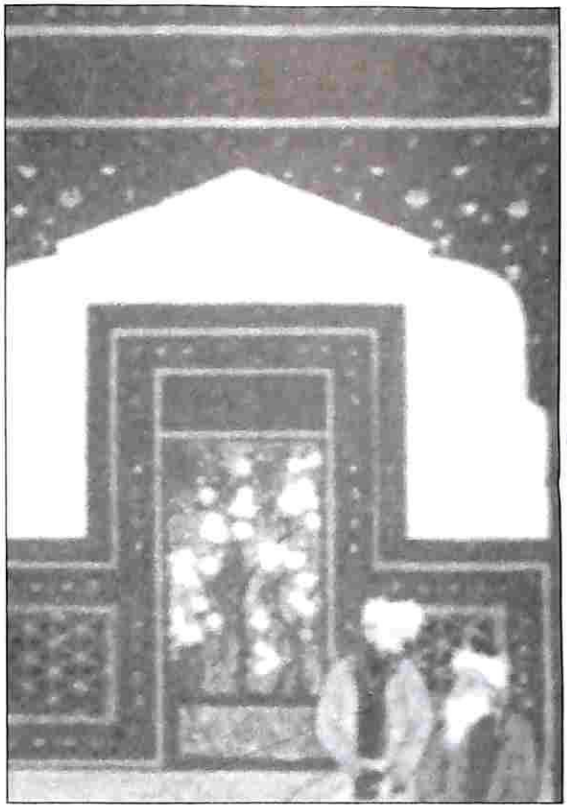

كيف ماتْ؟

ابن أحوص: مات مقتولاً

الحجاج: ومن يقتلُ شيخ التابعينْ؟

ابن أحوص: أولم تأمرْ بأن يقتلَ؟

الحجاج: كلا، لا أمسُّ الصالحينْ

ويلتا إن كان ما قلتَ حقيقةْ

ابن أحوص: إنه عين اليقينْ

أنت من أردى سعيد بن جبيرْ

الحجاج: أنا مالي وسعيد بن جبيرْ؟

أنا مالي وسعيد بن جبيرْ؟

أصحيح أن رأس ابن جبير بعد أن جُزَّ نطقْ؟

ابن أحوص: وحَّدَ الله، ومن شاهده خوفاً شهقْ

أرسل التوحيدَ كالتغريد، بل كان أرقْ.

الحجاج: فيم أغضبتُ إلهي؟ ألكي أرضي الخليفة؟

أم لكي أبلغ بالقتل أماني السخيفة؟

أنا مالي وسعيد بن جبير؟

ابن أحوص: خفته ميتا، وما خافك حيا

الحجاج: خفته أعظم خيفه

من رأى قبلي ليثا خاف جيفه، من رأى ذئبا إذا صاد بكى قتلى الغنم، يذرف الدمع من الروع ويقتات الألمْ

ابن أحوص: ابك يا حجاج، اغسل وضر الظلم بأجفان الندمْ

ابك فالشيطان لن يسكن بعد اليوم قلبكْ

إنه يخرج منه كلما استنكرت ذنبكْ

الحجاج: أنا مالي وسعيد بن جبير؟

ابن أحوص: ابك كي يطرد إنسانك شيطانكَ، كي ترضي ربكْ

نم، فإن النوم قد ينسيك كربك

الحجاج: لا تدعني أغمض الجفنين مهما أترنحْ

فمتى نمت أتاني الطيف كالسيف الملوَّحْ

إنني بالطيف لا بالسيف أذبحْ

مرة مات، وإني ميِّتٌ في كل يوم ألف موت

فمتى أقضي وأمضي؟ ويريح الناس صمتي

ادعُ لي، لا .. بل عليّْ

ادع، لو كان سعيد ههنا خف إليّْ

ودعا دعوته الحرّى لديّْ

«**ابن أحوص يرفع يديه إلى السماء ويتمتم**»

«**الحجاج مروَّعا يكاد ينهار**»

الحجاج لابن أحوص: افسح الدرب فرأس ابن جبير يتدحرجْ

نحونا، والنور في عينيه شمس تتوهجْ

أصغ، والتوحيد يعلو يتأرجحْ

أنا مالي وسعيد بن جبيرْ؟

أنا مالي وسعيد بن جبيرْ؟

« الحجاج يهوي جثة هامدة، وابن أحوص يسرع إليه، ويرفع يده ليجس نبضه فتسقط هامدة باردة. وفي نهاية المسرحية وفي أثناء إسدال الستار يقول ابن أحوص»:

لست أدري، هل سأبكيك وقد أبكيت آلاف العيون؟

أم سأبكي كل من أسقيتهُ كأس المنونْ

هل سأبكي أم سأحكي:

كيف مات المارد الجبار جيفةْ؟

كيف خر السيف دون الطيف خيفةْ؟

كان ما كان، ونرجو في غدٍ ألاّ يكونْ ■

قصة قصيرة

مدينة النور

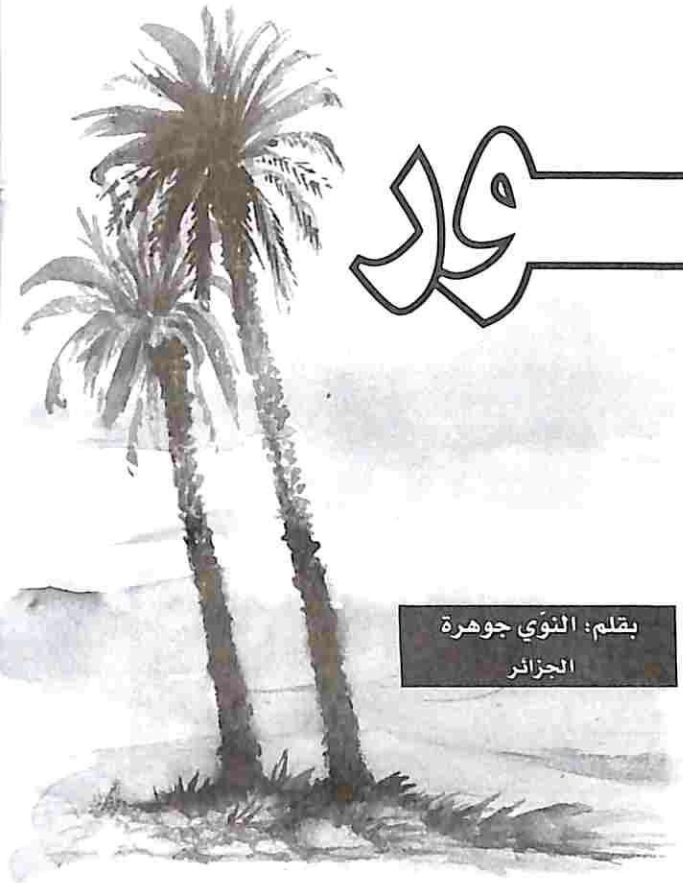

بقلم: النوّي جوهرة
الجزائر

في واحة صغيرة وسط صحراء شاسعة تبدو بعض نخلات هنا وهناك .. وعدة أكواخ .

وكان مجموعة من الصبية يلعبون لعبة الاختباء .. لم يكن معهم كرة ولا أية لعبة أخرى لأنهم كانوا فقراء جدا . واحتهم أيضا تبدو كذلك.

«عمر» أذكى الصبية وأشجعهم، اكتشف منذ مدة مكانا يختبئ فيه دون أن يكشفه أحد، كان ذلك في البئر القديمة! لم تكن عميقة ولم يكن بها ماء . وها هو ذا منذ مدة في مخبئه الجديد ينتظر .. مضت فترة طويلة دون أن يجده أحد . فأخذ يخط بيده خطوطا على الرمل، لمس شيئا! .. خاف في البداية، لكنه تذكر ما يرويه أهل الواحة عن الكنز المخبأ فيها منذ سنين .. بدت الفرحة واضحة على وجهه، وسرعان ما أدخل يده بلهفة في الرمل وأخرج كتابا قديما جدا تآكلت بعض أوراقه الصفراء! ولأن «عمر» لم يذهب في حياته إلى المدرسة، رفاقه أيضا وسكان الواحة كلهم لا يقرؤون . أمسك الكتاب وأخذ يقلبه بين يديه وينظر إليه بدهشة . بدا له أنه لا يصلح لشيء، فألقى به خارج البئر .

رآه أحد الأولاد فجاء يجري .

- آه ! أنت هنا، بحثنا عنك طويلا.

لن يستطيع أحد معرفة مكانك لولا هذا الذي ألقيته ماهو؟

- أجاب عمر : لا أدري.

جاء بقية الأولاد حين رأوا الكتاب، أصابتهم دهشة!

قال أحدهم: يوجد مثل هذا عند الشيخ عبدالله .

الشيخ عبدالله هو أكبر سكان الواحة سنا، يبدو ذلك من شعره الأبيض ولحيته الطويلة البيضاء والتجاعيد التي تملأ وجهه الأسمر .

لا أحد يعلم من أين جاء؟ ولا منذ متى؟ يعيش منعزلا . لا يرى إلا وهو يصلي أو يقرأ كتابا يشبه الكتاب الذي وجده الأطفال.

أحيانا يبدو لمن يراه كأنه يخفي سرا أوينتظر شيئا ما. لا أحد يعلم . كل ما يعلمه سكان الواحة أنه عطوف جدا وطيب يساعد كل من يراه بحاجة إلى ذلك . حتى الصغار يعاملهم تماما كما يعامل الكبار.

حين طال نقاش عمر ورفاقه حول الكتاب لم يجدوا ما يمكن أن يفعلوه به، فقرروا تركه . لكن عمر: أشار عليهم أن يأخذوه إلى الشيخ عبدالله، فقد يجد هو ما يفعله به وقد يسعده ذلك كثيرا.

وافق الأطفال على الفكرة وأسرعوا حاملين له الكتاب .

ما إن رأى الشيخ الكتاب وأمسكه حتى بدت عليه دهشة بالغة، وبدا وكأنه لا يصدق . فأخذ يتأمله ويقلبه بين يديه سائلا أين وجدتموه؟وكيف؟ وحين أجابه الأطفال ضمه إلى صدره وهو يضحك حينا ويبكي حينا آخر .. ثم قال بصوت خفيض سمعه الأطفال «الحمدلله» أنتم وجدتموه؟ أنتم وجدتم الكنز؟ حان الوقت إذن !..

تعجب الأولاد كثيرا كيف يظهر كل هذا الفرح لأجل شيء كهذا؟ !..

فقال عمر: كيف تقول إن هذا الشيء كنز؟ والكنز هو المجوهرات اللامعة والمال الكثير؟

التفت الشيخ قائلا: هذا الكتاب يفوق كل كنوز الدنيا قيمة وهو أثمن من المجوهرات وأغلى من المال.

كان ضائعا ولا يعرف أحد مكانه منذ ضاع. إنه يروي حكاية هذه الواحة.

- وهل لواحتنا حكاية؟

- نعم من أجمل الحكايا وأروعها ... ثم نظر إلى السماء وقد امتلأت عيناه دموعا وقال:

هذه الواحة الفقيرة .. كانت ذات يوم مدينة جميلة جدا.

بدت الدهشة واضحة على الأولاد حوله. لاحظ الشيخ ذلك فاسترسل في حديثه قائلا:

منذ عهد بعيد جدا عاش أجدادكم الأولون حياة صعبة وشاقة في هذه الصحراء .. متفرقين هنا وهناك ... كثيرا ما تقوم بينهم خلافات وحروب تدوم سنوات طويلة لتخلف بعدها الموت والدمار والجوع والفقر.

إلى أن جاءهم رجل اسمه أحمد، وكان أحمد هذا معلما بارعا وقائدا ناجحا. جاء من موطن بعيد جدا ليقيم معهم وكان منذ قدومه يحمل كتابا في يده ولا يضعه أبدا. هو هذا الذي وجدتموه وكان سر نجاحه وبراعته.

جمع الناس حوله وجعلهم يحبونه ويحب بعضهم بعضاً، وكان ذلك أول درس علمهم إياه. ثم بعد ذلك علمهم كيف يقرؤون الكتاب، وكيف يأخذون دروسهم منه.. وكان بناء مدينة لهم أهم درس تعلموه.

لم يمض وقت طويل حتى صارت الصحراء مدينة جميلة وصار سكانها إخوة متحابين متحدين. لا يسرقون ولا يكذبون ولا يخونون. وكما كانت نفوسهم نظيفة وجميلة كانت مدينتهم كذلك.

كان الصفاء يعم كل شيء وكانت المحبة والتعاون والتسامح بين كل الناس.

أناس كهؤلاء يحبهم الله ويبارك وجودهم ويجازيهم دوما خير جزاء. وجزاء هؤلاء كان عظيما. فذات صباح وهم يستقبلون يوما جديدا فوجئوا بنور وهاج يضيء كل المدينة لا ينطفئ ساعة واحدة من ليل أو نهار فبدت المدينة في الصحراء وكأنها لؤلؤة وضيئة لا يضاهي ضوءها ولا جمالها جمال. وكانت بحق أجمل مدن الدنيا فأطلق عليها «مدينة النور»

سمع الناس في كل مكان عن مدينة النور فجاؤوها زائرين ليروا جمالها وهذا النور الذي لم يسبق لمدينة أن حظيت بمثله .. ولم يكن النور والجمال وحدهما يميزان المدينة، إنما كرم أهلها ولطفهم الكبير كان سببا آخر لإقبال الناس عليها، فكثيرا ما تخلوا عن بيوتهم لزوارهم ليبحثوا هم عن بيوت أخرى لأنفسهم. وكذلك كان شأنهم في كل شيء ومع كل الناس مما جعل الكثير من الزوار يستقرون فيها. وهكذا كلما ازداد سكانها ازدادت هي نورا وبهاء.

عاش الناس على هذه الحال من الرخاء والوئام زمانا طويلا إلى أن مات معلمهم «أحمد» وقد ترك لهم الكتاب وأوصاهم أن يحفظوه، ليعيشوا بعده حياة سعيدة هانئة لا يشقون فيها أبدا لكن الناس نسوا «أحمد» وأضاعوا الكتاب، فضاعوا وتفرقوا من جديد.. وعادت النزاعات بينهم والأحقاد. فرحل عنها من رحل وضل عنها من ضل .. واستمروا في ضلالهم فازدادوا بذلك تشتتا وفقرا .. إلى اليوم كما ترون.

كان لابد أن يُعثر على الكتاب لأنه لم يكن كتابا عاديا، ولأن المدينة التي يتعلمون بناءها منه هي مدينة لكل العصور والأزمان.

هل عرفتم قيمة الكتاب؟ أليس العثور عليه أفضل من كنز؟

تأثر الأطفال كثيرا بالقصة التي رواها الشيخ. وأحبوا المدينة وتمنوا لو أنهم رأوا جمالها واستمتعوا بنورها .. كانت الحسرة بادية على وجوههم، فقال أحدهم يجيب الشيخ:

- نعم، هذا الكتاب هو أفضل كنز يمكن أن نعثر عليه في واحتنا لكن ما الفائدة؟ فلم يعد لمدينتنا وجود.

قال الشيخ وهو يبتسم: صحيح لم يعد للمدينة وجود لكن الكتاب موجود بين أيديكم، وبه تستطيعون بناء كل شيء من جديد.

قال عمر بحماسة ودهشة: نستطيع بناء كل شيء من جديد؟ كيف؟

عندئذ أمسك الشيخ الكتاب بكلتا يديه قائلا: هنا قواعد البناء واضحة .. وأنا سأعلمكم كيف تقرؤونه وكيف تعيدون مدينة النور من جديد.

ومنذ ذلك اليوم نسي الأطفال ألعابهم وصاروا يجتمعون عند الشيخ «عبدالله» يتعلمون القراءة والكتابة بنهم شديد وشوق أشد لرؤية مدينة النور قائمة من جديد. ■

قصيدة بانت سعاد.. سطور في تحقيق المتن

بقلم: د. محجوب محمد آدم*
السودان

لقد عجبت لأولئك الذين تحرجوا في إثبات قصيدة كعب بن زهير المشهورة : (بانت سعاد...)، ومسألة سماع النبي ﷺ لها، - بزعمهم - غزلا مسرفا، وذلك بعد أن طمأننا الباحث السعودي أحمد علي آل مريع، جزاه الله خيرا، في الورقة الأخيرة من مجلة الأدب الإسلامي (ج١٠، ع٣٩، ١٤٢٤هـ) أن للقصيدة سندا متصلا، وأن روايتها في الأدب مستفيضة مشهورة.

وبقي علينا أمام هذا التوثيق العلمي أن نتساءل عن نوع الغزل الذي جاء في القصيدة، ومدى تضمنه لما يخدش الذوق العربي ! ولك أن تتساءل معي عن ضرورة الابتداء بالغزل في شعر قيل بغرض استعطاف رسول الله ﷺ والتماس عفوه ورضاه، والاعتذار عما بدر منه في هجاء المسلمين! إذ يقال : « إن أخاه بجير بن زهير أرسل إليه : ويلك، إن النبي أوعدك، وقد أوعد رجالا بمكة، فقتلهم، وهو والله قاتلك أو تأتيه فتسلم، فاستطير، ولفظته الأرض». هذا نص الجمحي (الطبقات ٩٩/١).. أما كان جديرا به أن يدخل في موضوعه مباشرة ؟

قد يجيبنا أحدهم: إنه ما فعل ذلك إلا لأن الشعراء في الجاهلية التزموا أن يبدؤوا قصائدهم بالغزل، وأنه ما كان ليخاطب النبي العربي ﷺ إلا بما ألفه العرب من طرائق القول. وعندئذ كان ينبغي لنا أن نقر الشاعر لالتزامه بسنن الشعر الجاهلي. ولكن هل كان غزله كذلك.!

إنك إن قرأت غزله لأعجبت أيما إعجاب بجمال مظهر صاحبته (سعاد)، بحيائها، واعتدال قوامها، وجمال ثغرها، فإن أردت أن تتبين خلقها وسلوكها أحزنك أنها خبيثة المخبر، فصب الشاعر جام غضبه عليها، ونعتها بالكذب والنفاق والتلون، وأنها لا تفي بعهودها، ولا تلتزم بوعودها. وما أظن رجلا سويا يعشق امرأة بهذا الوصف.

فما سر اختيارها لها، والتعرض لسيرتها في ظرف كظرفه، وهو يدخل على رسول الله ﷺ الذي أهدر دمه، فجعل قتله قربى إلى الله تعالى، وفي وقت اشتدت فيه شوكة المسلمين، بعد غزوة حنين بالطائف، ودخول الناس في دين الله أفواجا، فلا أحد يجرؤ على إجارته أو توفير الأمان له، لا شك أن الدنيا ضاقت عليه بما رحبت، وكل من قابله يقول له : «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول». ولا شك أن الخوف قد أخذ بمجامع قلبه فأتخيله، وهو يتلفت وجلا في سيره، ولا أظنه كان يخرج إلا ليلا «وثوب الليل مسدول»، ويتقلب مرتعدا في فراشه. ولم يكن له بد من اللجوء إلى رسول الله ﷺ ، فهو وحده الذي يستطيع أن يؤمنه ويهدئ من روعه ويزيل ما به من فزع، إن عفا عنه. وفي طبقات الجمحي (وانظر : الأغاني ٨٩/٧١، والدلائل ٢٢/١) أن كعبا قدم متنكرا «حين بلغه عن النبي ما بلغه، فأتى أبا بكر، فلما صلى الصبح أتى به، وهو متلثم بعمامته، فقال : يا رسول الله، رجل جاء يبايعك على الإسلام، وبسط يده، وحسر عن وجهه، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير، فتجهمته الأنصار، وغلظت عليه لما ذكر به رسول الله، فأمنه رسول الله..». فأين ذهب أصدقاؤه ؟ ولماذا وقفوا مكتوفي الأيدي، لا يجرؤ أحدهم أن يمد له يده أو يفيده بشيء؟

لا شك أنك لو كنت مكانه لحسبت أن الناس جميعا انقلبوا أعداء، وما تراك كنت فاعلا بأمثال أصدقائه الذي تقاعسوا عن نصرته، أو مد يد العون له، بل تحاشوه

* أستاذ بكلية المعلمين بالرياض.

ونفروا من ملاقاته، وهم يتعللون بحجج واهية وادعاءات باطلة، ويزعمون أن أمورا تشغلهم عنه، لقد نسوا ما كان بينه وبينهم من مودة وحب، لقد نسوا أنهم كانوا قديما يطلبون وده، ويسعون لملاقاته هاشين باشين. لا شك أن أكثر الأوصاف تهذيبا مما يمكن أن تصم بها أصدقاءك في هذه الحالة أنهم كاذبون منافقون متلونون كما تتلون الغول في أثوابها، فهل كان له أن يعتمد على صداقاتهم، أو يبادلهم مودة بسخط. أم أنه بهذه النفس الموزعة تحسب أنه يتغزل حقيقة، أو ينصرف إلى قضية أخرى، مهما كانت مهمة، وحياته معلقة بين الحياة والموت. أما عني فلا أظن شاعرا وصف هذه الحالات النفسية الحادة، والانفعالات المضطربة، كما وصف كعب بعد تخلصه من المقدمة :

يسعى الوشاة بجنبيها، وقولهم
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتـــول
وقـال كـل خـليـل كـنـت آمـلـه:
لا ألهينك، إني عنك مشغـــول
فقلت خلوا سبيلي، لا أبا لكم
فكل ما قدر الرحمن مفعـــول
كل ابن انثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمـــول
أنبئت أن رسـول الله أوعـدني
والعفو عند رسول الله مأمـــول
لقد أقـوم مقـامـا لـو يـقـوم به
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيـــل
لظل يُـرعـد، إلا أن يـكـون له
من النبي، بإذن الله، تنويـــــل
ما زلت أقتطع البيداء مدرعا
جنح الظلام وثوب الليل مسبول
حتى وضعت يميني، لا أنازعه
في كف ذي نقمات قيله القيـــل

إنك إن قرأت هذه الأبيات في ظل أجواء الشاعر النفسية هان عليك أن تقول: إن صاحبته التي عشقها لجمالها وأخلص في حبه لها جديرة بأن يصفها على نحو ما جاء في مقدمته للقصيدة:

تصيدة بانت سعاد : سطور في تحقيق الإسناد !!!

تحرج كثير من المحدثين في إثبات القصيدة كعب بن زهير المشهورة ومسألة سماع النبي ﷺ لها ، ومطلعها :

" بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـــول "

إن فيها - بزعمهم رحمهم الله وغفر لهم - غزلاً مسرفاً !!

وفي جانب الإسناد تحاملوا بقول العالم الحجة الحافظ العراقي -رحمه الله - عن القصيدة : " رويناها من طرق لا يصح منها شيء " !!

وقد فحمل بعضهم فذكر ان الخبر والقصيدة قد جاءا من طريقين لا يخلوان من علة ، فمدعاه: عند ابن قانع من طريق الزبير بن بكار عن بعض اهل المدينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب ، وهذا السند معتل بأمرين ، أولهما : الجهالة (وهي : بعض اهل المدينة) والثانية : الإرسال. فابن المسيب - رحمه الله - لم يدرك عصر النبوة

لكن عند التحقيق نجد ان الرواية جاءت عند محمد بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء " خافية من الجهالة ، حيث روى عن : " محمد بن سليمان عن (يحيى بن سعيد الأنصاري) عن سعيد بن المسيب " . اما بالنسبة لعلة الإرسال ، فيجاب عنها بان المراسيل إذا تعددت طرقها واشتهرت (كما هي الحال هنا) كانت كالمسند .

اما الطريق الثاني الذي جاءا منه (أي : الخبر والقصيدة) فعند ابن إسحاق في السيرة بالرواية عن شيخه عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعلة السند هنا الانقطاع .

ولكن الخبر والقصيدة جاءا - ايضا - من سند آخر متصل من طريق إبراهيم بن المنذر الحزامي ، وهو (شيخ البخاري) عن الحجاج بن ذي الرُّمية بن كعب بن زهير ، عن ابيه ، عن عمه ، وذكر الخبر والقصيدة .

أما الإسناد علي بن المديني في الخبر والقصيدة التي جاءت من هذا (أي : طريق إبراهيم بن المنذر الحزامي) : " لم اسمع فذاكم خبر كعب بن زهير حديثا اتم ، ولا ايقاني من خبره غير هذا " .

وقد صحح الشيخ إسماعيل الأنصاري - رحمه الله - (في رسالة لطيفة بهذا الشأن سماها: القول المستجاب في بيان صحة قصيدة بانت سعاد، وصدرت في دار الإصمعي عام ١٤١٩هـ) ان القصيدة سماعا صحيحا متصلاً ، كما ان لها [... وقد تلقى الجميع] تلك بالقبول فلا مطعن في اي محاولة للتشكيك فيها !.. سة القصيدة العينية ، اما في الأدب فإن روايتها مستفيضة ومشهورة.

(بفتح الباء وسكون اللام) المكررين للقصيدة قبولها ، لانه لم تعد لهم من سوى ما ذوموه من دعوى تنزيه الرسول ... عن سماع شعر التسيب ، على "الذوق الشخصي" المحض ، وهو يتسع لكل الأذواق وعرفه الأولى ، وهذان الأمران لا يمكن التلقا بهما - ولهذا فمن حكمة وقية . ار العرب في الجاهلية والإسلام يؤكد ان الفتاح القصيدة ومقدمات مرئاً مشبباً ، ثم إن كثيراً من الصحابة حسان بن ثابت في الإسلام التي وسمعه لا تخلو من الغزل على ما هو متعارف عليه.

أحمد علي آل مريع*

أكـرم بها خـلـة، لـو أنـهـا صـدقـت
موعودها أو لَوَ انَّ النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها
فجع، وولع، وإخلاف، وتبديـــل
فما تـدوم على حـال تـكـون بها
كما تلون في أثوابها الغـــــول
ولا تمسَّكُ بالعهد الـذي زعمت
إلا كما يمسَّكُ بالماء الغرابيـــل
فلا يغرنك ما منَّت، وما وعدت
إن الأمانيَّ والأحلام تضليـــل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها إلا الأباطيـــل

ولك أن تسأل معي، أمثل هذا الوصف يمكن أن يقال فيه : إنه غزل ! أم أنه - كما نظن - كان يصف أصدقاءه، فهو أنسب إلى وصف ما قابلوه به من إعراض، وتنكر لما كان بينهم من مودة. وإن كان حديثه هذا غزلا، أو من معانيه، فهل لنا أن نقول: إن فيه ما يخدش الحياء؟ أما عني فإني تحسرت على الشاعر، وقلت في سري : عوضك الله خيرا من صاحبتك. وبحثت عن الصفات التي تقابل ما وصم بها صاحبته فوجدت أنها صفات المسلمين، فنعمت الصفات هي.. ■

يحيى المعلمي وجهوده في الكتابة الأدبية والنقدية

رسالة ماجستير في الأدب

للباحثة

أسماء بنت زكريا جعفر فلفلان

يعد الأديب الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي من الشخصيات التي أثرت الساحة الأدبية والنقدية والفكرية في المملكة العربية السعودية، فتجاوبت مع متطلبات ومقتضيات المجتمع المعاصر، فصال جولاته في ميادين متعددة عبر الصحف والإذاعة والأندية الأدبية، وانبرى إلى الساحة بقوة الشكيمة وبحماسة الشباب المناضلين، فعد من رواد الإصلاح والفكر والأدب، فهو ناقد أدبي ولغوي متذوق، وكاتب ذو أسلوب يتسم بالفصاحة والجزالة، مثقف في المقام الأعلى من الثقافة الدينية العميقة المتأصلة في نفسيته المشرئبة، مُلمٌّ بالأدب وفنونه وعصوره وتاريخه ونقده، وبالتاريخ الإسلامي والشؤون السياسية العربية والغربية.

وعندما تمتد الأصداء إلى الأدب خاصة، فإن مقالاته وكتبه تأتي مصرحة تارة، وملمحة أخرى نحو إسلامية الأدب والنقد، فموضوعاته المقالية، أملتها التصورات الإسلامية متبعا فيها الأسلوب الأمثل للدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتتألف هذه الرسالة التي بعنوان / يحيى المعلمي وجهوده في الكتابة الأدبية والنقدية / من مقدمة وبابين وخاتمة، ويتألف كل باب من فصلين.

ففي الفصل الأول من الباب الأول تناولت جهود المعلمي في الكتابة الأدبية بإبراز القضايا الأدبية التي صال المعلمي جولاته في الدفاع عنها.

ويندرج في الفصل الأول خمس قضايا:

١ - المحافظة على الفصحى ونبذ العامية.

٢ - موقفه من الشعر العامي.

٣ - تصحيحاته للأخطاء اللغوية.

٤ - اهتمامه بالمصادر الأدبية واللغوية.

٥ - آثاره في الدراسات القرآنية والنبوية والنحوية واللغوية وغيرها.

وأولى الدراسات القرآنية والنبوية جل اهتمامه، ونالت النصيب الأكبر من آثاره إدراكا منه لأهمية جوانب الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم والحديث الشريف وشموله لكل جوانب الحياة ومرافقها المتعددة.

أما الفصل الثاني : فكانت جهوده في الكتابة النقدية، تناولت فيه ست قضايا هي:

١ - وظيفة الأدب.

٢ - مقومات الشاعر أو الأديب.

٣ - بين الأديب والناقد.

٤ - منهجه النقدي (من خلال نقده للأعمال الأدبية وخاصة الشعرية).

٥ - مقاييسه النقدية.

٦ - قضايا نقدية: وكانت معالجته لها في ضوء التراث النقدي العربي الأصيل.

أما الباب الثاني : ففي الفصل الأول دراسة تقويمية لآثار المعلمي الأدبية المتنوعة. وجاءت الدراسة لاستخلاص أهم الخصائص والسمات الفنية للفنون التي تناولها.

وموضوعات هذا الفصل هي:

١ - فن المقالة.

٢ - أدب الرحلات.

٣ - الأدب المسرحي.

٤ - فن القصة.

٥ - فن التراجم الأدبية.

٦ - فن السيرة الذاتية.

٧ - المختارات الأدبية.

٨ - فن التحقيق الأدبي.

أما الفصل الثاني : فكانت دراسة في السمات والخصائص النثرية للبحث في أسلوبه الأدبي، ومنها في شعره للكشف عن أصالته الشعرية.

وقد عرضت لمكانة المعلمي الأدبية لدى الجهات الرسمية والهيئات الأدبية والنقدية العامة والمتخصصة. وذكرت في ذلك:

- نيله لجائزة الجنادرية للثقافة والأدب لعام ١٤٢٠هـ، وعضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٤١٥هـ، ورئاسته لمكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في المملكة العربية السعودية بالرياض، وحصوله على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٤١٤هـ، وفي عام ١٤٠٨هـ كرمته إثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجه بجدة. فهذه العضويات وغيرها جاءت نتيجة جهد بارز ومتقان في خدمة ما يمس الفكر العربي الإسلامي وإيجاد الخطاب الإسلامي في أدبنا العربي.

وأخيرا : الخاتمة وقد احتوت على النتائج والتوصيات.

وقد نوقشت هذه الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٤٢٥هـ. بإشراف الأستاذ الدكتور محمود بن حسن زيني، وعضوية كل من : الأستاذ الدكتور صالح جمال بدوي مناقشا أول، والأستاذ الدكتور صالح سعيد الزهراني مناقشا ثانيا.

ومنحت اللجنة الطالبة : أسماء زكريا جعفر فلفلان درجة الماجستير.■

حنين المهاجر

شعر : د. محمود السيد الدغيم

انكلترا

أقيم بأرض الإنكليز وإنما ... يظل فؤادي بالشآم متيما

هنالك أصحابي ومهد طفولتي ... ورمل البوادي يسكب الدمع عَنْدَما

وزهر الروابي يملأ الحقل غبطة ... وحب على الأصحاب صلّى وسلما

وصوت يدوي في السماء كأنما ... يقول: تعالوا، كلما الرعد دَمْدما

تعالوا إلى أرض الشآم فإنها ... تفيض بأشواق وتقطر بلسما

اسم الكتاب : مواجهة بين الأصالة والحداثة في الشعر العربي

تأليف: مجموعة من الأدباء

الناشر : مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون – صنعاء – اليمن.

عرض : محمد أحمد حسن فقيه

أصل هذا الكتاب مواجهة مثيرة بين تياري الأصالة والحداثة هي الأولى من نوعها، وهي وقائع الندوة الرابعة التي أقامها منتدى المثقف العربي بالقاهرة.

يطرح هذا الكتاب / المواجهة قضية شائكة مثلت رحى معركة طاحنة لأكثر من نصف قرن من الزمان ألا وهي « ثقافتنا العربية بين الحداثة والأصالة» وأقطاب هذه المواجهة هم كل من : د. كمال نشأت، و د. جابر قميحة، والشاعر الكبير محمد التهامي ممثلين عن الأصالة، بينما مثل الحداثة كل من : الأديب والناقد إدوار الخراط، ود. صلاح فضل، والشاعر الحداثي عبدالمنعم رمضان. وأدار اللقاء الأستاذ عزازي علي عزازي، بدأت الندوة بكلمة استهلالية للدكتور عبدالولي الشميري راعي المنتدى، رحب فيها بضيوف الندوة والحاضرين، متسائلا « هل تمثل الحداثة الأدبية بعدا ثقافيا جديدا له طابع التجديد والتحديث لأدبنا العربي في عالم متغير متطور من حديث إلى أحدث ومن جديد إلى أجد؟!» و« هل بالضرورة ألا يكون ممكنا التعايش السلمي أو التكامل الودي بين الأصالة والحداثة».

وأهم ما ورد في الكتاب / المواجهة هو « ماهية التعريف الدقيق للحداثة، وهل فعلا فشلت وانفض سامروها، وتقبع في أزمة خانقة من الإحباط والإفلاس ؟

وهل يمكن التعايش السلمي بين الأصالة والحداثة، وقبول كل واحد منهما بالآخر».

ولم تقدم المواجهة إجابات شافية على هذه التساؤلات بقدر ما

اسم الكتاب : محمد مصطفى هدارة.. بحوث ودراسات

الناشر : مكتبة العبيكان – الرياض

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

نشر هذاالكتاب في سلسلة إصدارات مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية برقم (١٩)، لمجموعة من الباحثين الأكاديميين من تلامذة د. محمد مصطفى هدارة في الجامعات المصرية، وفاء بحقه، وقياما بالواجب، وتعريفا بهذا الكاتب والناقد الإسلامي الكبير. إذ يعد د. هدارة من الذين أصّلوا للأدب الإسلامي، وتصدوا للاتجاهات التغريبية في الأدب من خلال نقد قويم شهدت له الساحة النقدية العربية الحديثة بقوته وأصالته. يقول عنه د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس رابطة الادب الإسلامي العالمية في تصديره للكتاب «فما كان إلا سيفا ماضيا، شاء الله أن يُشْهر نصرة للحق وإزهاقا للباطل، حتى إذا أثخنته الجراح، وفلته المعارك، عاد السيف إلى غمده، ورجع المجاهد إلى ربه، فكان كما قال أبو تمام :

وما مات حتى مات مضرب سيفه

من الطعن واعتلت عليه القنا السمر»

ويضم الكتاب أربعة عشر بحثا وعددا من قصائد الرثاء التي نشر بعضها في مجلة الأدب الإسلامي في الملف الخاص عن د.محمد مصطفى هدارة في العدد الرابع عشر.

ولعل أهم البحوث هي تلك التي تناولت موقف د. هدارة من التراث والمعاصرة وهي :

قدمت تعريفات ومفاهيم متناقضة، ففي حين قال الدكتور صلاح فضل: إن الحداثة استجابة لمنطق الحياة في التجدد المعتمد أساسا على التجذر العميق في التراث وفي الأصول، ثم تطويرها وتنميتها بما يتلاءم مع متغيرات وتحولات الفكر والمعرفة والثقافة والفن والأدب»، وبارك مقولته إدوار الخراط حين قال: « الحداثة عندي مرادفة للأصالة»، في حين رأى الدكتور كمال نشأت: « أن الحداثة كما هي الآن شيء طارئ ومستورد وغريب لم يتقبله الناس». وقد عزز هذا الرأي الدكتور جابر قميحة بقوله: « إن مفهوم الحداثة عندهم - كما يقولون - هو انقطاع الموروث الوثني، قضاء على التفعيلة الوثن.. إذن هنا انقطاع، والمسألة ليست مسألة تطوير».

ثم كانت هناك مداخلات من الحاضرين أغنت الندوة إغناء كبيرا، وبرز في نهاية المواجهة الفراغ الذي تعيشه الحداثة، ومآزقها المؤدية حتما بتفاقمها إلى انحسارها ،بعد أن عجزت عن إيجاد من يفهم رموزها، ويحل طلاسمها، فنجحت في الهدم، ولم تنجح في البناء.

وفي جو من التوتر النفسي والعصبي تناول مكبر الصوت الشاعر الحداثي عبدالمنعم رمضان بعد أن اتهم القاعة بالتحيز المتعمد للأصاليين، وقرأ قصيدته الحداثية «تعويذتان» من ديوانه ليثبت للجمهور جمال الشعر الحديث وروعته حتى أتمها، وعلى الفور تناول مكبر الصوت الشاعر الأصالي محمد التهامي، وفي رد ضمني أنشد قصيدة عمودية من شعره كنموذج للشعر الأصيل بعنوان «مناجاة القدس»، حتى أتمها في جو من التصفيق من قبل الجمهور، ورفعت الجلسة».

ولم تخل المواجهة من السخريات اللاذعة، وبعض من النقد الساخر البناء. رغم عدم توثيق تاريخ الندوة ولا تاريخ نشر الكتاب، يظل الكتاب/ المواجهة أول مواجهة علنية بين الفريقين، والمفاهيم التي يتبناها كل فريق، وتكاد المواجهة أن توصِّف بحق أي الحداثات نقصد؟! وأي الحداثات نريد؟!..

- د. هدارة بين التراث والحداثة للأستاذ د. محمد زكي العشماوي.
- منهج د. هدارة بين التأصيل والتجديد ونشدان الحقيقة للدكتور صالح حسن اليظي.
- ما بين الأصالة والمعاصرة من خلال دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق للدكتور علي حمدي علام.

كما تناول عدد من الدراسات حياة د. هدارة من خلال رؤية قريبة ومعايشة حميمة، وأضاءت جوانب من سيرته الأدبية والفكرية وهي:

- مدخل عن حياة وأعمال د. هدارة للأستاذ د. محمد زكريا العناني.
- د. هدارة.. الفارس الذي ودعناه للدكتور سعد أبو الرضا.
- د. هدارة رؤية إسكندرية للأستاذ د. محمد زكريا العناني.
- دراسة في فكر د. هدارة للأستاذ د. بدر أحمد ضيف.

وتناول عدد من البحوث ما كتبه د. هدارة من إبداعات في الرواية والشعر وهي:

- رواية المنصورة بين الإبداع والتاريخ للدكتور محمد أبو الفضل بدران.
- الناقد شاعرا للدكتور ربيعي عبدالخالق.

وكانت الكتابات النقدية للدكتور هدارة محل عناية الباحثين فكتب عنها:

- ملامح وسمات عامة في المنهج النقدي في كتابات د. هدارة، للدكتور سعد سليمان حمودة.
- بين البعد الإنساني والصدق الفني.. نظرات في المنهج النقدي للدكتور هدارة، للدكتور مختار عطية عبدالعزيز.
- نظرات في تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور هدارة، للدكتورة ناهد أحمد الشعراوي.

وجاءت قصائد الرثاء للشعراء:

د. عدنان النحوي، وسعيد القماش، ومحمد فؤاد محمد، وأحمد محمود مبارك.

يقول د. النحوي في رثائه:

تركت كنوزا لا يضل بها الفتى
فيغنم من زاد بها ويمتعُ
وتسعد آداب ويغنى رجالها
برأيك يجلى في المتون ويسطعُ
وفي كل دار من جهادك جولة
وفي كل ناد من بهائك مطلعُ
وقلبك فياض وعزمك صادق
وثغرك بسام وكفك مترعُ
ففي كل يوم جولة بعد جولة
لها عبق يغني، وجود يوسعُ

مبادئ

شعر: محمود محمد حسن
السودان

طلبت حميد العيش في خلق الحمد ... وأذللت نفسي في ملاحقة المجدِ
قليل من الخلان يصفو ودادهم ... ولكنني للخل مجتمع ودي
أعز لساني عن سقيط وفاحش ... فليس لذي التسفاه من سفه عندي
وأكرم نفسي أن تحسَّسَ لامرئ ... كواتم أمر أو تراقب عن عمدِ
وإن رَحِما يوما جفاها رجالها ... مددت لهم كفي ووسدتهم خدي
وكم من فتى بالحقد يرمي مقاتلي ... فأصبح والسهم المصوب من جندي
متى يرم ذا عقل لئيم يعُدْ لهُ ... من الذم أضعاف الذي كان يستعدي
صريح وما في اللوم عار على امرئ ... إذا لام من يرجى إلى سبل الرشدِ
فإما وئام مستبين فإن عصا ... عليَّ سبيل الحب أعذره جهدي
فإن حرَّشت منه الطباع حماقة ... فيا رُبَّ عفو قد محا كل ما يبدي
ولم يغن ودٌّ لا تجاريه حرمة ... وإن قليل الود في حرمة يجدي
متى كان عيش الناس مكرا ومطمعا ... فلا تنأ لكن عشْ قريبا على بعدِ
وليس جليد القوم من يصرع العدا ... ولكنَّ ذا الإغضاء أجلد من جلْدِ
إذا كان عفو الله للمرء غاية ... تصامم عن جهل وأغمض عن حقدِ

قيامة الأنا .. غناء الآخر

شعر: آلما ترشحاني
سورية

لطفولة أولى
يلملمها المدى
لطفولة ..
تشتق ملحمة الوطنْ
غنّى لنا ..
ورمى الكلام على اللهبْ
غنى لنا ..
واستل من شجر الغضى
حجرا .. تضرج بالغضبْ

❖❖❖

هو في عيون المسجد الأقصى
ربيع منتظر
ودم .. لحنجرة الشموعْ
هو أرجوان صليلنا
ولذا .. تنكب ما يجيء به الصدى
قذف الكلام على المطرْ
ومضى ..
يقلب موتهُ
بين الشررْ..

❖❖❖

مسكونةٌ ..
بروائح الليمونِ
والحبق المقاتلِ
واللظى ...
مسكونة بندى النجومْ
صدري تجَليٌ الأرضِ
آنَ خشوعها
فاسعوا إلَى نوري الجريحْ
ما من سوايَ ،
شهادةُ الماء المحيطْ
ما من سوايَ ،
دم بأعْزَله
يقوم إلى
حديد الغاصبينْ

❖❖❖

هي ذي أنا ..
وشراسةُ الهمجيِّ
تقصف وردةَ الآيات
والأطفال .. والموتى
وتحرث في الجهاتِ
وفي التخومْ
هي ذي أنا ..
حريةٌ تعلو بقبضتها
وتجترحُ الغيومْ..

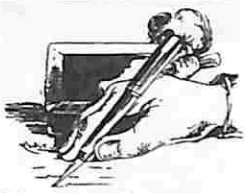

خمش الهرة

دخلت المدرسة في الصباح الباكر كعادتي، وبينما كنت متوجها نحو مكتبي، إذا برهط من طلاب الصف الأول يتدافعون، ويتسابقون، وقد ضاقت صدورهم ذرعا بأهم أخبار اليوم، تكلموا جميعا في وقت واحد، لم أفهم شيئا سوى كلمة «هرة» بسبب الجلبة التي أحدثتها وكالات أنبائهم المضطربة.

وصلت إلى المكتب وهم يشكلون دائرة حولي، بعضهم يكرر الخبر، وبعضهم الآخر يقسم ويحلف ظنا منه أنني لم أصدق ما يقول، وهم يظنون أنني - لا محالة - سأتخذ إجراء تأديبيا بحق الهرة الشكسة التي نالت من بشرة محمد البيضاء، المشربة بالحمرة، وربما أمرت بإلقاء القبض عليها، وحبسها في المدرسة ليتمتعوا بقية اليوم بمنظر الهرة المعاقبة.

مع رنين جرس الاصطفاف الصباحي تفرق الرهط بالطريقة نفسها التي اجتمعوا بها. لم يمض وقت طويل حتى وقعت عيناي عليه، يا إلهي إنه يحك رأسه حكا شديدا، حتى ليكاد الدم يتفجر من عروق رأسه ليجري على صفحات زنديه اللذين ظهرا كأوراق شقائق النعمان.

ناديت محمدا واصطحبته معي إلى المكتب. ما بك يا بني ؟ لماذا تحك رأسك ؟ لقد خمشتني الهرة... نعم الهرة يا أستاذ. وهل خمشت رأسك أيضا ؟ نعم يا أستاذ هرتنا غضوب جدا. وقد آذت أختي الصغيرة أيضا. قلت: حمدا لله على سلامتك، اذهب إلى صفك، واحضر إليّ في الفسحة الأولى لأعطيك علاجا يخفف عنك الألم. قال : ستعطيني مرهما أم شرابا ؟ شكرا لك يا أستاذ فأنا عندي علاج في المنزل. استغربت حقا من وجود علاج يشفي من خمش القطط. وعندما اتصلت بأبي محمد وقد حدثته عن هذا المرض، قاطعني قائلا : « يا أستاذ ليس عندي في المنزل هرة ولا غيرها من الحيوانات، محمد عنده فرط تحسس جلدي، لقد كان يعاني هذا المرض مذ كان في سنيه الأولى. لكنه في المساء كان قلقا من ردود أفعال زملائه ومعلميه في الفصل على شدة حكه الذي لا يملك له ردا ولا دفعا، وقال : إنه يخاف أن يقولوا له: جربان.

من أجل ذلك قرر محمد على عجلة من أمره - وربما في الليلة التي لم تغمض عيناه فيها - أن يكمل جميع فصول المسرحية التي نسجها بخيوط إحساسه المرهف، وخيال طفولته البريئة.

ومع رنين جرس الفسحة الأولى حضر محمد فأجلسته وقلت له : يا بني أنت طالب مجد وذكي والطالب الذكي ينبغي أن يكون شجاعا فكنت أتمنى منك أن تخبرني بالتحسس الجلدي الذي تعاني منه، وهذا ليس معيبا، فالتحسس شأنه شأن الزكام الذي أعاني منه أنا اليوم، ومع ذلك لا أتحرج منه. فنحن في المدرسة أشبه بالأسرة فينبغي أن نواجه مشكلاتنا بجرأة ووضوح، والصراحة مزية طيبة، فهل تعاهدني يا بني على أن تكون صريحا وواضحا ؟ فقال : أعاهدك يا أستاذ.

خرج محمد وقد تأثر بسبب الرواية الموضوعة التي نقلها إلينا، ولكنه تزود بقيمة عظيمة من جراء هذا الموقف خباها في نفسه ديدنا ومبدأ، ورحم الله قائل المثل العربي «رب ضارة نافعة».

بقلم: بدر الحسين - -سورية

ورق..

(١)

الطابق العاشر بعد الطابق الأخيرْ
لا بد أن أقابل المديرْ...
في البدء كانت ورقةْ
أحملها بمنتهى الثقةْ
أدفع عني سطوة الشمس بها
أو أبعد الذبابة المقلقةْ
أرفعها تحية للأصدقاء في مرح
فيسألون في فضولْ
لكنني أقولْ
«ليست سوى ورقةْ»
... علمت فيما بعد أنني جهولْ

(٢)

الطابق العشرون بعد الطابق الأخيرْ
«معذرة سيدتي.. هل تعلمين أين مكتب المديرْ؟»
في البدء كانت مصلحةْ
أوقفني ببابها شيخٌ
ثيابه ورقْ
وفوقها مرسومة بالحبر ربطة العنقْ
«يا ولدي.. خذ من (أخيك) حكمة صالحةْ
لا يعرف الوصول من لا يعرف الأملْ
فانزع عباءة المللْ
واقرأ على أوقاتك الفاتحةْ
يا ولدي
رياضتان لا غنى للمرء عنهما

عزف على وتر الغربة

دعيني يا تباريحي أبوح
فقد أوهت عزيمتي الجروح
وقفت أسائل الجوزاء لما
خبا في خاطري الأمل الصبوح
لماذا تأكل الأحزان حسي
وتتركني على نفسي أنوح؟
لماذا أرتدي ثوب المآسي
وأرحل في المدى.. كبدي قروح
صروف الدهر تشربني كؤوسا
تظل جوانحي منها تصيح
أنا وتر يتيم اللحن يبكي
على أصدائه قلب جريح
أنا يا قلبي الموؤد حس
بريء لم تخالطه القروح
يجود الدهر بالنكبات تترى
ولكن في مواساتي شحيح
أعلق في جدار الصمت همي
وتكسوني من الحزن المسوح
وأنزح لا ديار تحتويني
وقد أودى براحلتي النزوح
غريب أين ما حلت ركابي
وجسمي بين أهلي مستريح!!

غريب الروح ما أشجى وأقسى
إذا اغتربت عن الأوطان روح
غبوقي دمع عيني أحتسيه
وأحزاني وآلامي الصبوح
ولي نفس يرف الخير فيها
ويسري في مساربها الطموح
أنا في عالم، الحر فيه
يواريه عن الناس الضريح
تكال له الشتائم كل حين
ويزجى للذي ذل المديح
ولكني سأبقى مشمخرا
كمثل بيارق العليا ألوح
وأبقى حالما غردا وشعري
يتيه بلحنه الكون الفسيح
وأصرخ في رحاب الكوني إني
لربي سائر زادي الطموح
أسافر في المدى شرقا وغربا
وعطر العزم في دربي يفوح
جوادي الحقُ أركبه يقينا
وخيلي من توقده جموح
سأبقى ثابتا كالطود مهما
عتت من غضبة الأيام ريح

شعر: محمد عبدالله عبدالباري- السعودية

الجري والمصارعةْ
ما خاب من كانا معهْ
في هذه المعركة الجامحةْ
(٣)
الطابق المليون بعد الطابق الأخيرْ
لا بد أنه الحبورْ
ما لي أحس أنني أطيرْ
أم أنه فيض مباركْ
من مكتب المديرْ ؟؟!
في البدء كان مكتب المديرْ

وقبله أصابع تشير دائما لأعلى
وسلم لا يرحم الشيخ الكبيرْ
نزعت من ملابسي قصاصة من الورقْ
جففت عن جبيني العرقْ
أعدت رسم ربطة العنقْ
قرأت - في صوت خفيض - سورة الأعلى
طرقت بابهْ
فتحت في كل هدوء و (أدبْ)
لكنه أشار أيضا في هدوء و أدبْ
للطابق الأعلى...

مرت جوار كتفي طائرة.. فلم أبالِ
لوث سترتي تراب نيزكْ
فلم أبالِ
أشار لي ركاب مكوك الفضاء من نوافذهْ
فلم أبالِ
قد قال لي الفراش - بعدما حشوت جيبهُ
- أن واصل الصعودْ
وهكذا أواصل الصعودْ
في حكمة وطول بالْ

شعر: نزار شهاب الدين-مصر

إعداد: شمس الدين درمش

ملتقى الأدب الإسلامي الأول في الكويت

أقيم هذا الملتقى برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، التي دعت إلى هذا الملتقى عددا من مسؤولي الرابطة ومن أعضائها في دولة الكويت وقامت بالدعاية له في عدد من الصحف المحلية.

وقد تضمن هذا الملتقى الذي استمر ما بين ١٥-١٤٢٦/٣/٢٥هـ الموافق ٢٤/٤-٢٠٠٥/٥/٤م عددا من الأنشطة، وهي:

١ - ندوة بعنوان: «**الأدب الإسلامي تعريفه ومفهومه**». وقد بدأت الندوة بكلمة وكيل الوزارة المساعد الشيخ مطلق القراوي نائبا عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية معالي الدكتور عبدالله المعتوق.

ثم تلتها كلمة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الدكتور عبدالقدوس أبو صالح الذي شكر الوزارة على دعمها للأدب الإسلامي، وأشار إلى نهج الرابطة الذي يقوم على الاعتدال والوسطية والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى مناصحة الحكام وإحسان الصلة بهم قبل أن تعرف كلمة «الإرهاب» في العالم العربي.

ثم تحدث الدكتور عبدالباسط بدر نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية عن المحور الأول في الندوة وهو بعنوان: «**الأدب الإسلامي: تعريفه ومفهومه**».

وتلاه الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعودية، وتناول المحور الثاني في الندوة، وهو بعنوان: «**الجوانب الفنية والذوقية في الأدب الإسلامي**».

وأعقب الندوة أمسية شعرية أسهم فيها د. عبدالقدوس أبو صالح و د. عبدالرحمن العشماوي، ود. حبيب بن معلى المطيري.

وفي اليوم الثاني ألقيت ثلاث محاضرات، أولاها بعنوان: «**الحوار في الأدب الإسلامي**» للدكتور عبدالباسط بدر، وثانيها بعنوان: «**الأدب الإسلامي ودوره في تهذيب السلوك**» للدكتور حسن الهويمل، والثالثة بعنوان: «**تنمية الأدب الإسلامي**» للدكتور محمد إقبال عروي الناقد الإسلامي وعضو الرابطة في مكتب المغرب.

وبعد التعقيب والمناقشات بدأت الأمسية الشعرية الثانية لشعراء الأمسية الأولى مع عدد من شعراء الرابطة في دولة الكويت.

وأقيمت بعد ذلك دورة لخمسة أيام بدءا من يوم السبت التالي بعنوان: «**الأدب الإسلامي ودوره الريادي في المجتمع**» كلف بها الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، وتميزت هذه الدورة التي تعقد أول مرة في تاريخ الرابطة بالحضور الكثيف وكثرة المداخلات والتساؤلات عن الأدب الإسلامي ورابطته العالمية، كما وزعت مذكرة خاصة تضمنت أهداف الدورة وما ألقي فيها من البحوث التي تدور حول قضايا الأدب الإسلامي ودوره في المجتمع، مع تخصيص ساعة كاملة للتعريف برابطة الأدب الإسلامي ونظامها الأساسي وأنواع العضوية فيها ودعوة أدباء الكويت من مواطنين ومقيمين للانضمام إليها.

وكان من نتائج ملتقى الأدب الإسلامي الأول في دولة الكويت تقدم عدد من الأدباء والأديبات للانضمام إلى رابطة الأدب الإسلامي التي سوف يقوم فيها قريبا مكتب إقليمي إن شاء الله تعالى.

مؤتمر اللغة العربية في عالم متغير بجامعة الشارقة

نظم قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة وتحت رعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد - حاكم الشارقة- الرئيس الأعلى للجامعة مؤتمرا بعنوان (اللغة العربية في عالم متغير)، وذلك في الفترة من ١٠-١٢ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ١٩-٢١ أبريل ٢٠٠٥م. واشتمل المؤتمر على خمسة محاور هي :

١ - اللغة العربية ومتغيرات العصر.

٢ - اللسانيات والدراسات البلاغية والنقدية.

٣ - اللغويات والإبداع.

٤ - قضايا الأدب بين الرسالة وأدبية النص.

٥ - دراسات تطبيقية.

وقد حضر الدكتور عبدالقدوس أبو صالح - رئيس الرابطة- المؤتمر وأسهم فيه ببحث عنوانه (ازدواج اللغة العربية في المدارس والجامعات)، كما شارك في المؤتمر عدد من أعضاء الرابطة، وهم:

- د. إسماعيل أحمد عمايرة (الأردن) بموضوع (تأثيل الجذور اللغوية في سبيل معجم تاريخي للعربية).

- د. أمين سعيد أبو ليل (الأردن) بموضوع (مستويات اللغة العربية في الصحافة الأردنية - دراسة تطبيقية).

- د. ابن عيسى باطاهر (الجزائر) بموضوع (تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عبر شبكة المعلومات العالمية - دراسة وتقويم).

- د. زينب بيره جكلي (سورية) بموضوع (مصطلح الأدب الإسلامي والالتزام)

- د. عمر بوقرورة (الجزائر) بموضوع (إشكالية المفارقة بين أدبية النقد ورسالية النص) بحث في متغيرات المعاصرة في الأدب العربي.

- د. مجدي محمد الخواجي (السعودية) بموضوع (اللغة العربية ومستجدات العصر - أسئلة الهوية والتقانة).

- د. ناصر عبدالرزاق الموافي (مصر) بموضوع (آليات السرد في كتاب التيجان في ملوك حمير).

- د. رشيد بلحبيب (المغرب) بموضوع(مجالات التنمية اللغوية.. الواقع والتحديات).

وبلغ مجموع المشاركات ثمانية وسبعين موضوعا، ووزعت على ست عشرة جلسة.

وقد ترأس اللجنة التحضيرية الأستاذ إبراهيم السعافين عميد الكلية، وشارك في هذه اللجنة من أعضاء الرابطة د. ابن عيسى باطاهر، ود. زينب بيره جكلي.

وترأس لجنة الاستقبال والتنظيم الأستاذ رشاد سالم وشاركت فيها من أعضاء الرابطة الدكتورة نور الهدى لوشن (الجزائر).

مكتب السعودية - الرياض - محمد شلال الحناحنة

الملتقى الأدبي

❖ استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض في الملتقى الأدبي لشهر صفر الأستاذ الدكتور حسين على محمد عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، في حديث عن تجربته الأدبية والنقدية، وتحدث فيه د. حسين علي محمد عن بداياته الأدبية ونجاحاته المبكرة، وعن جهوده في الكتابة المسرحية (خمس مسرحيات)، وفي الشعر (سبعة دواوين) وفي الأدب الإسلامي (كتابان)، وعن جهوده في النشر (مئة وخمسون كتابا) في سلسلة أصوات معاصرة، بالإضافة إلى عشرات الدراسات الأدبية والنقدية. وقدم المحاضر الدكتور صابر عبدالدايم.

د. محمد بن عزوز

❖ واستضاف المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض الأستاذ الدكتور محمد عبدالعظيم بن عزوز عضو الرابطة وعضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض في حديث عن رحلته في التحصيل العلمي وتجربته الأدبية والنقدية ، وذلك في الملتقى الأدبي لشهر ربيع الأول، حيث تحدث عن المراحل الأربع في مسيرته الأدبية والنقدية، وهي المرحلة الأولى في مدينة سلا التاريخية موطن نشأته، والثانية في الرباط المرحلة الجامعية، والثالثة في جامعة السوربون في باريس مرحلة الدراسات العليا، والأخيرة في جامعة ابن طفيل في مدينة القنيطرة مدرسا لمادة الأدب الإسلامي وواضعا لمناهجه. وقدم المحاضر الدكتور وليد قصاب.

ملتقى الإبداع للشباب

وأقام المكتب الإقليمي في الرياض ثلاثة ملتقيات لإبداع الشباب في شهر صفر وربيع الأول وربيع الآخر ١٤٢٦هـ.

قدم في الملتقى الأول أحد عشر نصا إبداعيا وفي الملتقى الثاني ستة نصوص إبداعية، وفي الملتقى الثالث تسعة نصوص إبداعية.

وشارك فيها بالإلقاء كل من : خالد محمد، وعبدالعزيز فهد الشايع، وعبدالله غدران، وسعيد عاشور، وعبدالله ناصر الخريف، وأيمن ذو الغنى، وخلدون البيطار، وحميد الأحمد، وأديب الإسماعيلي، ونزار شهاب الدين، ومحمد عبدالله عبدالباري، ويس عبدالوهاب نبيه، وأسامة علي متولي، ومحمود حسين، و أحمد صوان، وسعد جبر، وجميل الكنعاني، ومحمد العجيل، وأمير رمزي.

وقد أشرف على الملتقيات بالتوجيه والنقد الدكتور حسين علي محمد وشاركه في الملتقى الأول د. صابر عبدالدايم، وفي الملتقى الثاني د. وليد قصاب، وفي الملتقى الثالث د . سعد أبو الرضا، وأدارها محمد شلال الحناحنة.

وحضرها جمع غفير من الأدباء الشباب الذين شاركوا في الحوار والنقد، كما كان لمجلتي شباب ومنارات حضور دائم في الملتقيات الأدبية جميعها.

والجدير بالذكر أن الملتقى الأدبي العام يعقد في الأربعاء الأخير من كل شهر قمري ، وملتقى الإبداع للشباب يعقد في الأربعاء الثاني من الشهر.

الحناحنة

بدرالحسين

نزار شهاب الدين

محمد عبدالباري

محمود حسين

مكتب اليمن - صنعاء - محمد الفقيه:

❖ أقام المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن ندوة أدبية بعنوان «**وظيفة الأدب**» وذلك يوم ١٤٢٥/١١/١٨هـ. واشتملت الندوة على ثلاثة محاور:

- وظيفة الأدب في الأدب الجاهلي تناوله الدكتور عبدالله لطف الصبار أستاذ النقد الأدبي في كلية اللغات بجامعة صنعاء.
- وظيفة الأدب في المجتمعات الغربية تحدث فيه الدكتور أحمد المنصوري أستاذ الأدب الأندلسي بكلية اللغات جامعة صنعاء.
- وظيفة الأدب الإسلامي وتناوله الدكتور محمد عبدالله العبيدي رئيس المكتب.

❖ وأقام المكتب ملتقى شعريا يوم الأربعاء ١٤٢٦/٢/٦هـ. افتتحه د. محمد عبدالله العبيدي، وشارك الشاعر محمد أحمد الفقيه بقصيدة ترحيبية بالشعراء المشاركين وهم: محمد عبدالرازق أبو مصطفى، محمد الفرم، أحمد هادي جمال الدين، إبراهيم طلحة، د. عبدالله طاهر الحذيفي، حسن الزراعي، محمد عبدالله المحجري.

وشهد الملتقى مداخلات عديدة أبرزت الجوانب الفنية والموضوعية للقصائد التي ألقيت، وتطرقت إلى قضايا متعددة في الشكل والمضمون.

❖ كما أقام المكتب ندوة أدبية شهرية في ١٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ بعنوان: « **الأدب الإسلامي بين الشكل والمضمون**».

بدأها الدكتور أبو بكر صالح البابكري بورقة عنوانها: « الأدب الإسلامي شكلا ومضمونا». وتناول الدكتور عبده محمد الحكيمي في ورقته: «التصور الإسلامي للشكل والمضمون في العمل الفني». ثم تحدث الدكتور أحمد قاسم الزمر عن: «رؤية حول الشكل والمضمون في الأدب الإسلامي»، وقد أكد المتحدثون على أهمية التجويد الفني للشكل في الأدب الإسلامي، وأن إسلامية المضمون لا تشفع أبدا للضعف الفني في الشكل. واستعرض د. البابكري الملحمة الشعرية الإسلامية الكبرى (عمر) لباكثير نموذجا تطبيقيا.

د. محمد العبيدي

وقد حضر هذه الندوات عدد من أعضاء الرابطة وأساتذة جامعة صنعاء، ومتابعي الحركة الأدبية ومندوبي بعض الصحف المحلية.

مكتب الهند - البعث الإسلامي

النزعات الجديدة للنثر العربي الأدبي بعد الحرب العالمية الثانية

عقد قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليكرة الإسلامية ندوة أدبية قومية بإشراف رئيس القسم الدكتور كفيل أحمد القاسمي، حول «النزعات الجديدة للنثر العربي الأدبي بعد الحرب العالمية الثانية» وذلك في الفترة ما بين ١٤-١٥ من شهر مارس ٢٠٠٥م، وحضرها عدد كبير من الأدباء والباحثين ورؤساء القسم العربي بجامعات الهند المختلفة.

وانعقدت الحفلة الافتتاحية في مدرج القسم العربي برئاسة الأستاذ الدكتور نسيم أحمد، مدير جامعة عليكرة الإسلامية، ألقى فيها الدكتور كفيل أحمد القاسمي كلمة ترحيب بالضيوف الكرام وتحدث فيها عن دوافع عقد هذه الندوة.

وألقى كلمة الافتتاح الأستاذ سعيد الأعظمي، تحدث فيها عن تاريخ النثر العربي القديم ومدارسه الشهيرة، وأشار إلى النزعات الجديدة التي دخلت في النثر العربي مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وخاصة نزعة القومية التي حلت محل القدسية الدينية، وأصبحت موضع اهتمام الأوساط الأدبية بوجه عام.

وترأس الجلسة الأولى الدكتور محمد اجتباء الحسيني الندوي، رئيس القسم العربي بجامعة كشمير وإله آباد سابقا، وأدارها الدكتور عبدالماجد الندوي.

إخفاقات السرد بين تجريب القص وغياب النقد

د. حسن الهويمل

استضاف النادي الأدبي في جازان الناقد الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعودية، وأستاذ الأدب الحديث بجامعة القصيم، ورئيس النادي الأدبي في القصيم. وذلك في ١٤٢٦/١/١٨هـ.

وقد تناول في محاضرته قضايا متعددة في الأدب والنقد في السعودية نشأة وتطورا شملت عدة مراحل.

وتطرق إلى مسائل ومشكلات متعددة في الإبداع الشعري والسردي ونقدهما. موجها المبدعين الشباب إلى الموازنة بين الرغبة في الحرية وضرورة الالتزام الخلقي في الأدب.

شهدت المحاضرة مداخلات قيمة من الحضور الذين ملؤوا المكان، وقدم المحاضر نائب رئيس النادي الدكتور أحمد بن يحيى البهكلي.

مهمة الأدب الإسلامي

❖ كما ألقى الدكتور حسن بن فهد الهويمل محاضرة في مكتبة الرحمانية بمحافظة الغاط تحت عنوان : « مهمة الأدب الإسلامي في تهذيب السلوك وتربية الأذواق)، وذلك يوم الخميس الموافق ١٤٢٦/٤/١١هـ.

وتأتي هذه المحاضرة في خضم الجدل القائم حول مشروعية إقامة رابطة الأدب الإسلامي، حيث وضح الدكتور الهويمل في ورقته أن مبعث الخوف والقلق ناتج لرواسب ومفاهيم خاطئة عن مقتضيات ما جد من مصطلحات لم يستوعبها المتلقي وفق مقاصد ذويها. وأن الأدب الإسلامي أحرص المذاهب على المواجهات الحضارية، حيث يمتلك الحجة البالغة، ومتى أتيحت له الفرصة لتقديم نفسه وطرح مشروعه استطاع أن يقنع الباحثين عن الحق أن المشروعية التي يشكك بها البعض ليست مجالا للجدل. فكل حضارة لها فنها وأدبها ونقدها.

الأدب الإسلامي في ندوة الوفاء

الشيخ أحمد باجنيد

❖ ألقيت في ندوة الوفاء الخميسية بالرياض للشيخ أحمد محمد باجنيد (عضو الشرف في الرابطة) أربع محاضرات في الأدب الإسلامي لأعضاء الرابطة وهي : رائعة الشعر العربي.. بانت سعاد لبدر علي المطوع، ومن روائع عمر بهاء الدين الأميري للدكتور أحمد البراء الأميري، والتحية في الشعر للدكتور محمد علي الصامل، وخصوصية الرواية الإسلامية للدكتور عبدالله العريني. وذلك في الموسم الثقافي الثاني للندوة لعام ١٤٢٦هـ.

جولات أدبية

عبدالله الحقيل

❖ شارك الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل أمين عام دارة الملك عبدالعزيز الأسبق في أعمال الملتقى السادس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي انعقد في دولة الكويت برعاية وزارة التربية والتعليم العالي.

❖ كما شارك الأستاذ الحقيل في أعمال وفعاليات ملتقى الكويت الأول للشعر العربي الذي نظمته مؤسسة البابطين للإبداع الشعري في الفترة من ٢٨ / ٣ حتى ٢/ ١٤٢٦/٤هـ. وحضر الملتقى أكثر من ٢٥٠ شاعرا وأديبا وناقدا من مختلف أرجاء الوطن العربي. وقد ألقى الحقيل قصيدة تحية لهذا الملتقى الشعري في الكويت.

اللغة العربية وتحديات العولمة

د. صابر عبدالدايم

شارك د. صابر عبدالدايم في مؤتمر اللغة العربية وتحديات العولمة في دورته الثالثة التي أقيمت في بيروت من ١٨-٢٠/٤/٢٠٠٥م ، تحت رعاية فخامة الرئيس اللبناني العماد أميل لحود ونظمته كلية الدعوة الإسلامية في لبنان تحت إشراف د .عبدالناصر جبري، عميد الكلية، وشارك في المؤتمر وفود من خمس عشرة دولة عربية وإسلامية .

وألقى د. صابر عبدالدايم بحثا بعنوان :«أصداء الثقافة العربية والإسلامية في رواد الأدب الروسي» ، وكان د .عبدالدايم ضمن الوفد الذي قابل الرئيس اللبناني، حيث دار حوار حول أهمية اللغة العربية ودورها في النهضة العربية والإسلامية ، وقد اختير عضوا في الهيئة التأسيسية للمجلس العالمي للغة العربية المنبثق عن المؤتمر.

لجنة الأديبات

زارت كل من د. رجاء عودة رئيسة لجنة الأديبات في الرابطة (السعودية) والدكتورة سلوى ناظم الدبوسي (مصر)، ود. مباركة بنت البراء (موريتانيا)، مدينة الكويت لحضور مؤتمر الكويت الدولي لتحليل الخطاب، المنعقد في كلية الآداب جامعة الكويت بتاريخ ٢٦-٢٨ مارس ٢٠٠٥م.

وقد قامت العضوات بزيارة اللجنة النسائية لجمعية الإصلاح الاجتماعي التي نظمت استقبالا حافلا لهن، وشمل الحفل إلقاء محاضرة عن الإعجاز اللغوي القرآني قدمتها د. رجاء عودة، كما تحدثت د. مباركة بن البراء عن تجربتها الشعرية والأدبية، ثم فتح النقاش للحديث عن الأدب الإسلامي ودوره البناء في تكوين المجتمع الأمثل.

مفهوم الشعر بين التراث والحداثة

استضاف نادي القصيم الأدبي ببريدة الأستاذ الدكتور وليد ابن إبراهيم قصاب، أستاذ الدراسات العليا بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وذلك في ١٤٢٦/٢/١٢هـ، حيث ألقى محاضرة بعنوان (مفهوم الشعر بين التراث والحداثة)، تناول من خلالها عدة محاور منها :

- مفهوم الشعر كما عرفه التراث العربي الأدبي. - حركات التجديد المتعاقبة لم تنسف مفهوم الشعر. - مفهوم الشعر العربي مع حركة الحداثة. - بدعة قصيدة النثر.

الصامل أستاذا

يسر مجلة الأدب الإسلامي أن تهنئ الأستاذ الدكتور محمد ابن علي الصامل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بترقيته إلى درجة أستاذ، راجية له دوام التوفيق.

أخبار عامة

تأسيس الجمعية العلمية للأدب العربي بمكة

أعلن في مكة المكرمة عن إنشاء الجمعية العلمية السعودية للأدب العربي ومقرها جامعة أم القرى بمكة المكرمة. وقد تشكل مجلس إدارتها بعد انتخابه من قبل الجمعية العمومية عقب اجتماع اللجنة التأسيسية للجمعية على النحو التالي :

- أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد - رئيسا.
- د. عبدالله بن إبراهيم الزهراني - نائبا.
- د. صالح جمال بدوي - أمينا للمجلس.
- أ. عبدالحكيم الشبرمي - أمينا. وعضوية أ.د. صالح بن سعيد الزهراني، و د. أحمد بن يحيى البهكلي، و د. خالد بن محمد التويجري، و د. خالد بن سعود الحليبي، و د. حسن بن حجاب الحازمي، و ضمت اللجنة عددا من أعضاء الرابطة.

ميلاد رابطة الفن الإسلامي العالمية

شهدت مدينة جدة المؤتمر التأسيسي لـ «رابطة الفن الإسلامي العالمية» يوم الخميس ٨ محرم ١٤٢٦هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٠٥م، وهي رابطة فنية مستقلة مسجلة رسميا تضم المعنيين بالفن الإسلامي، وتسهم في حركة المجتمع من خلال صناعة البرامج الفنية المختلفة وعرضها وفق الصورة الشرعية.

وتهدف هذه الرابطة إلى جمع المهتمين بالفن الإسلامي ضمن رابطة واحدة تسهم في انتماء فن الأمة لرسالتها. كما تعمل على تأصيل الفن الإسلامي ورعايته وتطويره ونشره ضمن الضوابط الشرعية الموافق عليها من اللجنة الشرعية في الرابطة.

وتنقسم الرابطة إلى أقسام وهي : الإنشاد، والخط والزخرفة الإسلامية، والرسم والتصميم، والتمثيل، والعمارة الإسلامية.

أنور الجندي.. حياته الأدبية والفكرية في مقاومة التغريب

نوقشت هذه الرسالة في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت في الهند بإشراف الأستاذ أحمد إبراهيم رحمة الله، ومناقشة الأستاذ د. ك محمد رئيس قسم اللغة العربية. وحصل الباحث (بوليان كونان أبو بكر) على درجة الدكتوراه.

أنور الجندي

جعل الباحث الباب الأول في تطور الأدب العربي الحديث في مصر مدخلا إلى فتنة التغريب ومقاومته. والباب الثاني في سيرة الأستاذ أنور الجندي وكتاباته الأدبية والفكرية والنقدية التي تجاوزت ثلاثمئة عمل، وألقى في الباب الثالث نظرة عامة على أعمال أنور الجندي. وفي الباب الرابع تحدث عن الآراء النقدية لأنور الجندي وأنه ينطلق في نقده من قاعدتين، الأولى فلسفة الإسلام ونظام حياته، والثانية عدم مطابقة النظريات الفكرية والقواعد النقدية الوافدة على الإسلام وفلسفته في الحياة.

وخص الباحث الباب الخامس لكتابات أنور الجندي النقدية في طه حسين وأثره في الأدب العربي الحديث.

وفي الباب السادس تحدث عن وقوع الأدب العربي تحت تأثير التغريب، والباب السابع لمقاومة أنور الجندي للتغريب، والباب الثامن للمناحي الإسلامية في كتابات أنور الجندي، والباب التاسع دراسة نقدية لإسهامات أنور الجندي في المجلات، وجعل الباحث الباب العاشر لمكانة أنور الجندي بين الكتاب المعاصرين.

وقد أسهم مكتب البلاد العربية للرابطة، والمكتب الإقليمي في مصر، والمكتب الخاص للأستاذ أنور الجندي رحمه الله - في توفير المواد اللازمة للباحث، وتوجيهه.

الاتجاه الإسلامي في شعر محمد مصطفى حمام ومحمد أبي الوفا

حصل الباحث عصمت محمد أحمد رضوان على درجة الماجستير في موضوع (الاتجاه الإسلامي في شعر محمد مصطفى حمام ومحمود أبي الوفا.. دراسة تحليلية وفنية وموازنة). نوقشت الرسالة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وتكونت اللجنة من الأستاذ الدكتور تمام علي أحمد أستاذ الأدب والنقد (مشرفا)، والأستاذ الدكتور عمر عبدالمعبود عبدالرحمن أستاذ الأدب والنقد المساعد (مشرفا مشاركا)، والأستاذ الدكتور حمدان عبدالرحمن أحمد أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد (عضوا)، والأستاذ الدكتور حنفي محمود مصطفى أستاذ الأدب والنقد المساعد (عضوا).

وقد أشادت اللجنة بالقيمة العلمية للرسالة وقررت منح الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

وتقوم الرسالة بدراسة وتحليل الشعر الإسلامي لاثنين من كبار شعراء مصر المعاصرين وهما محمد مصطفى حمام (ت ١٩٦٤م)، ومحمود أبو الوفاء (ت١٩٧٩م) ودرس الباحث في الباب الأول المضامين الشعرية، وفي الباب الثاني قدم دراسة فنية لشعر الاتجاه الإسلامي لدى الشاعرين.

وخصص الباب الثالث للموازنة بين الشاعرين موضوعيا وفنيا، وقد انتهى الباحث إلى عدة نتائج منها : ثراء الشعر الإسلامي عند الشاعرين، وتميزه من الناحية الفنية والموضوعية، والالتزام بالشكل العمودي للقصيدة، واقترح الباحث تدريس مادة الأدب الإسلامي مادة مستقلة في أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية.

شعر محمد التهامي في رسالة ماجستير

محمد التهامي

حصل الباحث فؤاد البابلي من قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين على درجة الماجستير في شعر الأستاذ محمد التهامي عضو رابطة الأدب الإسلامي، وقد أشرف على الرسالة الدكتور نبيل أبو علي، وناقشها كل من الأستاذ الدكتور حماد أبو شاويش، والأستاذ الدكتور عبدالخالق العف، وتمت المناقشة في تاريخ ٦ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٠٠٤/٣/٢٧م.

وقد بين الباحث في رسالته أن الشاعر محمد التهامي شاعر الالتزام الذي قدم في دواوينه شعرا له عمق الفكر وبساطة التوصيل، وتناول موضوعات الوطن،وقضايا العالم العربي والإسلامي، وسخر الكثير من قصائده للمقاومة، ووضح اهتمام الشاعر في مضامين قصائده بالقصيدة الإسلامية التي شكلت اتجاها واضحا في مسيرته الشعرية وهو يستلهم التراث الإسلامي، ويجعل القرآن الكريم والسنة النبوية أساسا لوحدة الأمة ويؤكد على ارتباط الإسلام بالعروبة.

والالتزام الإسلامي لدى التهامي التزام إرادي من خلال التعبير الفني بوسائل ترتقي إلى غاياته بإبداع واقتدار. وقد تميزت أساليبه بالسلامة من العيوب اللغوية والفنية، مع صدق الخطاب وحرارة العاطفة.

❖ ورقة أخيرة للوجوه الأولى، ديوان، سمير فراج، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

❖ الحب إذا غنى، ديوان، محمد التهامي، نادي القصيم الأدبي بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. وقد أهدى النادي نسخا من الديوان لتوزيعها على مكاتب الرابطة في العالم.

❖ من سدفها، رواية، حيدر قفة، وهي الرواية الأولى من ملحمته (الرحيل) التي تضم ثماني روايات تعرض مأساة الشعب الفلسطيني، عمان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ ديوان وليد الأعظمي،الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم وإشراف المستشار عبدالله العقيل، دار القلم بدمشق، ثلاث طبعات من كانون الثاني إلى أيار / مايو ٢٠٠٤م، وقد أهدى المستشار العقيل نسخا لتوزيعها على مكاتب الرابطة.

❖ للشيخ محمد الرابع الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، لكنو، الهند، ط١:

- العالم الإسلامي اليوم.. قضايا وحلول ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- في ظلال السيرة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
- مقالات في التربية والمجتمع ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م.
- قيمة الأمة الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

❖ البحث الدلالي عند الشوكاني، د. محمد عبدالله العبيدي، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، صنعاء، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

❖ صدر للشاعر نبيل قصاب باشي ديوانان عن دار عكرمة للنشر في دمشق وهما :

- على شفا حلم هار.
- ماكياجات أمريكية الصنع، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ خروج من الحب.. دخول إلى الحب، شعر إبراهيم محمد إبراهيم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط١، ٢٠٠٤م.

- آفاق فكرية وشجون تربوية، عبدالله ابن حمد الحقيل، مكتبة التوبة،الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، وقد تفضل بإهداء مجموعة من كتابه (أدب الرحلات) لتوزيعها على مكاتب الرابطة.

❖ معجم المؤلفات السعوديات، عبد الكريم بن حمد إبراهيم الحقيل، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. ويضم المعجم (٧٧٧) ترجمة.

❖ للدكتور عدنان على رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، ط١:

- التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م .

❖ العالم الذي لا يسعني، ديوان شعري باللغة التركية، علي نار، نشر دار (ELIF)، الكتاب الثاني عشر في سلسلة الأدبيات، إستانبول، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ أسفار العشق المقيم، ديوان الشاعر السوداني سليمان عبدالتواب الزين، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٤م.

❖ هندسة الكلام، د. إبراهيم عبدالرحمن الغنيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ حجارتنا قدر وقبور، ديوان للشاعر محمد منذر قبش، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

❖ الشعر العربي في عصر الدول المتتابعة، د. زينب بيره جكلي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ القبو الزجاجي، ديوان، الشاعر د.صابر عبدالدايم، صدر عن (أصوات معاصرة) في ديرب نجم، الشرقية، مصر، العدد رقم (١١٠)، أكتوبر ٢٠٠٣م، وهي سلسلة تعنى بالأدب والنقد أسسها د. حسين على محمد.

❖ يا قدس قادمون، ديوان، الشاعر محمد عبدالرازق أبو مصطفى، صدر عن مكتبة خالد بن الوليد، وعالم الكتب اليمنية، صنعاء،، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. وقد أهدى المؤلف مجموعة من نسخ الديوان لتوزيعها على مكاتب الرابطة.

❖ عشاق الشهادة، عزالدين فرحات، مجموعة مقالات وفتاوى حول الجهاد في فلسطين لمقاومة الاحتلال اليهودي، الدار الإسلامية،، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

❖ غالب مهنى ومجموعة من الدواوين الشعرية :

- مسك الختام، ٢٠٠٢م، ط١.
- على الدنيا السلام، ٢٠٠٣م، ط١، ٢.
- دندنة من القلب، ٢٠٠٤م، ط١.
- الأماني، شعر للأطفال، ٢٠٠٢م، ط١.

وهي من إصدار المؤلف، مطبعة الممتاز بمغاغة، مصر.

❖ أشواق الروح، ديوان جديد للشاعر د. محمد إياد العكاري، المكتب الإسلامي (بيروت، دمشق، عمان)، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

❖ اعترافات فتاة، مجموعة قصصية، الجزء الأول، نوف عبداللطيف الخزامي، إصدار وهج الحياة للإعلام، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

❖ بؤرة الروح ، شعر علي فهيم الكيلاني ، ط٢ ، ٢٠٠٣م ، عمان ، الأردن.

كتب وصلت إلى المجلة

❖ في موكب النبوة الخالد - خمسة أجزاء - تأليف محمد فاروق البطل، تقديم الشاعرين عمر بهاء الدين الأمير ومحمد علي المغربي. يضم الكتاب تراجم لأكثر من مئة وأربعين صحابيا، ط١، عن دار نور المكتبات، جدة، السعودية.

❖ قادة فتح الأندلس، جزآن، تأليف محمود شيت خطاب، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

❖ روائح الصمت، شعر فيصل عبدالله البريهي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن.

❖ أهدى الأستاذ الأديب إبراهيم علي الوزير مكتبة مجلة الأدب الإسلامي عددا من مؤلفاته وهي : - الإمام الشافعي... - على مشارف القرن الخامس عشر الهجري.

-زهراء اليمن، وهي من منشورات كتاب، واشنطن. - شهادتان هما منهج حياة. - مسيرة جهاد... ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، وهما من منشورات دار المنهل، بيروت.

❖ عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، سلسلة كتاب الأمة:

- التعليم وإشكالية التنمية، د.حسن إبراهيم الهنداوي، العدد ٩٨، ١٤٢٤هـ.

- الحوار... الذات... والآخر، تأليف د.عبدالستار الهيتي، العدد ٩٩، المحرم ١٤٢٥هـ.

- عمر فروخ في خدمة الإسلام، تأليف أحمد العلاونة،، رجب ١٤٢٥هـ.

❖ بطل قصتي (مجموعة قصصية)، عاطف خليل الشناوي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، مكتبة أبو حشاد الإسلامية، القاهرة، مصر.

❖ الذكاء العاطفي، تأليف د.ياسر العيتي، ط١، ٢٠٠٣م، دار الفكر، دمشق، سورية.

❖ نوافذ على الحضارة الإسلامية، تأليف عبدالله أحمد الشباط، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، مطابع الإيمان، الدمام، السعودية.

❖ صفات وسلوكيات الرسول ﷺ، إعداد سامية سليمان، ط١، ٢٠٠٣م، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر.

❖ حكايات رجال، تأليف الأستاذ زياد عبدالله الدريس رئيس تحرير مجلة المعرفة، ضم الكتاب مقالات قصيرة تلقي إضاءة مركزة على اثنتين وثلاثين شخصية من العلماء والمفكرين والمربين والأدباء في المملكة العربية السعودية، جعل الدريس كتابه في قسمين : الأول الحصة الأخيرة، والثاني حكايات رجال، صدر عن مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠م.

❖ فلسطين وأكذوبة بيع الأرض، تأليف عيسى القدومي، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، نيقوسيا، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. توزيع شركة بيت المقدس بالكويت.

❖ الكاتبة حنان عبدالعزيز سيف:

- ابن الجوزي مترجما لنفسه، دار طويق.. الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

- من دنت إليه الدنيا فرفضته ثم دالت عليه فوضعته.. ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م. الناشر المؤلفة.

❖ شهر رمضان والانفتاح على الذات، حسن موسى الصفار، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، القطيف، السعودية.

حباً لكم

ورد إلى صندوق بريدي خطابكم الكريم وأبادلكم الشكر بمثله وزيادة، وأدعو الله أن يلبسكم ثوب الصحة والعافية ويشد من أزركم في وقت طغى غث الأدب على سمينه، وغدت معظم صفحات الصحف والمجلات دعاية وإعلانا، لصور مبتذلة وأدب ماجن متهالك عمد دعاته بأخذ من ركن إليهم إلى قعر بعد قاعه، وهان وذل من تردى إليه، وهذا ما يرى ويشاهد في عصر انقلبت موازينه وطففت مكاييله.

أستاذي الحبيب ما أدليت بدلوي وكتبت خطابي هذا إلا حبا لكم ولمن نحا هذا المنحى العظيم

أبو عمر عبد العزيز بن محمد اليحيان

الدوادمي - السعودية

الأدب الإسلامي في اليابان

شكرا جزيلا فقد وصلني العدد الممتاز الخاص بالرافعي والذي يتضمن موضوعات وبحوثا رائعة تتسم بالأصالة والجودة وقد شاء الله أن يكون مسك ختام هذا العدد كلمة المرحوم أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري الذي علمت بخبر وفاته أول أمس حين تسلمت مجلة الأدب الإسلامي هنا في كيوتو اليابان.

أشكر لكم اهتمامكم بإرسال المجلة التي أودعتها اليوم مكتبة الجامعة مع كتيب التعريف برابطة الأدب الإسلامي باللغة الإنجليزية.

أخوكم د. سمير عبدالحميد إبراهيم

أعجبت بعدد أدب الأطفال

اطلعت على بعض أعداد مجلة الأدب الإسلامي فأعجبت بها وبخاصة العدد رقم (٤٠) المخصصة لأدب الطفل، قرأت صفحات العدد بشغف، وكم سرني هذا الاهتمام الكبير بأطفالنا فلذات أكبادنا الذين نرجو لهم مستقبلا مشرقا وحياة كريمة في ظل أمن وسلام، متمنيا لكم وافر الصحة وكل الخير، ولمجلة الأدب الإسلامي دوام العطاء والازدهار.

محمد نوري خورشيد

سورية

أعتز بما تبذلونه

أحييكم تحية الإسلام وأعبر عن اعتزازي بما تبذلونه في سبيل خدمة قيم الحق ونشر مبادئ الخير والصلاح، كما أعبر عن رغبتي في الاطلاع على أنشطتكم الأدبية الإسلامية وإني لشغوف بالأدب الذي لا يعدل عن ثوابت ديننا العظيم. بل إني أرى أن من يطلب الأدب بمعزل عن الدين القويم إنما يطلب العبث، وخير مثال على هذا ما نقرأ حاليا ونسمع من ترهات يزعم أصحابها أنها أدب.

د. الحسن القشتول

المغرب

الخيرية والمثالية

يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لسيادتكم على اهتمامكم برسالة الأدب الإسلامي بما يدعم وظيفته الحضارية ويعود بالأمة الإسلامية إلى الخيرية والمثالية في العطاء والنماء.

د. محمود حسن إسماعيل

مصر

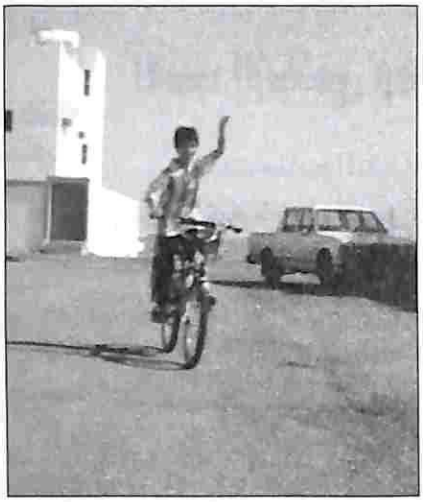

راكب الدراجة

بقلم: د. عبدالقدوس أبو صالح

لم أكن قد تجاوزت العاشرة من العمر أو ما بعدها بقليل عندما أقنعت أخي الذي يكبرني بثلاثة أعوام أن يعلمني ركوب الدراجة الهوائية.

وكل من تعلم ركوب الدراجة يتذكر أن الصعوبة في المرحلة الأولى هي في حفظ توازن المقود مع اضطرار الراكب إلى الضغط بإحدى رجليه على الدواسة ضغطا متناوبا مع الرجل الأخرى ، وما من شك أن الجمع بين العمليتين يحتاج إلى مران وتدريب متواصل.

وتفتق ذهن أخي عن طريقة تفصل بين العمليتين، وتقدم تعلم توازن المقود على تعلم الضغط على الدواسة، وكانت طريقته أو اختراعه هي أن نعمد إلى شارع شديد الانحدار ، ثم أركب الدراجة في قمة الشارع، وأنحدر بها محاولا تثبيت المقود دونما حاجة إلى الضغط بالرجلين ، ما دامت الدراجة تنزلق بالتسارع إلى آخر الشارع المنحدر، حتى إذا وصلت إلى نهاية الشارع عدت بالدراجة إلى قمة الانحدار دون أن أركبها، بل أتجشم الصعود بها ماشيا وأنا أقود الدراجة بكلتا يدي.

وقد أعجبني هذا الاختراع ، ورحت أكرره مرة تلو أخرى إلى أن وقعت الطامة . ذلك أني ما كدت أنحدر من قمة الشارع حتى خرج رتل من الراهبات اللواتي كن يعملن بالتمريض في أحد المستشفيات التبشيرية.

وقد أذهلتني المفاجأة وأنا أرى رتل الراهبات يسد عرض الشارع من يمينه إلى يساره ، وكنت أعلم أن الضغط على مكبح الدراجة يؤدي مع السرعة المتزايدة إلى انقلاب الدراجة بشكل خطير ، ولم يكن أمامي مدة كافية للضغط على المكبح ضغطا خفيفا متزايدا ، بل لعل المفاجأة أنستني أن للدراجة مكبحا في الأصل.

وهكذا لم يكن أمامي وأنا أحس بتسارع الدراجة إلا أن عمدت إلى تنبيه الراهبات بالصياح ، وعندما التفت بعضهن ورأين ما وراءهن من الخطر الداهم كنت قد وصلت إليهن تقريبا، وكنت أعلم أني لو أصبت إحداهن فسوف تكون إصابة قاتلة أو شبه قاتلة.

وهكذا لم يكن أمامي من بد سوى أن مددت ذراعيّ بشكل مفاجئ وشققت بهما رتل الراهبات مما أدى إلى وقوع اثنتين منهن على الأرض وقوعا شديدا، بينما مرقت الدراجة من بينهما بسرعة السهم، ولم تقف إلا في نهاية الشارع وعند استواء الطريق ، وبعد ضغطي على المكبح الذي تذكرت وجوده.

وبعد أن عدلنا عن تجربة هذا الاختراع أمام تلك الحادثة ، وعدنا إلى الطريقة التقليدية في تعلم ركوب الدراجة ظننت أني قد أتقنت الصنعة فركبت الدراجة في شارع مستو لا صعود فيه ولا انحدار.

وما إن وصلت إلى آخر الشارع حتى رأيت رجلا كهلا مقبلا من الجهة الأخرى ، وهو يسير الهوينى ببطء شديد ، وما إن رأيته مقبلا حتى أخذت أصيح «انتبه يا عم .. انتبه انتبه » ، وانتبه الرجل وصعد إلى رصيف الشارع ، ولكني بقيت مع ذلك متجها إليه ، موجها بصري نحوه ، لا ألوي على شيء غيره.. وأنا أكرر العبارة : «انتبه يا عم .. انتبه انتبه » ، ولما وصلت إليه إذا به يوقف الدراجة التي كانت تدرج ببطء ، ثم قال لي والابتسامة الحادبة على شفتيه : « يا بني لقد انتبهت كما أمرتني ، وصعدت إلى الرصيف ، وها أنت ترى وراء الرصيف هوة سأقع فيها لو تابعت «تنبيهك» وأخليت لك الرصيف.. ولكن المفترض أن تنتبه أنت يا راكب الدراجة الشاطر». ■

الأدب الإسلامي ومناهج النقد الأدبي المعاصرة

بقلم: د. سعد أبو الرضا

تعددت مناهج النقد المعاصرة ما بين بنيوية وأسلوبية وسيميائية وتلق وتفكيكية وعلم النص وغيرها، وكلها تركز في دراستها على النص ولغتّه مستثمرة نتائج الدراسات اللغوية قديمها وحديثها، في محاولة الكشف عن النص وبنيته، وهذا هدف عام يجمع بينها، بعد أن غلب عليها إلغاء خارج النص، خاصة المبدع الذي كتبت هذه المناهج شهادة وفاته، بالإضافة إلى عدم اعتدادها بما وراء الواقع من غيبيات، لكنها تتباين فيما بينها من حيث الموقف من المتلقي، إذ تعتد به معظم هذه المناهج المعاصرة اعتداداً مقبولاً، على اختلاف بينها في مستويات الكشف عن المعنى، وهي ترى تعدده.

وعند هذا الحد قد تلتقي مع أصحاب النقد الجديد في أمريكا، إذ يرى هؤلاء جميعا أن النص بنية مغلقة على أساس ذلك، لكن التفكيكية قد تجاوزت هذا التصور عندما رأت أن النص بنية مفتوحة، ومن ثم فقد انتهت بناء على ذلك إلى فكرة لا نهائية المعنى، وهي من وجهة نظر التفكيكيين مقبولة بناء على ما يرونه من الفجوة بين الدال والمدلول التي يترتب عليها انزلاق الدلالة تحت الدال..إلخ، هذا التصور الذي يسمح لهم باللعب بالدوال، ومن ثم لانهائية المعنى،

بالإضافة إلى فكرة الحضور والغياب في هذا المجال.

لكن مثل هذا التصور يوقعنا في الفوضى بالنسبة للمعنى، عندما ترى التفكيكية أن كل معنى إساءة للمعنى السابق عليه.

والأدب الإسلامي ونقده يحاولان الاستفادة من بعض ما سبق خاصة فكرة تعدد المعنى، لما في ذلك من اتساع الدلالة، التي تكشف عن ثراء النص، وإذا كانت بعض المناهج السابقة قد تهتم مثلا بنحو النص كالبنيوية، أو الكشف عن رؤية العالم كالبنيوية التكوينية، مما يجعل القيمة الجمالية قد تختفي وراء ذلك فإن الأدب الإسلامي ونقده حريصان على تجلي هذه القيمة بمقوماتها الفنية.

وتهتم هذه المناهج جميعها بفكرة «الاقتراض» (التناص) لدرجة جعلت التفكيكية مثلا لا ترى النص الماثل إلا في سياق النصوص الأخرى التي يعد رمادها من مكوناته، ومن أهم عناصر تشكيله، وكذلك نجد الأدب الإسلامي حريصا على إبراز هذه العلاقة، وتتبع آثارها في النص الماثل بصور مختلفة، منها أفق التوقع مثلا، لكن دون اختفاء خصوصية النص الماثل.

وأمام ذلك يتضح اعتدال وجهة نظر الأدب الإسلامي ونقده أولا في اعتداده بخارج النص، الذي يمكن أن يسهم في الكشف عن المعنى، والاعتداد في الوقت نفسه بدور المبدع وأثره، خاصة في النصوص المقدسة.

وإذا كانت هذه المناهج النقدية الحداثية، مادية النظرة في اهتمامها بالواقع فحسب، فإن الأدب الإسلامي ونقده يهتم بما وراء الواقع، خاصة في علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، وتجليات ذلك في العمل الأدبي.

وهكذا نرى تميز الأدب الإسلامي ونقده الذي يهتم بصالح التراث، ويستفيد منه، كما يستفيد من المتغيرات متمثلة في هذه المناهج الحداثية وغيرها من العلوم الإنسانية المختلفة، في الحدود التي يقبلها الشرع.

أخي القارئ

في مجلة الأدب الإسلامي:

- الإبداع والنقد.
- الأصالة والتجديد.
- منبر الأدباء الإسلاميين.
- مكتبة الأدب الإسلامي.
- رسائل جامعية في الأدب الإسلامي.
- الأقلام الواعدة.
- مسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية.
- اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.

أخي القارئ

- إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.
- إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.
- إهداء مجلة الأدب الإسلامي من العلم الذي ينتفع به.

قسيمة اشتراك

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة .....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة

بمبلغ .....

بيانات المشترك

الاسم: .....

الجنسية: .....

الوظيفة أو العمل: .....

العنوان: .....

هاتف المنزل: ..... هاتف العمل: .....

ملاحظات أخرى: .....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً – خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي ، الحساب رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.

وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠٨٠٠٨٣)

وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية – الرياض ١١٥٣٤ – ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ – ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

سعادة **رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي:**

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة ..... يرسل هدية إلى:

الاسم: .....

العنوان: .....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة

بمبلغ: .....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم: .....

الجنسية: .....

الوظيفة أو العمل: .....

العنوان: .....

هاتف المنزل: ..... هاتف العمل: .....

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها: .....

المبلغ المدفوع: .....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً – خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي ، الحساب رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.

وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠٨٠٠٨٣)

وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية – الرياض ١١٥٣٤ – ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ – ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

الإصدار الأول من الموسوعة الالكترونية لمجلة

الجندي المسلم

تشمل الموسوعة
مقالات المجلة حتى العدد ١١٠
تحتوي على حوالي ٣٧٠٠ مقالة
لأكثر من ١٠٠٠ كاتب

- ٤٥٠٠ آية قرآنية
- ٦٠٠٠ نص حديثي
- ١١٠٠ من الآثار و الأقوال المأثورة
- ٨١٠٠ من الأسماء
- ٢٦٠٠ مكان
- ٧٧٠٠ بيت شعر

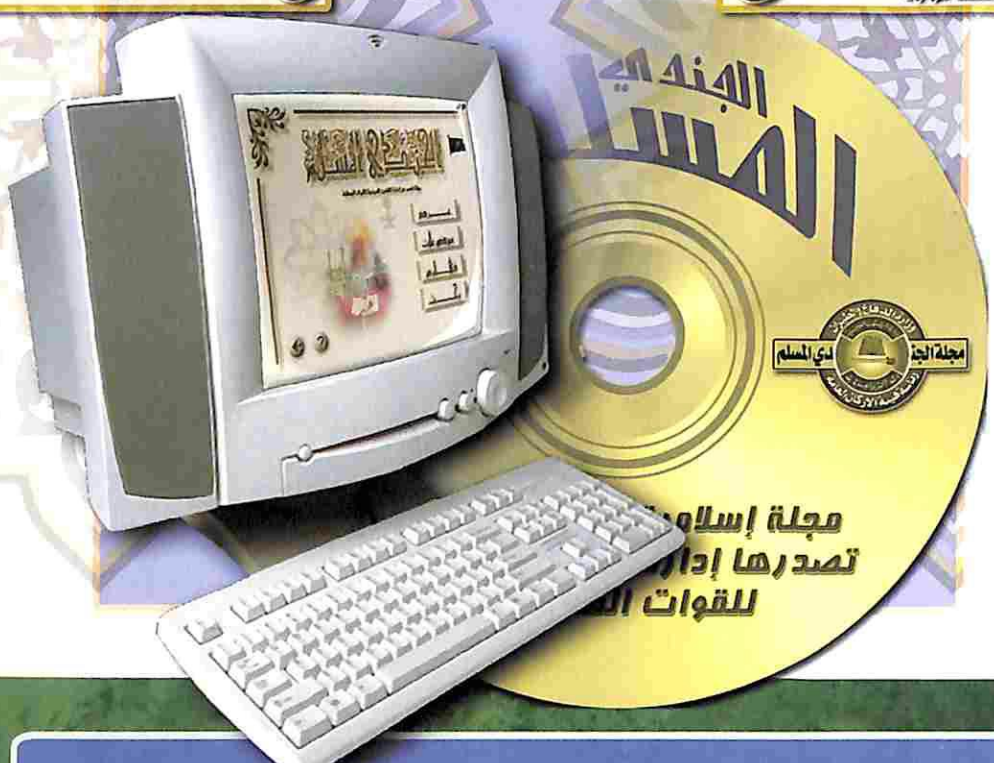

مجلة إسلامية ثقافية فصلية
تصدرها إدارة الشئون الدينية
للقوات المسلحة

الجندي المسلم مجلة إسلامية ثقافية فصلية تصدر عن إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة
للمشاركة أوالإستفسار الأتصال على هاتف وفاكس المجلة ٤٧٢٢٥٠٩ أو الارسال عبر البريد
ص.ب. ٢٧٠٢٨ الرياض ١١٤١٧ أو البريد الإلكتروني jmminfo@naseej.com

عبدالعزيز الرفاعي

في عدد خاص

تعتزم مجلة الأدب الإسلامي إصدار عدد خاص عن الأديب الإسلامي الكبير عبدالعزيز الرفاعي عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية «يرحمه الله».

وتدعو المجلة الكتاب والنقاد والأدباء الأفاضل إلى الكتابة في المحاور التالية:

- شعر الرفاعي - دراسة نقدية عامة أو في جانب من جوانبه.
- المقالة في أدب الرفاعي - دراسة نقدية عامة أو في جانب من جوانبها.
- أدب التراجم لدى الرفاعي.
- أدب الرحلات لدى الرفاعي.
- مكانة الرفاعي في الأدب السعودي.
- دراسة لأحد مؤلفات الرفاعي.
- دراسة لأحد الكتب التي ألفت عن الرفاعي.
- ندوة الرفاعي الأدبية.
- موضوعات لم تنشر للرفاعي.

- يمكن الكتابة في أحد الموضوعات السابقة أو جانب منها.
- يشترط أن تكون الكتابة موضوعية وموثقة.
- أن تكون الموضوعات موافقة لشروط النشر في المجلة.
- تخضع جميع البحوث للتحكيم.

العنوان : السعودية- الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢- فاكس ٤٦٤٩٧٠٦
E-mail:info@adabislami.org